

تفضيل السيّدة الزهراء عليها السلام على الملائكة والرُسُل والأنبياء

ISBN 978-9933-489-81-6



الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٨١٦

البلداوي، وسام، ١٩٧٤ - م.

تفضيل السيدة الزهراء عليها السلام على الملائكة والرسل والأنبياء: بحث تمت صياغته على شكل قصة... / تأليف وسام برهان البلداوي. - الطبعة الأولى . - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٥ق. = ٢٠١٤م.

ص٤٠٠. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٣١).

المصادر في الحاشية.

١ . فاطمة الزهراء (س)، ٨ ؟ ق. هـ - ١١هـ . - فضائل - حوارات. ٢. فاطمة الزهراء (س)، ٨؟ ق. هـ. - ١١هـ. - تفضيلها على الرسل والأنبياء. ٣. فاطمة الزهراء (س)، ٨؟ ق. هـ. - ١١هـ. تفضيلها على الملائكة . ٤. فاطمة الزهراء (س)، ٨؟ ق. هـ. - ١١هـ. فضائل - من الناحية القرآنية. ٥. فاطمة الزهراء (س)، ٨؟ ق. هـ. - ١١هـ. - تعقيب وإيذاء - أحاديث . ألف. العنوان.

BP 80. F389 B359 2014

BP 27.2 .B359 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

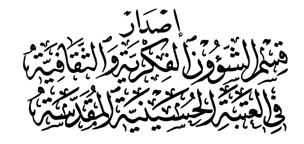
تفضيل السيدة الزهراء عليها السلام على الملائكة والرسل والأنبياء

بحث تمت صياغته على شكل قصة قصيرة، ولكنه لم يغفل

عن الجنبة العلمية والأدلة الرصينة في الاستدلال والاحتجاج

تأليف

الشَّيخ وسَام بُرهَان البَلْدَاوِي



الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م



العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة الكتاب

كانت القصة ولا تزال من أفضل وأهم الطرق لإيصال الحقائق، ولا نكاد نحتاج الى دليل على هذا الامر بعد ان استخدمها القران الكريم في مواضع كثيرة جدا، تارة للعبرة والعظة، وتارة أخرى لتوضيح وتبيان عواقب الأفعال وأسباب النجاح أو الفشل على الصعيدين الفردي والأممي، وكذلك استخدمها النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في إرشاد الناس وتوعيتهم وتعليمهم، وما هذا التأكيد على اسلوب القصة إلا لأنها تمتلك من التفاعل والتأثير في نفس السامع والقارئ ما لا يمتلكه اسلوب آخر، لما تحويه من مقومات لا تتوفر في الشعر أو النثر أو الخطابة وغيرها من أساليب التعبير، وهذا الامر واضح لذوي الاختصاص والخبرة لا يحتاج الى مزيد من البيان.

ومع الالتفات الى ما ذكرناه انفا يتضح للقاري الكريم سبب اختياري لاسلوب القصة في صياغة مفردات هذا البحث المهم، فمع ان المتعارف عند المؤلفين والباحثين تناول مثل هذه البحوث على وفق النمط التقليدي المتعارف لكتابة مثل هذه البحوث، اي بتقسيم الكتاب الى فصول وتقسيم الفصول الى دليل اول وثاني وثالث وهكذا، ثم يتم استعراض الاشكالات المتعلقة بكل دليل ويجاب عليها.

الا اني رأيت بان هذا الاسلوب يعتبر جافا وغير مرن بالنسبة لطبقة كبيرة من القراء الكرام، فاستخرت الله سبحانه على أن أنهج في هذا البحث منهج القصة، مع الاحتفاظ بالدقة العلمية للمطالب والادلة المستعرضة قدر الامكان، فخرجت الاستخارة بحمد الله جيدة، فشرعت بالعمل وقد لمست صدق الاستخارة وبركاتها اثناء عملي في خضم البحث والاستدلال، لان القصة وفرت لي أرضية مرنة وحرة لم تكن لتتوفر من خلال النمط التقليدي في البحث والكتابة.

فأرجو من الله اني قد وفقت وأحسنت اختيار الموضوع والأسلوب والأدلة، كما واتوسل للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ان تعفو عن قلة جهلي ومحدودية باعي وقلة اطلاعي وما سطرته يميني من ادلة تحكي عظيم منزلتها وسمو مقامها، لان محتوى الكتاب ومتانة الادلة هي خاضعة لمستوى الكاتب لا لمستواها صلوات الله وسلامه عليها، والا فان حقيقة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وعظمتها وكمالها لا يصل إلى مكنونها عاجز مثلي، بل ولا أعلم علماء البشر، وكيف يحيط بها عالم وهي التي دارت على معرفتها دارت القرون الأولى.

كما وأرجو من القراء الكرام التغاضي عن القصور أو التقصير الذي سترصده أذهانهم الوقادة في طيات البحث الذي بين أيديهم، فالكمال المطلق لله سبحانه ومن بعده للمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الشيخ وسام برهان لبلداوي

٢٣ / ١١ / ٢٠١٣

نهاية الموسم الدراسي

كان اليوم هو اليوم الأخير من امتحانات نهاية السنة، خرج أسامة من قاعة الامتحان قبل أن ينتهي الوقت، وبعد أن بذل كل ما لديه من حول وقوة للإجابة على أسئلة ذلك اليوم التي كانت صعبة للغاية، ولم تكن بحسبانه.

خرج أسامة يتخالجه شعور الخوف والفرح في آن واحد، خوفه من نتيجة الامتحان المجهولة التي سيتحدد على أساسها مستقبله الأكاديمي، وفرحه بقدوم العطلة الصيفية التي سيحاول الاستفادة من كل لحظة فيها للترفيه عن نفسه ونسيان ساعات التوتر الدراسي وضغط الامتحانات.

جلس أسامة مسنداً ظهره إلى حائط المدرسة منتظرا أصدقاءَهُ الذين لم يكملوا امتحانهم بعد، ليعود وإياهم إلى البيت، وبينما هو كذلك إذ سرح بفكره، محاولاً التخطيط لأيام وساعات الفراغ التي سيقضيها، وبأي طريقة سيقضيها، فكر أن يتفق مع أصدقائه بالذهاب صباحاً إلى المسبح القريب من بيتهم ليسبحوا فيه ويلعبوا كرة القدم إلى وقت الظهر، وفي وقت العصر يخرج وإياهم إلى السوق ثم يعود مساءً ليشاهد ما قد حرمته أيام الدراسة من مشاهدة التلفاز.

ثم ردد أسامة في نفسه: (ولماذا أقضي العطلة في البيت أصلا؟ ولماذا أقضي هذه الأيام القليلة في مثل هذا الجو الروتيني؟ أليس من الأفضل أن أذهب إلى بيت خالي في الريف، الله الريف! وما أدراك ما الريف؟! حيث البساتين وصيد الطيور والسباحة في النهر ورؤية أصناف الحيوانات وأكل أصناف الطعام، وفوق كل ذلك الاحترام والتقدير العالي الذي ألقاه من بيت خالي وجيرانهم لأنهم ينظرون إلي نظرة ابن المدينة المثقف المطلع على كثير من الأمور التي لم يطلعوا عليها ولا سمعوا بها من قبل).

وبينما هو سارح في خياله وإذا بيد توضع على كتفه بقوة وتهزه، فزع أسامة، وإذا بصوت صديقه محمد يصرخ بإذنه: (قم لنذهب فالأصدقاء في الانتظار).

قام أسامة من مكانه ومشى نحو أصدقائه وما أن وصل حتى انهالت عليه الأسئلة: (أين كنت يا رجل؟ فمنذ متى ونحن نناديك ولا تجيبنا؟ أين كنت تسرح؟ لعلك عاشق ولا نعلم؟!) وبدأ الجميع بالضحك.

قال أسامة: (بل كنت أخيّر نفسي بين أن أقضي العطلة معكم وأتحمل سماجتكم ومزاحكم البارد وبين أن أذهب إلى بيت خالي في الريف).

فصاح الجميع: (إياك أن تتركنا فكلنا قد قررنا أن نقضي العطلة معا).

فقال لهم أسامة: (لا أريد أن أقضي هذه الأيام بشيء تافه وفوضوي، أريد شيئا جديدا، تجربة جديدة، فإن منحتموني هذا الأمر وإلا فسأذهب إلى بيت خالي، حيث المتعة والصيد والبساتين وكل ما هو جديد).

أخذ كل واحد من أصدقائه يستعرض مشروع قضاء العطلة الصيفية من

وجهة نظره، عسى ولعل يستهوي أسامة ويبقيه بينهم، إلى أن وصل الدور إلى محمد قال: (ان والدي يلح علي كثيرا لحضور الدروس التي تقام في العطلة الصيفية في المسجد الذي بقربنا، ما رأيكم أن نحضر معاً؟).

فصاح به الجميع: (اسكت تبا لك، اليوم أكملنا المدرسة، أتريدنا أن ندرس ونحن في العطلة؟! يا لها من فكرة مجنونة!).

وصل أسامة إلى البيت فودع الأصدقاء على أمل أن يلتقوا عصراً ليكملوا نقاشهم، دخل أسامة البيت فوجد الطعام حاضراً، غسل يديه وجلس على المائدة من دون أن يستبدل ثيابه لفرط جوعه، وما أن وضع اللقمة الأولى في فمه حتى رجعت إليه فكرة صديقه محمد، ومهما حاول أن يشغل تفكيره بشيء آخر رجعت إليه ثانية وثالثة، وفي كل مرة يحاول طردها وإقناع نفسه بأن من العبث أن ينهي الإنسان درسه في المدرسة ويبدأ بدروس أخرى في المسجد، فاقنع نفسه بهذا العذر وأكمل طعامه، واستأذن من بقية أفراد العائلة بالذهاب للاستلقاء على فراشه للراحة.

القرار الحاسم

دخل أسامة غرفته وتمدّد على فراشه، وما إن أغمض عينيه حتى هجمت على مخيلته فكرة محمد وحضور الدروس في المسجد، فحاول التملص منها وإبعادها لكن من دون جدوى، فقال في نفسه: (إن أحسن طريقة لإبعادها هو مناقشتها بهدوء).

قام أسامة من فراشه وتوجه نحو حقيبته وأخرج ورقةً وقلماً وقرر أن يرسم جدولاً، يضع في صف محاسن هذه الفكرة ويضع في الصف الآخر من الجدول المساوئ. فكتب في جدول المحاسن: إن فكرة محمد تمثل تجربة جديدة لم أمارسها من قبل، وأنا كنت أريد أن أقضي هذه العطلة بتجربة جديدة، ووضع أيضا ان في حضور الدروس زيادة في العلم، والإنسان الذي يزيد من علمه يحترمه المجتمع وتعظم هيبته بين الناس، وكتب أيضا ان طلب العلم والتفقه في الدين فيه ثواب أخروي عظيم، فقد قرأ قبل يومين: إن طالب العلم يشيعه سبعون ألف ملك[1]، وان المؤمن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله[2]، وان دواب الأرض لتصلي على طالب العلم حتى الحيتان في الماء[3]، وان

(١) راجع بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٢٤ باب ثواب العالم والمتعلم.

(٢) المصدر السابق ص٢٥.

(٣) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٢٥.

الذي يتعلم ويعلم علمه للناس يأتي يوم القيامة وله من الحسنات كالجبال الرواسي فيقول: (يا رب أنى لي هذا ولم أعملها؟) فيقول: (هذا علمك الذي علمته الناس يعمل به من بعدك)[١].

وجاء دور جدول المساوئ، ففكر كثيراً في شيء يكتبه فلم يجد، ومع ذلك كتب: إن هذه الدروس ستفوت علي مباريات كرة القدم، ولكنه قال لنفسه يمكن الجمع بين الأمرين أحضر الدرس صباحا وألعب كرة القدم عصراً أو العكس، وكتب ان الذهاب إلى الدروس سيحول بيني وبين مشاهدة التلفاز الذي قررت أن أقضي أمامه ساعات كثيرة من نهاري، ولكنه وجد ان هذا العذر غير مقبول أيضا، لأنه يمكن أن يفعل ذلك في الليل، أو في وقت الظهيرة، ومهما حاول ان يجد مبرراً للرفض لم يستطع، فقرر أن يذهب للدرس لما فيه من الفوائد ولعدم وجود ما يضر ويمنع.

وبعد أخذ أسامة لقراره الحاسم هدأ فكره وارتاح باله واستطاع أن ينام ثلاث ساعات من الظهيرة من دون قلق ولا اضطراب، ولما جاء وقت العصر خرج إلى أصحابه فرحاً مستبشراً، فأخبرهم الخبر فانصعقوا من المفاجأة، وعابوا عليه قراره، وسخروا منه بأنواع الكلمات ومختلف الطرق، لكنه ما إن أخرج لهم الجدول الذي صنعه وأفهمهم انقلبت أوضاعهم وانقلب ضحكهم إلى سكوت وتأمل، فبعضهم قد وافق أسامة في رأيه وقرر الالتحاق معه إلى الدرس، وبعضهم بقي مصراً على استهجانه للفكرة ورفض الحضور.

---

(١) المصدر السابق ص٢٦.

انبهار زائف

في صباح يوم الاثنين ذهب أسامة إلى المسجد لحضور دروس الدورة الصيفية، وقف أمام الجامع منتظرا صديقه محمداً ليدخلا إلى الدرس معاً، تأخر محمد، وحضر المدرس والطلبة، فقرر أسامة أن يدخل القاعة وحده، استقر أسامة في زاوية من زوايا القاعة واضعا أمامه الدفتر الذي اشتراه ليثبت به الملاحظات التي سيسمعها من أستاذه، وأخذ يتأمل في وجوه الحاضرين عسى أن يجد من يعرفه منهم، عرف بعضهم وأنكر بعضهم الآخر، لكنه قال في نفسه: (من يحضر ليس مهما والمهم هو ما سيقال).

جاء المدرس وبعد إلقائه للسلام على الحاضرين جلس خلف طاولة أعدت له مسبقا، لم يكن يلبس لباساً حوزوياً وليست له لحية طويلة كما كان يتوقع أسامة، وبعد ابتسامة خفيفة أدار رأسه وجال بنظره حول الحاضرين وقال: (أخوتي الأعزاء ستكون هذه الدورة مقسمة إلى ثلاثة دروس، درس في العقائد ودرس في التفسير ودرس في التاريخ، وسنقتصر على درس واحد يومياً، وسيكون درس هذا اليوم في العقيدة).

أخرج أسامة قلمه وفتح دفتره في محاولة منه لضبط وكتابة كل كلمة يقولها أستاذه، وبعد أن افتتح درسه بحمد الله والصلاة على النبي وآله قال: (بما ان هذه الأيام تتزامن مع ذكرى رحيل السيدة فاطمة فسيكون حديثنا مخصصا في هذا اليوم لهذه المناسبة، وسنتحدث بعجالة على عدة محاور مهمة تخص شخصيتها، فسنتحدث عن محاولات البعض لتفضيلها على مريم أو خديجة، وسنتحدث عن محاولات البعض لإضفاء صفة الغيب على شخصية السيدة فاطمة، وأشياء أخرى ستتبين في أثناء الدرس).

كان أسامة يحاول كتابة كل صغيرة وكبيرة تخرج من فم أستاذه، ولكنه ومع ذلك لم يستطع أن يكتب كثيرا من الكلمات التي كانت تفلت منه بسبب انشغاله بالكتابة، إلا أنه خرج بمجموعة من الجمل التي قرر أن يحفظها عن ظهر قلب لاعتقاده بأنها جمل جميلة وعصرية وتتناسب مع الواقع.

فكتب قول أستاذه: (إن فكرة تفضيل نبي على نبي آخر، أو تفضيل إمام على نبي أو تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام على مريم، هذا الحديث لا يجني الخائض منه أية فائدة على مستوى الدين أو الدنيا سوى إتعاب الفكر وإرضاء الزهو الذاتي[1]).

---

(١) ويمكن الإجابة عن هذا الإشكال، بأن تفضيل نبي على نبي أو إمام على نبي أو تفضيل السيدة الزهراء على مريم لا يدخل في باب إرضاء الزهو الذاتي، أو مما ليس فيه فائدة على مستوى الدين والدنيا، لأن القرآن الكريم فضل بعض الناس على البعض الآخر، فقد فضل الأنبياء بعضهم على بعض فقال سبحانه في سورة البقرة الآية ٢٥٣: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»، وقال سبحانه في سورة الإسراء الآية ٥٥: «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ←

وكتب أسامة أيضا: (ان الخوض في تفضيل إمام على نبي أو السيدة فاطمة على مريم خوض في علم لا ينتفع فيه فلا ينفع من علمه ولا يضر من جهله، وهو نوع من أنواع الترف الفكري السخيف، فإن هنالك أناساً بلا عمل وليس لهم شغل إلا الكلام في هذا الأمر[(١)]).

وكتب أسامة عن قول أستاذه أيضا: (إن التاريخ يفيض فيما لا حاجة لنا فيه

النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا»، وكذلك فضل الله سبحانه المجاهدين على القاعدين كما قال في سورة النساء الآية رقم ٩٥: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»، بل يمكن لنا القول بأن الكون قائم بكله على مبدأ التفضيل كما قال سبحانه في سورة الإسراء الآية رقم ٢١: «انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أكبر دَرَجَاتٍ وأكبر تَفْضِيلًا».

أما الروايات الشريفة الصادرة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهي مشحونة بما لا يحصى من الأحاديث والأقوال في تفضيل نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية المعصومين على غيرهم من افراد الأمة بل وبقية الأنبياء والمرسلين من آدم فما دون، وعليه فليس من المعقول ولا المقبول ان ينشغل القرآن الكريم وبقية المعصومين بمسألة التفضيل من باب مسألة إرضاء الزهو الذاتي أو الانشغال بما ليس فيه فائدة على مستوى الدين والدنيا والعياذ بالله، ولولا وجود الفائدة العظيمة في مسألة التفضيل لما انشغل به القرآن الكريم في آيات عديدة ولما تعرض له أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أحاديث كثيرة.

(١) هذا الإشكال علم جوابه من الهامش السابق، ثم ان في هذا القول تجرؤاً عظيماً على آيات القرآن الكريم وروايات المعصومين وأشخاصهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان القرآن وكذلك المعصومين قد تعرضوا لمسألة التفضيل لنبي على نبي أو إمام على نبي او السيدة الزهراء على مريم أفيعني حديثهم عن هذه المسائل انهم أصحاب ترف فكري سخيف والعياذ بالله، ام ان القائل هو من ينبغي ان يوصف بسخافة الفكر وسطحية التحليل؟!

كما في مسألة زواج الزهراء عليها السلام، والجوانب الغيبية في ذلك الزواج، فيما تحتفل به السماء، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الأمر... وماذا ينفع أو يضر أن نعرف أو نجهل، أن الزهراء عليها السلام نور أو ليست نورا؟ فإن هذا علم لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله)[١].

وحينما وصل أستاذ أسامة إلى محل الكلام عن وفاة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وكيفية ذلك، تهيأ أسامة واستعد للبكاء، لأنه كان معتادا على أن الخطيب في مجالس العزاء وحينما يصل إلى مصيبة استشهادها صلوات الله وسلامه عليها فانه يقرأ أبياتا حزينة للرثاء تتكلم عن مآسيها وضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها فيبكي الحاضرون ثم يختتم بعد ذلك المجلس.

لكن الوضع كان مختلفا هذا اليوم فما إن وصل أستاذ أسامة إلى الحديث عن أيام السيدة الزهراء الأخيرة وكيفية وفاتها حتى علا صوته وتشنجت عضلات وجهه وأخذ يكيل التهم على كل من يقول بتعرضها للهضم والضرب وكسر الضلع وغير ذلك، فصعق أسامة لهذا الأمر ورأى ان الأمر يستحق الاهتمام فحاول كتابة كل كلمة تخرج من فم أستاذه ليتأمل بها بعد خروجه وذهابه إلى البيت ولينقلها إلى أصحابه الذين سيسألونه عن أول يوم من عطلته الصيفية.

---

(١) هذه الجمل والتي قبلها ليست من وحي الخيال أو من أقوالي حاشا السيدة الزهراء من ذلك، ولكنها أقوال بعض المنتسبين للمذهب ممن علم شأنهم وانتشرت أقوالهم، وقد ذكر السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه مأساة الزهراء وكتابه الآخر خلفيات كتاب مأساة الزهراء أقوال هذا البعض وناقشها بالتفصيل.

فكتب قول أستاذه: (أنا لا أتفاعل مع كثير من الأحاديث التي تقول بأن القوم كسروا ضلعها، أو ضربوها على وجهها، أو ما إلى ذلك. إنني أتحفظ في كثير من هذه الروايات...[١]).

وكتب أيضا: (كيف يمكن أن يضرب المهاجمون الزهراء، وقد كان ضرب المرأة عيبا عند العرب...[٢]).

---

(١) هذه هي بعض أقاويل السيد محمد حسين فضل الله نقلت عنه ووثقت ونوقشت من قبل عدة علماء ومفكرين، وقد أثبتوا بالدليل أن مسألة الاعتداء على السيدة الزهراء هي ليست مسألة ذوق شخصي او تفاعل وعدم تفاعل من قبل شخص مع بعض الأحاديث، بل انها مسألة مبدأ بذل لأجلها الأئمة وأصحابهم وعلماء المذهب الغالي والنفيس في سبيل تثبيتها وحفظها وترسيخها ونشرها لأنها أكبر ضربة يمكن ان يوجهها الحق للباطل فالاعتداء على السيدة الزهراء لم يكن اعتداء من شخص على شخص بل كان اعتداء على مقدسات الإسلام ومبادئه وأفكاره؛ لأن السيدة الزهراء كانت الممثل والمجسد لهذه المقدسات والقيم والمبادئ وان الاعتداء عليها اعتداء على تلك الثوابت التي سعى النبي الأعظم ﷺ طوال مدة رسالته الى تثبيت قدسيتها وارتباطها بالسماء، وانها المرآة التي تعكس رضا الله وسخطه في أهل الأرض، وانها المعصومة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها كما نصت على ذلك آية التطهير، اذن فقضية الاعتداء على السيدة الزهراء عليها السلام أكبر من مجرد تفاعل او ذوق شخصي لهذا الإنسان او ذاك.

(٢) يقول السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه خلفيات مأساة الزهراء عليها السلام: (إن كون ضرب المرأة عيباً لا يعني عدم ارتكابهم لهذا العيب إذا وجدوا أن أمراً خطيراً جداً سوف يخسرونه كما هو الحال هنا. قد جلدت السيدة زينب بالسياط كما ذكر هذا البعض نفسه وكذا سائر السبايا. وكان المشركون يعذبون النساء في مكة، حتى ماتت سمية أم عمار بن ياسر تحت التعذيب، وقد اعترف عمر نفسه بأنه كان يعذب جارية بني مؤمل. ولما مات عثمان بن مظعون بكت النساء ←

وكتب أسامة على لسان أستاذه قوله: (لم يكن لبيوت المدينة المنورة في عهد رسول الله أو بعده، أبواب ذات مصاريع خشبية، بل كان هناك ستائر فقط توضع على الأبواب، فكيف عصرت الزهراء إذن بين الباب والحائط؟ وكيف اشتعلت النار في خشب الباب؟[١]).

هذا هو مجمل ما قاله أستاذ أسامة في درسه الأول وبهذه الكلمات أنهى درسه وودع طلبته على أمل اللقاء بهم غدا.

خرج أسامة من قاعة الدرس، يتنازعه شعوران، شعور بالبهجة لأنه تعلم أشياء لم يكن يعرفها، وانفتحت عينه على حقائق كانت غائبة عن نظره، وشعور بالخوف، لأن هذه الأشياء التي تعلمها اليوم تخالف كل ما قد تعلمه وسمعه من قبل من أبويه ومن المحاضرات التي كان يحضرها في أيام محرم وشهر رمضان وغيرهما من أيام السنة، فاحتار أي الأمرين يصدق وبأي القولين يأخذ.

وبينما هو يسير نحو داره بخطوات متثاقلة، أخذ يسترجع كلمات أستاذه بينه وبين نفسه، ويحللها بعقله قائلا: (لو ان امرأة تأتي الآن وتعتدي علي، هل أقوم

فجعل عمر يضربهن. وأهدر النبي ﷺ دم هبار بن الأسود، لأجل ما كان منه في حق زينب. وضرب عمر النساء ومنهن أم فروة أخت أبي بكر لأنها بكت أخاها؟ ... إلى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه).

(١) لقد جمع السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه مأساة الزهراء في أواخر الجزء الثاني عشرات بل مئات النصوص الدالة على وجود أبواب ومصاريع خشبية لبيوت المدينة وان هذه الأبواب قد كان لها مفاتيح وأقفال ورتاج وان خشبها قد يكون من عرعر او ساج او جريد وغير ذلك من خصوصيات فراجع.

بضربها؟). فأجاب على الفور: (كلا لا أضربها حتى ولو كانت هـي المعتديـة، إذن فكيف رضي المسلمون أن يعتدوا على السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ويـضربوها، لا لا فهذا غير معقول إطلاقا، فـالعرب كمـا قـال الأسـتاذ كانـت لا تقبـل أن تـضرب المرأة فكيف قبلت أن تضرب سيدة نساء العالمين؟!!، أمر لا يصدق).

(ثم ان الأبواب وكما يقول الأستاذ لم تكن موجودة فكيـف عـصروها إذن وراء الباب؟ أمر عجيب! ثم أليست الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بـشراً مثلنـا فكيـف تكـون نورا؟! ثم حتى لو كانت نورا فما ضرورة الكلام بهذه الأمور الآن ونحن في عصر التكنولوجيا والفضاء والتقدم العلمي؟ أليست هذه الأمور تضحك الـذين يخالفونـا في الدين؟! ثم إذا كانـت الـسيدة الزهـراء صلوات الله وسلامه عليها قـد رضـيت عـن أبـي بكـر وعمر فلماذا نصر نحن على اتهامهم والتحريض عليهم؟!).

وهكذا بدأ أسامة يقنع نفسه بعدم صحة مثل هذه الأمور، وبعدم أهميتها وان الخوض فيها خوض فيما لا فائدة منه، وان الله سبحانه يوم القيامة سوف لن يـسألنا عن أمور جرت في غير عصرنا ولا نعلم تفاصيلها، وليست هنالك أهمية عبادية من ورائها، بل سيسألنا عن صلاتنا وصيامنا وما ابتلينا به في عـصرنا هـذا، فـالأحرى أن نلتفت إلى ما يضرنا وينفعنا في الآخرة بدلا من تضييع الوقت على أمر لا يضر مـن جهله على حسب تعبير أستاذه.

لقاء مع خالد

وصل أسامة إلى البيت، تمدد قليلا في غرفته ليريح نفسه من شمس ذلك اليوم المحرقة، شم أسامة رائحة الطعام الذي كانت تعده أمه في المطبخ، فأمه كانت مشهورة عند جميع الأقارب والجيران بطيب طعامها ونكهته التي تبقى في ذهن كل من يأكل منه، وما إن شم أسامة روائح البهارات والزعفران تنبعث من الطعام حتى أحس بالجوع فجلس من فراشه واتجه مباشرة إلى المطبخ حيث كانت أمه واقفة.

أحضر أسامة صحنا وطلب أن تسكب له فيه الطعام، حاولت الأم تصبيره إلى أن يحضر جميع أفراد العائلة ليأكلوا معا، لكنه ولفرط جوعه أصر على الأكل قبل الجميع فلم تجد أمه بداً من الاستجابة لإلحاحه.

صعد أسامة في غرفته، وضع الصحن أمامه، التهم محتواه وكأنه لم يأكل منذ شهر، بعدها أحس بالنعاس يهجم على عينيه، فلم يجد بداً من أخذ غفوة قبل حلول وقت لعب كرة القدم مع الأصدقاء.

أحس أسامة من نومه أثر هجوم الحر عليه، وبعد انقطاع التيار الكهربائي، بدا وكأنه لم ينم إلا لحظات، نظر إلى الساعة الجدارية التي أمامه فصعق! فالساعة

الخامسة عصراً، وموعده مع أصدقائه هو في الرابعة، قفز من سريره لبس ملابسه ونزل بسرعة إلى الشارع مهرولاً عسى أن يجدهم في انتظاره.

وصل إلى الملعب فوجدهم قد بدأوا ومضى ثلثي الشوط الأول، أشاروا له بأيديهم أين كنت؟ فأشار لهم بأني كنت نائما، بعضهم ضحك عليه، وبعضهم هز بيده معاتبا، وبعضهم رمقه بنظرات الغضب، بينما أشار رئيس الفريق بيديه ليلبس ملابسه ويستعد للنزول إلى أرض الملعب، ولكن أسامة أحس بوجود خطأ آخر، فقد نسي ملابسه الرياضية في الغرفة حينما نزل مستعجلا، فصاح أسامة في أعماقه: (يا ويلي! ماذا سأقول لهم حينما يطلبون مني النزول إلى الملعب؟).

فأحس بإحراج شديد لما ستكون عليه ردة فعلهم، فسيضحك منه أكثرهم، وسيغضب عليه الآخرون، فقرر في نفسه أن ينسحب من بين الجمهور رويدا رويدا، ومن ثم يذهب إلى البيت، ومن ثم يعتذر لهم بحصول أمر طارئ اضطره إلى الرجوع، وبينما كان فريقه منشغلا بهجمات خصمه، انسحب أسامة من بين الجموع المحتشدة، وخرج من دون أن ينتبه إليه أحد من أصحابه.

اتجه أسامة إلى البيت عائدا أدراجه يمشي بخطوات سريعة، وبينما هو يمشي رفع رأسه من دون تعمد فرأى أمامه بناية المكتبة العامة وهي مشرعة الأبواب، وحارس البناية يرش الأرض بالماء استعدادا لتنظيفها، وبعض الداخلين يتحاشون قطرات الماء المنهمرة من يد الحارس فيلوذون جانباً، بينما البعض الآخر يمر عليها غير مكترث لسقوطها على ملابسه، فبينما هو ينظر الى بناية المكتبة تذكر كلام أستاذه اليوم، وبدأت كلماته تقرع فكره، وبدأ إحساس الحيرة والتردد

من مقولاته يدب إلى قلبه من جديد، فأحس بإلحاح شديد لإيجاد أجوبة مقنعة على حيرته وتردده، فقال في نفسه: (وأي مكان أفضل من المكتبة لإيجاد حلول مقنعة لهذه الحيرة التي أعيشها؟) فقرر أن يدخل المكتبة ويتجول بين كتبها عسى أن تقع عيناه على ما يعينه وينفعه.

غير أسامة اتجاه مسيره، وانحرف بمشيته يمينا نحو بوابة المكتبة، كان الحارس قد انتهى من رش الماء، وذهب إلى مكنسته ليستعين بها على إزالة الأتربة وأوراق الشجر المتساقطة من حديقة المكتبة، صعد أسامة سلم المكتبة المؤلف من أربع درجات مصنوعة من الحجر الصلد، فتح الباب الخشبي فمر على وجهه تيار من الهواء البارد الخارج من مكيفات الهواء والممزوج بعطر طيب أنساه حرارة الشمس في الخارج.

ولما استقرت قدما أسامة في ساحة المكتبة جعل يلتفت يمينا وشمالا مستطلعا المكان ومستأنسا بأهله، فوقعت عيناه على أمينة المكتبة وهي جالسة على طاولة، وأمامها جهاز كمبيوتر تكتب فيه تارة وتارة أخرى ترمق بنظرها الداخل والخارج من المكتبة، نظرت إليه، ابتسمت وهزت رأسها هزة ترحيب، وسألته: (هل ترغب بالمساعدة؟).

فأجابها: (كلا شكراً، أريد أن آخذ جولة بين الكتب).

فقالت له: (على الرحب والسعة تفضل، وإذا احتجت إلى المساعدة فلا تتردد بطلبها) قالت هذه الكلمات وأدارت رأسها نحو الكمبيوتر عائدة إلى عملها السابق.

اتجه أسامة إلى رفوف الكتب مسروراً مبتهجاً، يقرأ العناوين وهو يتحدث مع نفسه: (ماذا لو كنت أحفظ كل هذه الكتب؟ كنت لأصبح أعلم أهل الدنيا، ولاستطعت التكلم مع أي شخص وبأي موضوع كان، في الطب وفي الهندسة وفي الزراعة والصناعة والدين والعقيدة وبأي شيء في الدنيا).

وما ان أكمل كلامه حتى تراجع عن فكرته قائلا: (أو ربما سأصاب بالجنون، لان في الكتب أفكاراً متضاربة وآراء مختلفة، أو ربما سأصبح منبوذا من قبل الآخرين، لأن كثرة العلم والقراءة توقع الإنسان في المشاكل، وتجعله دائم النقد والانتقاد للآخرين وسينبذ من المجتمع، كلا لا أريد فهذه ليست بالفكرة الصائبة).

أكمل أسامة هذه الجمل وضحك في داخله وقال: (الأفضل أن أكون كباقي الناس اقرأ وأتعلم وأحاول أن أكون مثقفا بالمقدار الطبيعي).

اتجه أسامة إلى جهة الكتب الدينية محاولا الوصول إلى كتب العقائد أو التاريخ عله يجد مبتغاه في عناوينها، قرأ مئات العناوين حتى تعب نظره وأصابه الدوار، فوقف يريح نظره بعيدا عن عناوين الكتب متطلعا إلى الحاضرين، وإذا به يلمح من بعيد شاباً ملامحه ليست غريبة عن مخيلته، ساقه فضوله أكثر فتقرب منه للتأكد أكثر والتأمل عن قريب، قال في نفسه: (انه خالد، نعم هو بعينه! ولكنه تغير كثيرا).

وصل أسامة أمام الطاولة التي كان جالسا عليها ذلك الشاب، وقف أمامه همس بصوت هادئ (خالد، هل أنت خالد؟).

رفع الشاب رأسه وأجاب بصوت فيه رقة ولطف: (نعم أنا خالد).

نظر الاثنان في وجه بعضهما وعلت على وجهيهما ابتسامة متبادلة، وقام خالد من مكانه متسائلا: (هل هذا الذي يقف أمامي هو أسامة؟).

ضحك أسامة وأجابه: (نعم أنا هو).

مد كل من أسامة وخالد أيديهما وتصافحا ثم قبّل أحدهما الآخر قبلات عدة ثم احتضن أحدهما الآخر، فهمس خالد في أذن أسامة: (تعال لنخرج إلى حديقة المكتبة لنستطيع التكلم بحرية أكبر).

فأجابه أسامة على الفور: (تفضل، وتقدم أنت أولا لأني لا أعرف الطريق إليها).

تقدم خالد ومشى أسامة خلفه واتجها نحو الباب الخشبي الموجود في نهاية قاعة المكتبة، وبينما كان أسامة يمشي حاول التأمل أكثر في وجه وملامح صديقه خالد وهو يقول في نفسه: (سبحان الله لم تتغير ملامح خالد على رغم تلك السنين وكأنه لم يكبر، فما زال رشيقا سريع الخطوات، وهو على ما فيه من نحافة الجسم فقد جمع قوة البدن وجمال الصورة، وما زال الرائي له يلمح في وجهه الأُنس والصدق والوداعة، وما زالت الشامة التي علَتْ جهة شفته اليسرى واضحة تجلب نحوها النظر، غير أن شارباً خفيفاً نبت تحتها زادها جمالاً، أما هندامه فهو كالسابق نظيف وبسيط، ولا أنسى عزة نفسه، ونقاء فطرته، وبديهيته التي تلفت انتباه كل من يحاوره ويعاشره).

حوار ساخن

وصل خالد إلى الباب الخشبي فتحه وخرج منه أولاً، ثم خرج بعده أسامة، أمسك خالد بكف أسامة، وقاده إلى ساحة كبيرة مزروعة بحشائش الثيل، وقد وزعت فيها بعض أشجار الكالبتوس بشكل انتقائي جميل، جعل منها تغطي بفيئها أغلب أجزاء الحديقة، وقد وزعت في أرجاء تلك الحديقة بعض الطاولات لمن يرغب بالقراءة في الهواء الطلق، أو لمن يرغب بالقراءة بصوت عالٍ، أو يتشارك مع أصدقائه القراءة والنقاش.

جلس أسامة وخالد تحت ظل إحدى الشجرات بعد أن نفضا الكرسي من بعض ورقات الكالبتوس، نظر أحدهما وجه الآخر نظرة مشتاق، وبادر خالد بالقول: (إيه أسامة أتذكر آخر مرة التقينا بها؟).

فأجابه أسامة على الفور: (نعم كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير من امتحانات الصف الثالث المتوسط، وبعدها لم أرك، إلا أني سمعت بأنك وأهلك قد انتقلتم إلى مدينة النجف الأشرف، وسمعت أيضا بأنك بدأت بحضور دروس الحوزة في النجف إضافة إلى دراستك الأكاديمية).

قال خالد: (صحيح ما تقول، ولكم تمنيت أن أراك وأرى بعض الأصدقاء الذين كانوا معنا في الصف قبل أن أعود إلى بيتنا، وها أنا بحمد الله أحقق أمنيتي) قال خالد هذه الكلمات وسكت وصرف بوجهه إلى الأرض وعلامات الحزن قد بدت على محياه وكأنه تذكر أمراً هيج عليه إحساس الكآبة.

أحس أسامة بوقوع أمر مهم لصديقه خالد فخاطبه بالقول: (عفوا قد يكون سؤالي تدخلا فيما لا يعنيني، ولكني لا أجد بداً عن سؤالك، هل من أمر مهم نزل بك؟ لأني أرى حالك قد تغير فجأة).

تنهد خالد ورفع رأسه عن الأرض وقال: (أنت تعرف ان أختي تسكن هاهنا مع زوجها وأربعة من أطفالها، وكل علمنا بهم انهم يعيشون عيشة مستورة بسيطة لكنها سعيدة، ولم نكن نحمل همهم كثيراً لان زوجها رجل متدين وهو قائم بجميع شؤونهم الحياتية، كان هذا تصورنا عنهم، إلى أن دق جرس الهاتف ذات ليلة، فرفعت أمي سماعة الهاتف، وعرفنا من كلماتها ان المتصلة هي أختي، وبعد كلمات الترحيب والشوق والسؤال عن الحال بدأت أمي تسكت طويلا وهي تستمع إلى كلام أختي، وبدأ مع طول سكوتها لون وجهها يتغير، ولم تعد تقوى على الكلام أكثر من قول: لا، غير معقول!!

ثم تسكت طويلا وتقول: ومتى حدث هذا؟.

ثم تسكت وتقول: ولماذا لم تخبرينا كل هذه المدة؟.

ثم بدأت أمي تبكي، فهرعنا إليها مستفسرين عن الخبر، وعن سبب البكاء فسمعنا ان أختي تبكي أيضا وبصوت عالٍ، أخذت سماعة الهاتف وناديتها:

أخبريني ما الخبر؟ ولماذا هذا البكاء؟ هل حدث لكم مكروه؟.

فأجابتني بثلاث كلمات فقط: زوجي مصاب بالسرطان.

إنصعقت، ذهلت، لم أستطع بعدها النظر إلى ما حولي، ولا التفكير بشكل واضح، صحت: لا، لا غير معقول!! هل ذهبتم إلى الطبيب؟ هل تأكدتم؟.

فردت علي بصوت متقطع نعم ذهبنا والأمر ليس بالجديد فمنذ سنة وهو يعاني من هذا المرض، لكني لم أخبركم كي لا تتأذى أمي، وقد أخبرتكم الآن لان صحته قد تدهورت هذه الأيام بشكل كبير وهو الآن طريح الفراش.

أقفلت الهاتف بعد أن أخبرتها بأني سآتي إلى بيتهم غدا بصحبة أمي وأبي لنرى ما يمكننا أن نفعل، ومنذ ثلاثة أيام ونحن هنا، وزوج أختي لا هو ميت فينعى ولا هو حي فيرجى).

قال خالد هذه الكلمات وقطرات الدمع بدأت تسيل على خده فبادر مسرعا إلى مسحها بمنديل أخرجه من جيبه، لم يتمكن أسامة من فعل شيء سوى قيامه من كرسيه واحتضان خالد وتصبيره بكلمات العزاء والمواساة.

جلس خالد وأسامة من جديد، فبادر خالد بالكلام: (هذه أخباري فما أخبارك؟ وما الذي جاء بك إلينا اليوم؟ فإني لم أعهدك من قبل ترتاد المكتبة).

ابتسم أسامة وقال: (جاء بي إلى هنا نفس السبب الذي جاء بك).

خالد: (عفوا، لم أفهم قصدك).

أسامة: (الخوف يا صديق هو الذي جاء بنا جميعا، فأنت في بلدتنا بسبب

خوفك على أختك وزوجها، وأنا هنا بسبب خوفي على نفسي).

تبسم خالد وقال: (مالك يا صديقي؟ أراك تتكلم بالألغاز، أفصح أكثر عسى أن أعينك أو أساعد على تبديد مخاوفك).

قص أسامة على خالد حضوره لدروس الدورة الصيفية في المسجد، وعن أقوال أستاذه في درسه الأول، وعن تأييده له في كل ما قاله، وعن تردده بعد ذلك، ومن ثم حضوره إلى المكتبة ليجد إجابة على تساؤلاته وحيرته.

فما ان انتهى أسامة من سرد محنته قال له خالد: (أنت قد سمعت من أستاذك رأياً واحداً، فهلا سألت نفسك عن وجود رأي آخر في المسألة؟إذ لعل ذهاب همك وانجلاء حيرتك تكمن في معرفتك للرأي الآخر، لاسيما إذا كان هذا الرأي الآخر أقوى وأمتن من رأي أستاذك، فأستاذك يا أسامة تكلم من وجهة نظر شاذة عن رأي بقية علماء مذهبنا، ومن زاوية مخالفة لما هو ثابت في التاريخ).

أسامة: (ولكن أقواله كانت مقبولة وواقعية فما قيمة أن تكون السيدة الزهراء أفضل من مريم أو تكون مريم أفضل منها؟ وما أثر هذا الأمر في حياتنا؟ ثم لماذا يجب أن نخوض في صراع أكل عليه الدهر وشرب؟ وقد وقع في زمن لم نكن فيه، وقد تصالحت أطراف النزاع فيما بينها، فإذا كان المتنازعون قد رضي بعضهم على البعض الآخر، فلماذا ننزعج نحن ونطلب بثارات قد تنازل عنها أصحابها؟ ثم إني أميل إلى القول بأن القضية بجميع تفاصيلها مفبركة، وهي أشبه بالخيالات، ومن أوضح الأدلة على كونها مفبركة هي مسألة وجود الأبواب، فالأبواب اخترعت حديثا، وكذلك المسامير والأقفال وغير ذلك، وإذا لم يكن

هنالك باب أصلا، فكيف يقولون بأن السيدة الزهراء قد عصروها بين الحائط والباب؟! فهذه القصة شبيهة بالذي يأتي ويقول ان بلالاً الحبشي مثلاً قد توفي لأن سيارة دهسته، أو سقطت طائرته عندما كان مسافراً من مطار مكة إلى مطار دمشق).

ضحك أسامة ضحكة عالية، ونظر إلى صديقه خالد ظنا منه بأنه سيشاركه الضحك، ولكنه فوجئ بأن خالدا كان منكسا رأسه إلى الأرض وهو يهز برأسه متأسفا متحسرا، فأحس أسامة بالحرج والخجل فسكت من ضحكه.

نظر خالد إلى ساعة في يده ثم نظر إلى أسامة وقال: (وقت صلاة المغرب قد اقترب، وأنا مضطر للذهاب إلى البيت، لكن إذا أردت معرفة الجزء الآخر من الحقيقة، فيمكنك المجيء غداً إلى هذا المكان، لأوضح لك بعض ما خفي عنك، أو بعض ما تعمد أستاذك إخفاؤه عنك).

قام خالد من مجلسه ومد يده مودعا، فتصافحا وتمنى أحدهما للآخر يوما سعيداً وتوفيقا مستمراً.

انكشاف الحقيقة

انطلق أسامة إلى بيته بعد أذان المغرب، ووجد سيارة الأجرة التي يعمل عليها أبوه مركونة في مكانها المعتاد، دخل البيت فوجد أباه واقفاً على سجادته يصلي، ووجد أمه تعد سفرة العشاء، وما ان وقعت عيناها عليه قالت له: (هل صليت؟).

فأجابها: (لا، لم أصلِّ بعد).

فقالت: (هيا لا تضيع الوقت، صلِّ كي نتعشى، فأبوك جائع وما زال من دون غداء).

هرول أسامة إلى غرفته توضأ وصلى ثم نزل فوجد السفرة قد مدت ووزعت عليها أطباق الأكل وأكواب العصير، أكل أسامة ثم قام ومدد أمام التلفاز، تارة يشاهد، وتارة يمازح الحاضرين، وتارة يفكر بلقائه مع خالد، وهو يقول في نفسه: (أترى كان لقائي بخالد اليوم مجرد صدفة؟ أم إن الحكمة هي التي ساقتني وساقته إلى قاعة المكتبة ثم إلى حديقتها؟ ويلاي يا لها من حيرة! ألم يكن من الأفضل أن أذهب إلى لعب كرة القدم مع الأصحاب؟ فلو لم أذهب إلى درس المسجد لما حلت بي هذه الحيرة).

حينها شعر أسامة برغبة شديدة في ترك الذهاب مجددا إلى درس الغد في المسجد، بل وترك الذهاب إلى المكتبة ورؤية صديقه خالد مرة أخرى، وترك التفكير في ما عاشه من حيرة والذهاب إلى كرة القدم ونسيان الأمر بالكلية، ولكنه رجع وقال في نفسه: (ما هذه الانهزامية يا أسامة؟! فهل الشجاعة تكمن في الهرب من المشكلة أم في مواجهتها؟ إذا أردت أن لا تذهب إلى دروس المسجد فلا تذهب، لكن على أقل تقدير اذهب إلى صديقك خالد لتعرف الجزء الآخر من الحقيقة، فإن أعجبك الكلام فبها، وإن لم يعجبك الكلام فجد لصديقك خالد عذراً تتملص به منه ومن حواره).

فكان قرار أسامة الأخير هو أن لا يحضر دروس المسجد حتى يلتقي بصديقه خالد، فإن أثبت له بأن أستاذه الذي في المسجد قد أخفى الحقيقة وزورها فإنه سيترك دروسه إلى الأبد، وأما إن لم يثبت له ذلك فسيترك صديقه خالداً ويعود إلى درس المسجد.

انقضت ساعات الليل سريعاً، وجاءت ساعات النهار، وصارت الساعة الخامسة عصراً، اتجه أسامة إلى بناية المكتبة العامة، وجد حارس البناية جالساً على كرسيه في الباب وهو يلف سيجارة وينفض من على ثوبه بقايا التبغ المتساقط، وصل أمامه سلم عليه أسامة فرد الحارس من دون أن يرفع بصره إليه، واستمر في إشعال سيجارته واستنشاق أكبر قدر من الدخان ليعيد إخراجه من جديد على شكل سحابة بيضاء تنتشر وتتبدد في الهواء.

كان هذا المنظر يريح الحارس ويشعره بالقوة، ويخيل إليه بأنه بركان يرمي

بشره بكل اتجاه، لكن هذا الأمر كان يزعج المارين من قربه، ويحدوهم إلى حبس النفس في أثناء مرورهم من قربه.

دخل أسامة قاعة المكتبة، أجال بنظره يميناً وشمالاً، فلما لم يجد صديقه خالداً بين الحاضرين اتجه مباشرةً إلى الباب المؤدية إلى حديقة المكتبة، خرج منها، أجال بنظره، فوجد صديقه خالداً جالساً على مقعد بعيد في نهاية الحديقة، وأمامه مجموعة كبيرة من الكتب، بعضها مفتوح وبعضها مغلق، وخالد منهمك في تسجيل أشياء في ورقة كانت أمامه.

انتبه خالد إلى وقع أقدام أسامة فلوح له بيده ليأتي إليه، وصل أسامة إلى الطاولة، فقام خالد وصافحه وقبل أحدهما الآخر، ثم قال: (تفضل اجلس يا صديقي).

جلس أسامة، وتبادلا كلمات الترحيب والاشتياق، فسأل خالد: (كيف هي والدتك يا أسامة؟).

أسامة: (بخير والحمد لله، وقد أخبرتها البارحة بقدومك فحملتني السلام لك ولوالدتك وقد وعدت بزيارة بيت أختكم لرؤية والدتك وأختك، ولتطمئن على أحوال مريضكم).

خالد: (أتعلم ان والدتك امرأة عظيمة، وهي أفضل من كثير من النساء اللاتي جاورناهن في الماضي والآن، فنعم المرأة الصالحة)، شعر أسامة بالارتياح والفخر لانتمائه إلى هذه المرأة الصالحة.

قال خالد وهو ينظم الكتب التي أمامه: (أخبرني: بأي سؤال تريدنا أن نبدأ أولا؟).

أسامة: (الأمر لك، فكلها مهمة بالنسبة إلي).

خالد: (ما رأيك لو بدأنا بأهمية القول بتفضيل السيدة الزهـراء عليهـا الـسلام على مريم أو غيرها من الصحابة والصحابيات؟ وهل ان لهذا الأمـر أثـراً فـي دنيانـا وآخرتنا؟).

أسامة: (لا بأس بذلك).

خالد: (أليس أستاذك يقول: إن فكرة تفضيل نبي على نبي آخر، أو تفضيل إمام على نبي، أو تفضيل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها علـى مـريم، لا يجنـي الخائض فيه أية فائدة على مستوى الـدين أو الـدنيا سـوى إتعـاب الفكـر وإرضـاء الزهو الذاتي؟). أسامة: (نعم).

خالد: (هل تعلم يا أخي العزيز بأن الله سبحانه أول من فضل الأنبياء بعضهم على بعض حيث قال: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»[(١)] فالقرآن كما ترى قد خـاض فـي مـسألة التفـضيل، فهـل يعني ذلك أن القرآن يتكلم عن أشياء ليس من ورائها فائدة؟).

أسامة: (حاشا لله فالقرآن لا يقول شيئا من غير فائدة، ولكن ربما يكون هذا التفضيل قد جاء ذكره في القرآن بشكل عرضي في هذه الآية فقط).

خالد: (بل جاء ذكر التفضيل والتفاضل بين الأنبياء في أكثر من آيـة كقولـه تعالى:« وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ»[(٢)]، وقوله تعالى: «وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٥٥.

وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ»[١]، وكقوله سبحانه: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ»[٢]، فهذه أربع آيات ورد فيها لفظ التفضيل صراحة، وأربع آيات يعني أنها بعدد آيات سورة التوحيد، وأكثر من عدد آيات سورة النصر، لأن آيات سورة النصر ثلاث آيات).

أسامة: (آمنت بأن التفضيل منهج قرآني، ولكن ما فائدته في وقتنا الحاضر؟ فالبشرية تخطوا خطوات واسعة في التكنولوجيا والتطور الصناعي، فهل من المعقول أن نأتي ونجلس في بيوتنا ونفكر في من هو الأفضل مريم أم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، فهل هذا الأمر سيشارك في تقدمنا العلمي؟).

خالد: (لا ربط بين مسألة التقدم العلمي وبين القول بأفضلية السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها على السيدة مريم عليها السلام، والقول بأفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لا يعني ان نوقف العقل عن التفكير والإبداع، ألا ترى ان الغرب يؤمن بأفضلية نبي الله عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل ويعدّونه إلها يعبد، ولكنهم مع ذلك ينتجون ويتطورون ويبدعون في مجال الصناعة والتكنولوجيا، واليابان يعتقدون بأفضلية إلههم بوذا على جميع الآلهة مع انه صنم من حجارة منحوتة، ولكنهم مع ذلك ينتجون ويتقدمون ويبدعون، فالقول بأفضلية موجود على موجود آخر لا يمنع

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٨٦.

(٢) سورة النمل الآية رقم ١٥.

الإنسان من التقدم والرقي، ولكن مشكلتنا نحن - المسلمين - أن نعلق فشلنا وتقاعسنا على قضايانا الدينية).

أسامة: (هل تستطيع أن تعطيني بعض الفوائد التي يمكن أن أجنيها من القول بأفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على مريم أو على عائشة بنت أبي بكر أو على غيرها من الصحابيات؟).

خالد: (بعض منافع القول بتفضيل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على مريم أو عائشة أو باقي الصحابيات وحتى نساء عصرنا هي منافع دنيوية، وبعضها الآخر منافع أخروية، وقبل أن أتكلم في المنافع، هل لي أن أسألك سؤالا؟).

أسامة: (نعم تفضل).

خالد: (هل لك أن تخبرني ما كان شعورك حينما أخبرتك بأن والدتك امرأة جليلة القدر وأنها أفضل من كثير من النساء؟).

أسامة: (شعرت بالفخر لانتمائي إلى امرأة هي أفضل من كثير من النساء، وأحسست بأني أفضل من كثير من الشباب الذين لم يحظوا بأم مثل أمي).

خالد: (أوَتعدّ كون والدتك أفضل من كثير من النساء منفعة أم مضرة؟).

أسامة: (بالطبع منفعة، بل لو كانت دون النساء لأحسست بالضرر البالغ والخجل).

خالد: (قولك هذا نفسه يمكن أن نطبقه على مسألة تفضيل السيدة الزهراء

صلوات الله وسلامه عليها، فانتماؤنا وانتماء عقائدنا وأفكارنا وانتسابنا إلى سيدة هي الأفضل من جميع نساء العالمين هو بذاته فخر وسمو، يشعرنا بأفضليتنا وأفضلية مذهبنا وأفضلية عقائدنا على جميع مذاهب المسلمين الأخرى وعقائدهم، لأن العقيدة الفاضلة والمذهب الأفضل والفكر الأفضل هو الذي يجمع أكبر عدد من الأشخاص العظماء.

ومذهبنا له هذه الخاصية، فأئمتنا أفضل البشر باعتراف القاصي والداني، فمنهم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه سيد الوصيين، ومنهم الزهراء صلوات الله وسلامه عليها سيدة نساء العالمين، ومنهم الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما سيّدا شباب أهل الجنة، ومنهم المهدي صلوات الله وسلامه عليه، فمذهب يقوم على هؤلاء الأطهار أحق أن يتبع، وعقيدة تؤخذ من سيد الأوصياء وسيدة النساء وسيدي شباب أهل الجنة لهي مضمونة الصحة يشهد لها ظاهرها على باطنها.

بل لو كان لنا قادة وأئمة غير هؤلاء الأطهار لأحسسنا بالضرر والخجل، كالذين جعلوا من معاوية بن أبي سفيان أو يزيد بن معاوية أو الحجاج أئمة لهم).

أسامة: (صدقت وأحسنت، فلو كنت من أتباع هند آكلة الأكباد، أو التي خالفت أمر النبي وخرجت تجر الناس وتقتل المسلمين، أو الذي قتل ريحانة النبي الهادي لشعرت بالحرج والخجل الشديدين، فالحمد لله على نعمة الانتماء لسيدة النساء وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

خالد: (والقول بأفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على بقية نساء العالمين؛ ينتج عنه ازدياد لمعرفة المؤمن بربه وبأئمته، والازدياد في المعرفة فضيلة عظيمة،

حيث ورد في عدد من الروايات الشريفة أن الإيمان عشر درجات، وكلما ترقى الإنسان في المعرفة بالله وبأوليائه ترقت درجته، كما وروي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «أفضلكم إيمانا أفضلكم معرفة»[١]، كما وروي عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «إن القلوب أوعية فخيرها أوعاها»[٢]، كما وروي عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انهم قالوا: «بَعضُكُم أَكثَرُ صَلاةً مِن بَعض، وبَعضُكُم أَكثَرُ حَجًّا مِن بَعض، وبَعضُكُم أَكثَرُ صَدَقَةً مِن بَعض، وبَعضُكُم أَكثَرُ صِيامًا مِن بَعض، وأفضلكُم أفضلكُم مَعرِفَةً»[٣]، فجميع هذه الأحاديث وغيرها تؤكد على ان مستوى الإيمان والفضل يعتمد على مستوى معرفتنا بالله سبحانه وبالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبباقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

توقف خالد عن الكلام ريثما يشرب جرعة من الماء، وليعطي أسامة فرصة لاستيعاب الحوار، ولكي يسأل إذا كان عنده أي سؤال أو استفسار، ثم قال: (هل تعبت؟ أنتوقف أم نكمل؟).

أسامة: (بل نكمل، لأني مشتاق لمعرفة المزيد، فهل يوجد شيء إضافي لم تخبرني به؟).

خالد: (أتعلم يا أخي أن معرفة الله حق معرفته متوقفة على معرفة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة والصديقة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حق معرفتهم؟).

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣ ص١٤ باب ١ ثواب الموحدين والعارفين، حديث رقم ٣٧.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٢٢٧.

(٣) صفات الشيعة للشيخ الصدوق ص١٥.

أسامة: (وكيف يكون هذا وما دليله؟!).

خالد: (دليله ما ورد في عدة من الروايات الشريفة وأقوال علماء المذهب قدس الله أرواحهم، فمن الروايات قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: «إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل و [لا] يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا»[1].

ومنها قول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: «نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا»[2]، فهاتان الروايتان تصرحان بما لا يقبل الشك بأن معرفة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقدمة لمعرفة الله سبحانه، وان معرفتهم باب لقبول الأعمال).

أسامة: (لحظة من فضلك، أنا أرى ان هذه الأحاديث خاصة بالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا دخل للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها فيها، لأنها تتكلم عن معرفة الإمام وليس عن معرفة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

خالد: (يوجد جوابان على سؤالك، الأول: هو ان الإمام هنا بمعنى الحجة وليس بمعنى الشخص المكون من لحم ودم، فالإمام بصفته حجة الله تكون معرفته مقدمة لمعرفة الله سبحانه، والسيدة الزهراء داخلة في هذه الروايات لكونها حجة من حجج الله سبحانه فتكون معرفتها أيضا مقدمة لمعرفة الله سبحانه.

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

والجواب الثاني: هو ان بعض الروايات قد صرحت بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كانت حجة على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتكون حجة على بقية المكلفين من باب أولى، فما ثبت لهم بعنوان كونهم حجة وإماماً يثبت لها صلوات الله وسلامه عليها بطريق أولى).

أكمل خالد كلامه ثم جعل ينظر في الورقة التي أمامه وقال: (وهنالك فائدة أخرى من فوائد معرفة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فمعرفتها صلوات الله وسلامه عليها سبب من أسباب تضاعف الحسنات وقبولها، وهي شرط من شروط دخول الجنة، وكلما عظمت معرفة الإنسان بها وبغيرها من المعصومين عظمت درجته في الجنة).

أسامة: (لا أظنك تتكلم من وحي الخيال أو من استنتاجاتك، فهل لهذا الكلام دليل؟).

خالد: (بالطبع يوجد دليل روائي على هذه الحقيقة، فعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: «سألته عن قوله وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا ومن كان منا كان في الجنة ومن أنكرناه في النار»[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه انه قال: «وإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّه عَلَى خَلْقِه وعُرَفَاؤُه عَلَى عِبَاده ولا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ عَرَفَهُمْ وعَرَفُوه ولا يَدْخُلُ النَّارَ إِلاّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وأَنْكَرُوه»[2]).

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٥١٩.

(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ١٥١ تحقيق صبحي الصالح.

أسامة: (ولكن هذه الأحاديث تتكلم عن أشخاص الأئمة عليهم السلام، فأصحاب الأعراف هم الأئمة فقط، وخطبة الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه تتحدث أيضا عن الأئمة فمن عرفهم وعرفوه دخل الجنة ولا وجود للسيدة الزهراء في هذين الحديثين، وعليه فلا يمكنك الاستفادة من الحديثين لبيان فائدة معرفة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

خالد: (بل توجد أحاديث صرحت بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها من ضمن أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلا بسيماهم، فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليها قوله: «... ليكونن على الأعراف بين الجنة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والطيبون من آلهم...»[١].

وأما خطبة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فهي وان تحدثت عن الإمام لكن السيدة الزهراء تكون داخلة فيها إما لأنها حجة أو لأنها حجة على الأئمة، فيكون كل ما لهم من حق وفضل واجب لها من باب الأولوية، كما أوضحنا ذلك قبل قليل).

أسامة: (آية الأعراف تصرح بأن الذين على الأعراف هم رجال، ومعنى أنهم رجال أي ليس فيهم نساء، فكيف أن القرآن يقول رجال والحديث يقول رجال ونساء؟).

خالد: (الآية القرآنية لا تريد بذكر لفظ «رجال» الحصر والتعيين، بل ان لفظ الرجال قد ورد فيها للتغليب، فلأن أغلب الواقفين على الأعراف هم رجال

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٨ ص٤٤.

جاء اللفظ مناسبا لهذه الأغلبية، وتوجد أمثلة كثيرة في القرآن الكريم جاء فيها الخطاب بصيغة التذكير مع ان المخاطب فيها هو النساء والرجال معا).

أسامة: (إلى الآن عرفت أن معرفة المعصومين ومنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها شرط من شروط دخول الجنة، فما هو الدليل على كون معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سبباً من أسباب تضاعف الحسنات وقبولها، وسبباً لارتفاع درجة المؤمن في الجنة؟).

خالد: (أما كون معرفة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سبباً لزيادة وتضاعف الحسنات فدليله ما ورد في ثواب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: «قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقه غير مستكبر ولا مستنكف، قال: يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيا كتب سعيدا ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل»[1].

وتوجد روايات أخرى كثيرة بهذا المضمون حول من زار الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عارفا بحقه، ومن زار الإمام الرضا عارفا بحقه، بل ومن زار السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عارفا بحقها فله الجنة[2]، والسيدة الزهراء حقها أعظم من حق فاطمة بنت موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليها، فيكون معرفة حقها أولى بالثواب وأولى بمضاعفة الحسنات).

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٠٧ الباب ٦٧ في ان زيارة الحسين عليه السلام تعدل عتق الرقاب.

(٢) (عن سعد، عن علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، قال: قال:. يا سعد عندكم لنا قبر، قلت له: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى (عليهما السلام)؟ قال: نعم، من زارها عارفا بحقها فله الجنة).

أسامة: (أنا أرى ان هذا الأمر خاص بالزيارة لهؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا يمكن سحبه على جميع عبادات الإنسان، وبمعنى آخر، هل تؤثر معرفتهم في مضاعفة أجر الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات؟).

خالد: (بالطبع تؤثر معرفتهم في كل فعل من أفعال الإنسان العبادية وغير العبادية حتى النظر والسمع والمشي والكلام، فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: «من نظر إلى الكعبة بمعرفة فعرف من حقنا وحرمتنا مثل الذي عرف من حقها وحرمتها غفر الله له ذنوبه وكفاه هَمَّ الدنيا والآخرة »[(١)].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: «... اعرف واعمل ما شئت من الخير، فإنه لا يقبل منك ذلك بغير معرفة، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من الطاعة قلّ أو كثر فإنه مقبول منك»[(٢)].

وجاء في نهج البلاغة قوله صلوات الله وسلامه عليه: «فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله. وقامت النية مقام إصلاته لسيفه»[(٣)].

فالعارف بحقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يكون نومه عباده ونظره عبادة وموته على فراشه شهادة، ومن جلستنا هذه يتبين بأن الخوض في تفضيل السيدة الزهراء على غيرها من النساء علم ينتفع من علمه ويضر من جهله وأنه ليس نوعاً من أنواع

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٤ ص٢٤١.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص٢٥٠.

(٣) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٩٠.

الترف الفكري).

نظر خالد إلى الأفق فرأى أن الشمس على وشك المغيب، فرتب أوراقه والكتب التي أمامه، وبينما هو يجمع ما تناثر منها قال: (لا استطيع غدا المجيء إلى هنا، فسأذهب مع زوج أختي إلى المستشفى لعمل الفحوصات اللازمة، وستكون غداً أنت المعلم وأنت التلميذ في الوقت نفسه).

ابتسم أسامة ونظر له نظرة متعجب وقال: (وكيف سأكون أنا المعلم وأنا التلميذ في الوقت نفسه؟!).

خالد: (الأمر بسيط، ستأتي غدا إلى المكتبة، وتقرأ الكتب وتحاول أن تجد الحقيقة بنفسك).

أسامة: (وكيف سأجد الحقيقة وأنا لا أعرف محتوى الكتب ولا أين أجد ضالتي؟).

خالد: (الأمر بسيط، فحينما تأتي غداً اذهب إلى فهرست المكتبة، وستجدها مرتبة إلى قسمين، قسم للكتب الدينية وقسم للكتب الأكاديمية، اذهب إلى الدينية وسترى أنها مرتبة ضمن أقسام فقسم للتفسير وقسم للحديث وقسم لسيرة أهل البيت عليهم السلام، ثم ان قسم أهل البيت مقسم إلى أقسام، وستجد أن هنالك قسماً خاصاً بالسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فاقرأ وسجل وحينما أحضر سنتناقش).

أسامة: (وكيف سأستطيع إيجاد المطلوب في كتب أنا لم أقرأها بل لم أرها في حياتي؟).

خالد: (الأمر بسيط للغاية، خذ الكتاب واذهب إلى آخره، فهنالك يوجد شيء اسمه الفهرست، والذي يحتوي على مواضيع الكتاب كله، قلب في عناوين الفهرست واختر ما يتناسب مع نوع سؤالك، وإذا لم يفلح بحثك في كتاب معين فجرب غيره من الكتب).

أسامة: (أف، انها مهمة صعبة، أليس من الأفضل أن أنتظرك ريثما تعود؟).

خالد: (لا تكن كسولا، فالأمر ليس صعبا ولا هم يحزنون، وعندما ستجربه ستجده سهلا للغاية، كما انه سيعلمك أن تبحث بنفسك وأن لا تكون إنسانا اتكالياً يأخذ العلم بالمجان من دون تعب).

أسامة: (حسنا سأحاول، ولكني لا أعدك بالنجاح). ضحك خالد ونهض الاثنان وودع كل واحد منهما صاحبه وانطلقا كل إلى منزله.

سخرية وإصرار

وضع أسامة رأسه على الوسادة بعد ان نام الجميع، وأخذ يفكر في أحداث النهار، واسترجع فقرات حواره مع خالد كي لا ينساها، وكم تندم لعدم أخذه دفتره وقلمه معه كي يقيد الحوار الذي دار، فهو لم يتوقع أن يكون الحوار بهذا الشكل من الاستشهاد بالآيات والروايات، فهو قد توقع أن يكون حواره مع خالد شبيه بدرس الأستاذ الذي حضر عنده في المسجد، لأن أستاذ المسجد لم يقدم في درسه آية ولا رواية، واكتفى بالتشكيك تارة وبالنفي تارة أخرى، فقرر ان لا ينسى في لقائه الآخر مع خالد أخذ دفتره وقلمه، ولماذا الدفتر والقلم؟، أليس من الأفضل أخذ جهاز تسجيل؟، لأن الكتابة تضيع عليه فرصة استيعاب جميع فقرات الحوار، وتجعله منصرف الفكر إلى الكتابة فقط دون الفهم الدقيق للكلام.

ولكن تبقى هنالك مشكلة أساسية وهي ان مدرس المسجد ما زال إلى الآن يبث أفكاره في المسجد، وما زال جمع غفير من الشباب يذهبون إليه، ويأخذون من فكره، ويتأثرون بكلامه، وليس للجميع معرفة بأن أقوال أستاذهم ما هي إلا أفكار شخصية ليس لها رصيد من الحقيقة ولا البرهان.

ففكر في طريقة لتنبيه الحاضرين عنده بخطر حضورهم عنده، واستماعهم إليه، وفكر أن يحضر عنده مرة أخرى ثم يناقشه داخل درسه ويثبت للحاضرين عدم صدق أقواله وتحريفه للحقائق، ولكنه تردد بسبب أنه ما زال إلى الآن لا يمتلك رصيداً كافياً من المعلومات التي تؤهله للقيام بهذه المهمة، بعكس أستاذ المسجد الذي له قدرة وقابلية على التلاعب بالألفاظ والقفز من موضوع إلى موضوع آخر، وعليه فستكون نتيجة المواجهة فاشلة، وسينتج عنه ردة فعل عكسية لدى الحاضرين ستزيد من انبهارهم به أكثر، فتراجع عن فكرته هذه.

وجالت في عقله فكرة ثانية، وهي أن يأخذ بنصيحة صديقه خالد، فيذهب إلى المكتبة غداً، ويبحث عن أجوبة لباقي الأسئلة، ويجمع الأدلة على كذب وتدليس أستاذ المسجد، فإذا استطاع أن يفعل ذلك، فانه سيتمكن حينئذ من الحضور في المسجد، وفضح أستاذه أمام جميع الحاضرين، وسيحاول أن يستعين بصديقه خالد كي يحضر معه في المواجهة، نعم فهو الأقدر على الكلام والاستدلال وسنكون أنا وهو جبهة قوية نستطيع من خلالها وضع حد لهذا المشكك.

استسلم أسامة إلى النعاس وغط في نوم عميق، وما هي إلا ساعات حتى قام إلى صلاة الصبح، فصلى ونام مرة أخرى ليستيقظ في الساعة التاسعة على صوت أمه وهي تناديه: (أسامة، أسامة، استيقظ، فأصحابك في الباب ينتظرون).

خرج أسامة إلى أصحابه وقد تهيأ لعشرات الأسئلة والتهكمات التي ستواجهه ما إن يفتح الباب، وصل إلى الباب وجد أصحابه قد وقفوا في ظل

الشجرة التي أمام المنزل، وما إن وقعت أعينهم عليه حتى أشاروا إليه أن تعال إلينا لأننا لا نستطيع الكلام قرب الباب، ذهب إليهم بخطوات متثاقلة، وصل إليهم ومد يده ليصافحهم فقال له أحدهم: (أما تستحي من نفسك، تتركنا البارحة وتذهب إلى المكتبة؟!).

وقال له الآخر: (المكتبة، ها ها ها، ألم تجد مكانا آخر يا رجل؟!).

وقال ثالث: (هل جننت تذهب لتقرأ الكتب ونحن الآن في عطلة؟!، ألا تعلم بأن القراءة في العطلة عيب؟!).

أخذ أصحاب أسامة بيده وجروه قائلين: (تعال لنذهب إلى المتنزه، وبعدها نذهب إلى المسبح).

اتجه الجميع إلى متنزه الحي، وصلوا فجلسوا تحت ظل شجرة كبيرة، فقال أحدهم: (أريد أن أحكي لكم نكتة مضحكة، كان هنالك أب يذهب دوما إلى المكتبة ليقرأ مثل بعض الناس الذين تعرفونهم، وحينما رجع يوما من الأيام من المكتبة سأله ابنه: بابا أين يقع برج إيفل؟ فقال له الأب: لا أدري، فقال له الابن: بابا وما هو السيراميك؟ فقال الأب: لا أدري، فقال له الابن: بابا ما هو الإيميل؟ فقال الأب: لا أدري، فقال له الابن وما هي العولمة؟ فقال لا أدري، فصاحت الأم من بعيد: لا تزعج أباك أيها الولد فأبوك تعبان من القراءة، فصاح الأب: لا خلي الولد يستفيد).

نظر الجميع إلى أسامة وضحكوا ضحكا عاليا، فصاح آخر اسمعوا هذه النكتة المضحكة: (يوجد شخص يذهب إلى المكتبة مثل صاحبنا الذي تعرفونه،

وفي يوم من الأيام رجع إلى بيته وقال لزوجته اليوم قرأت قصة عجيبة غريبة، ومن كثر ما هي غريبة لن تصدقيني حينما سأقصها عليك، وستقولين بأني كذاب، لكن أنا لست كذابا، أنتِ الكاذبة، وعائلتك أيضا كذابون، أيتها الجاهلة القبيحة أذهبي فأنتِ طالق طالق طالق).

نظر الجميع إلى أسامة أيضا وضحكوا حتى وقع بعضهم على ظهره من فرط الضحك، وقال ثالث اسمعوا: (يوجد شخص مثل صاحبنا الذي لا نريد أن نقول اسمه يذهب دوما إلى المكتبة ولا يقرأ إلا كتب الكيمياء، ومن شدة حبه لكتب الكيمياء والمواد الكيميائية حينما ولد له ولد سماه أسامة أكسيد الكاربون).

أشار إليه الحاضرون أثناء ضحكهم، وقال له احدهم: (لا تنسَ أن تسمي ابنك سامي كلوريد الصوديوم، كي يسموك أبو سامي كلوريد الصوديوم).

كان أسامة يضحك تارة، ويقطب حاجبيه وينزعج تارة ثانية، ويرميهم بعبارة (أيها الجهلة، يا أعداء الكتب والمكتبات) تارة ثالثة، ثم قام من مكانه وقال: (إما أن تنتهوا أو أرجع إلى بيتي وأشاهد التلفاز فقد مللت مزاحكم البارد).

نهض الآخرون وقالوا: (لا تذهب ولا تنزعج ودعنا نذهب إلى المسبح) ذهب الجميع ومضت ساعات الصباح بالضحك والمرح واللهو، ومع ان أجواء اللقاء كانت مليئة بالسخرية من أسامة لارتياده المكتبة إلا أن هذا لم يزده إلا إصرارا على مواصلة البحث بسبب ما أحس به من لذة العلم ولأنه علم بأن من وراء عالم اللعب والصبيانية عالماً آخر من المعرفة مودعاً في بناية المكتبة يستحق من الإنسان التجربة.

عاد أسامة إلى البيت متلهفا لشيئين الأول: طعام والدته، فقد صرف اليوم طاقة جعلته يستطيع أن يأكل جملا مشويا، والثاني: لسريره كي يأخذ غفوة ويرتاح ريثما يصير وقت العصر لينطلق إلى المكتبة من جديد.

وفي تمام الساعة الخامسة عصرا كان أسامة أمام باب المكتبة، لكنه لم يرَ الحارس أمامه كما تعود كل مرة، دخل إلى قاعة المكتبة، نظر إلى أمينة المكتبة وعلى وجهه آثار الحيرة، ابتسمت إليه وقالت: (هل تحتاج إلى مساعدة؟).

مشى نحوها بخطوات خجولة وقال: (أين أجد الكتب التي تتحدث عن السيدة الزهراء؟).

فقالت له: (وعليك السلام، تجدها حينما تتجه بشكل مستقيم في هذا الممر ثم تنعطف يمينا، فستجد رفوفا مكتوبا عليها عبارة: أهل البيت ـــ السيدة فاطمة الزهراءـ)، تذكر أسامة بأنه تكلم من دون أن يسلم فأحرج أكثر، فوجه لها عبارة شكر، واتجه إلى حيث دلته.

تأمل أسامة في عناوين الكتب الموضوعة في رفوف هذا القسم، فوجد مئات العناوين المختلفة، ووجد صعوبة في انتقاء ما يبتغيه، ثم وفجأة تذكر كلام صديقه خالد حينما نصحه بأن يطالع فهرست الكتب، فطالع فهارس عشرات الكتب وانتخب مجموعة منها ثم حملها ليخرج بها إلى حديقة المكتبة حيث اعتاد على الأجواء هناك.

خرج إلى الحديقة فوجد أمامه حارس المكتبة واقفاً أمام شجرة كبيرة حاملاً بيده مقصاً حديدياً كبيراً يقطع به أغصان تلك الشجرة، وهو يتمتم بين نفسه

بكلام كأنه يخاطب شخصا أمامه، فلما وصل أسامة بالقرب منه سمعه وهو يقول: (هل تذكر يا حميد ـ وهو اسم الحارس ـ حينما زرعت هذه الشجرة قبل عشر سنوات، إيه إيه كأنها البارحة، وأنت اليوم تقص أطرافها، والله يعلم هل أنت موجود السنة القادمة أم سيأتي غيرك فيقص لها فروعها ويزينها؟).

سلم عليه أسامة فرد كعادته وهو غير مكترث، فجلس أسامة غير بعيدٍ عنه كي لا يزاحم نقاشه مع الشجرة، وضع الكتب أمامه وأخرج دفتره وقلمه وبدأ باختيار أول كتاب، ثم الثاني والثالث والرابع، كان يقرأ ويسجل كل ما يعتقد بأنه مهم، إلى أن تعب، نظر إلى ساعته فلاحظ ان الوقت قد مر بسرعة كبيرة، فها هي ساعتان قد انقضتا، نظر من حوله فوجد شخصين جالسين على مقعد يقع في ركن الحديقة وهما يتكلمان بهمس، ورأى ان حارس المكتبة قد أكمل نقاشه مع الشجرة، وها هو نائم على الكرسي، مسندا رأسه إلى الشجرة التي كان يكلمها، ونظر إلى السماء فوجد أن الشمس قد شارفت على الغروب، فلملم أوراقه وأغلق كتبه وعاد بها ووضعها في رفوف المكتبة واتجه راجعا إلى بيته.

كانت الحقائق التي اكتشفها في أثناء مطالعته الأخيرة تأخذ بمجامع تفكيره، فتمالكه شعوران شعور بالفرح والفخر لأنه تعلم أشياء كثيرة لم يكن يعلمها، ووجد أجوبة لأكثر أسئلته، وقد جمع من الأدلة ما يمكنه من الوقوف بوجه أستاذ الدورة الصيفية المقامة في المسجد، وشعور بالحزن والخجل لما تفوه به سابقا في حق السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، ومن ترديده لكلمات أستاذه في المسجد من دون تثبت أو وعي، ومن تشجيعه وتأييده لأستاذه في نكران مصائب سيدة النساء

صلوات الله وسلامه عليها، فجعل يحدث نفسه ويلومها بقوله: (ويلاي مما جنته يداي! ونطق به لساني، ليت ان لساني قد شل ولم أتفوه بما تفوهت به، فالعلماء وجميع أفراد الشيعة يتقربون إلى الله بذكر مصيبتها وتخليد مأساتها وأنا أنكرت مصيبتها من دون تمحيص ولا بحث، فمن يشفع لك يا أسامة يوم يفر المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، ويل لمن شفعاؤه خصماؤه).

أحس أسامة بأن نفسه قد ضاق وان الدنيا قد اسودّت في عينيه، وأصبحت قدماه لا تحملانه، وأحس برغبة شديدة بالجلوس، اتجه مبتعدا عن الطريق، جلس مسندا ظهره إلى جدار بيت ما زال لم يكتمل بناؤه، وهو يردد قول: (ويل لمن شفعاؤه خصماؤه) بدأت دموعه تخرج وتسيل على خده، أحرقت الدموع عينيه وخديه، نشج وعض على شفتيه نادماً أسفاً، فأحس بصوت في ضميره يناديه: (لا توبة لك يا أسامة إن لم تفعل كما فعل الحر بن يزيد الرياحي في يوم عاشوراء، فمثلما شككت بمصائب السيدة الزهراء فعليك ان تدافع عنها، ومثلما نشرت تشكيك أستاذك فعليك أن تردعه وتقف بوجهه وتنبه الحاضرين على تدليسه، عسى أن يغفر لك الله سبحانه، وترضى عنك السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

نهض أسامة من على الأرض اتجه إلى بيته وكان الظلام قد حل، دخل البيت سلم على أهله، نادته أمه للعشاء، فاعتذر بعدم الجوع، وبأنه سيرتاح في غرفته ثم ينام كي لا تقلق، صعد أسامة مسرعا إلى غرفته قبل أن تقع عينا أمه في عينيه اللتين أصبحتا مثل قطعة الدم من كثرة البكاء، رمى أسامة بنفسه على الفراش، لم يتمالك نفسه عن النوم من التعب ومن امر سيكشفه لنا الصباح.

الثورة والثأر

استيقظ أسامة فزعا على صوت المؤذن وهو يصيح: (حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل) قام والعرق يتصبب منه، وجميع أعضائه ترتجف، قام وصلى ثم سجد وأطال البكاء فيها وهو ينادي: أحمدك يا الهي على هذه الرؤيا الحسنة، أحمدك يا الهي إذ جعلتني أهلا للمشاركة في المعركة!!).

بقي أسامة مستيقظا لم تغمض أجفانه بعد صلاة الصبح، كان يدور في غرفته متفكراً، يجلس مرة ويقوم أخرى، ينظر من الشرفة إلى السماء ينتظر شروق شمس ذلك اليوم، فما أن صارت الساعة السابعة حتى انطلق إلى بيت خالد، دق الباب وهو يعلم ان الوقت مبكر، دق الباب مرة ثانية، ناداه صوت متعب من بعيد: (من الطارق؟)..

أجابه أسامة: (عفوا هل خالد موجود؟).

فأجابه الصوت: (لحظة من فضلك).

انتظر أسامة، وبعد برهة فتحت الباب وخرج منها خالد وعلى وجهه آثار التعب والنعاس، نظر إلى وجه أسامة مستغربا وقال: (ما الخبر؟ هل حصل شيء لا سمح الله؟).

أمسك أسامة بيد خالد وشده قائلا: (تعال لنجلس هناك وأحكي لك فقد رأيت حلما).

رمقه خالد بنظرة استهجان واستغراب وقال له: (حلم أي حلم، ألا يستطيع حلمك أن يصبر إلى الساعة العاشرة فقد كنت نائما، لأني رجعت من المستشفى في وقت متأخر من الليل، ولم أنم غير سويعات).

كان خالد يتكلم وأسامة يسحبه كأنه لا يسمع كلامه، وصلا إلى دكة دكان لم يفتح أبوابه بعد، جلس أسامة وبقي خالد واقفاً، شد أسامة يد خالد حتى أجلسه، قال أسامة: (أنا أعلم بان الأمر غريب بالنسبة لك، لكني رأيتك في الحلم فعلمت ان الأمر يخصك أيضا).

ازداد استغراب خالد وقال: (إذن قص علي حلمك الذي أثر فيك كل هذا الأثر).

فقال أسامة: (رأيت قبل الفجر أني وسط أرض كبيرة، فيها خيام كثيرة، خيام قديمة كأنها من زمن آخر، ومن حولها خيول وجمال مربوطة، وفي هذه الأرض الكبيرة حشود من الناس على أشكال مختلفة وجنسيات شتى، فمنهم الأسود ومنهم الأبيض، ومنهم العربي ومنهم الصيني ومنهم الأوربي، وهم يلبسون لباس الحرب ويعدون العدة للمسير إلى مكان ما، وكان قسم منهم يحمل السيوف ليضعها في صناديق خاصة، وقسم آخر يحمل الرماح ليضعها في صناديق ثانية أكبر، وهنالك رجل جالس في خيمة أمامه طابور من الرجال وأمامه سجل يقلب أوراقه كلما تقدم إليه رجل من الواقفين.

فلما انتهى من تسجيلهم تقدمت إليه وسلمت عليه وقلت له: هل لك أن تخبرني ما هذا السجل الذي أمامك؟ ومن هؤلاء القوم المجتمعون؟ والى أين يريدون أن يسيروا؟ ومَن سيقاتلون؟.

فرفع رأسه وقال: هذا الجيش سيذهب لقتال القاسطين، معاوية وجيشه، وسيتحرك عن قريب بقيادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقلت له: أوليست الحرب بين الإمام علي عليه السلام وبين معاوية قد انتهت؟.

فأجابني وهو يهز برأسه: كلا لم تنتهِ.

فقلت له: وما هذا السجل الذي بين يديك؟

فقال: هذا السجل فيه أسماء الأفراد الذين سيخرجون في هذا الجيش، فمن وجد اسمه هنا خرج معنا، ومن لم يوجد اسمه أرجعناه.

ثم فتح السجل وأخرج آخر ورقة فيه وقال: بقي شخصان فقط لم يأتيا، فقلت له: هل لي أن أرى هذين الاسمين؟ قال: نعم، فنظرت في السجل فإذا هو مكتوب أسامة وخالد، فصعقت وصحت أنا أسامة أنا أسامة، وخالد هو صديقي.

فقال لي ذلك الرجل: وهل تريد ان تذهب لحرب القاسطين؟

فأجبته ومن دون تردد: نعم أريد.

فقال: اذهب إذن إلى ذلك التل ليتم اختبارك.

خرجت من الخيمة، واتجهت صوب التل، صعدت إلى أعلاه وإذا برجل لا

أذكر ملامحه الآن جالس وأمامه مجموعة من الأسلحة، وحينما رآني قال لي: ما هو اسمك؟

فقلت: أسامة.

فقال: وهل تجيد القتال؟

فخفت أني إن قلت له لا أجيد القتال فإنه يرجعني حينئذ، فقلت له: أعتقد ذلك.

فرفع هذا الرجل رمحا من على الأرض، وقال لي: ارمه لأرى مدى قوة رميتك، وحاول التصويب على تلك الصخرة، وكسرها في ضربة واحدة، فوضع الرمح بيدي فمالت يدي نحو الأسفل من ثقل الرمح، وعرفت بأنه مصنوع من الحديد، وان وزنه يزيد على العشرة كيلو غرامات، فتكلفت في حمله ورفعه، ثم قمت بتصويبه نحو الصخرة التي كانت تبعد عشرة أمتار تقريبا، واستطعت أن أوصله إلى الصخرة لكنه لم يؤثر فيها سوى شدخ صغير على سطحها.

نظر إلي ذلك الرجل وقال: سأقبل برميتك وعليك أن تعدني بأنك ستتدرب في المستقبل كي تصبح مقاتلا قويا.

فرحت بذلك وقلت له: نعم أعدك بذلك، فقال لي: الآن اذهب واستعد للمعركة، وبمجرد أن قال لي ذلك، فزعت من نومي، واستيقظت من حلمي).

نظر أسامة إلى وجه خالد فرأى عينيه مفتوحتين وآثار النعاس قد طارت منهما، فقال: (فعلا حلم عجيب، ما تظن تفسيره؟).

أسامة: (أنا اعلم تفسيره لان لهذا الحلم مقدمات سبقته).

خالد: (وما تفسيره وما هي المقدمات التي تتحدث عنها)، فأخبره أسامة عن الأشياء التي اكتشفها نتيجة مطالعته البارحة، وعن ندمه وبكائه وعزمه على مواجهة ذلك الأستاذ المشكك عسى أن تكون مواجهته كفارة لذنبه، كما وأخبره عن نيته باصطحابه معه في هذه المعركة، وان الحلم الذي رآه يشير إلى هذه الأشياء التي وقعت أمس.

أبدى خالد استعداده للوقوف مع صديقه أسامة في مواجهته لذلك الأستاذ المشكك واتفقا أن يرجعا إلى البيت ويكون موعدهما أمام باب المسجد الساعة التاسعة صباحا، وان يحضر كل منهما ما يمكنه من الأدلة والوثائق ليكون ردهما علمياً ومنطقياً يقنع الجميع ويفوت الفرصة على كل محاولة للتهرب والتلاعب بمشاعر وعقول الحاضرين.

دخل أسامة وخالد درس المسجد، وبدأ الحوار، واحتدم النقاش، وكانت الغلبة للحق والدليل، وأبلى أسامة وخالد بلاءً حسناً، واستطاعا ان يثبتا للشبان المنبهرين بهذا الأستاذ ان أقواله وتشكيكاته لا تنسجم مع إجماع علماء الشيعة ولا تصمد أمام الحوار[١]، وقد جاءت ثورتهما ضد هذا المشكك بثمارها فها هو اليوم

(١) لم أحب الإطالة في الرد على أقوال وتشكيك أستاذ المسجد، لأنها مبحوثة ومردود عليها في عدة كتب ألفت لهذا الغرض، وبإمكان القارئ العزيز أن يرجع إلى كتابي (مأساة الزهراء) و (خلفيات كتاب مأساة الزهراء) للسيد جعفر مرتضى العاملي، وكذلك كتاب (حوار مع فضل الله حول الزهراء) للسيد هاشم الهاشمي، وكتاب (الحوزة العلمية تدين الانحراف) لمؤلفه محمد علي الهاشمي المشهدي، ففيها أجوبة تفصيلية عن هذه الشبهات الواهية.

درسه وقد انفض عنه أكثر من كان يحضره، ولم يبق معه إلا شرذمة من البسطاء الذين يميلون مع كل ريح، وحتى هؤلاء البسطاء لم يحظوا بفرصة كبيرة، فقد حضروا ذات يوم درس أستاذهم كالمعتاد، لكنهم اكتشفوا بأن أستاذهم قد رحل عن حيهم إلى مكان غير معلوم، ولم يخبر أحداً لا عن مكانه ولا عن أسباب رحيله، لكن البعض يقول ان أسامة وخالد هما سبب رحيله، والبعض الآخر يقول انه رحل كي يجد له مكانا آخر ينشر فيه سمومه.

ضيف في بيت خالد

بقي خالد بعد حادثة المسجد أياما لا يخرج من بيته، لان حال زوج أخته الصحية كانت في تدهور مستمر، فكان يخطو كل يوم نحو الموت خطوة، مما استدعى وجود خالد إلى قربه باستمرار للقيام برعايته ومداراته، ولاستقبال الضيوف الذين لم ينقطعوا عن زيارتهم ليلا ولا نهارا، ولكن ضيف ليلة الجمعة كان مميزا.

كانت الساعة التاسعة ليلا، دقت باب بيت خالد، فتحت الباب، دخلت إلى البيت عائلة أم فاطمة، وأم فاطمة هي الأخت الثانية لخالد، والتي كانت تسكن في محافظة أخرى بحكم عمل زوجها أبي فاطمة، والذي كان يعمل مهندسا في حقول النفط.

استقر الجميع في غرفة استقبال الضيوف، نظرت أم فاطمة إلى زوج أختها المريض وهو ممدد لا يعي شيئا ولا يتحرك، نشجت وبكت وبكى معها أغلب الحاضرين، ثم أخذوها خارج الغرفة لتهدئتها، وخرج معها زوجها، نظر خالد إلى ابنة أخته فاطمة وقال: (هيا لنذهب نحن أيضا إلى الحديقة ونترك المريض ليرتاح).

خرج الاثنان إلى الحديقة وجلسوا على الأرجوحة الموجودة وسط الحديقة، وبدأ خالد يدفع برجله الأرض وبدأت الأرجوحة تتحرك، ونظر إلى ابنة أخته وقال: (ما شاء الله أصبحتِ أكبر بكثير من تلك المرة التي رأيتكِ فيها!!).

فاطمة: (بالطبع أكبر، لأنك لم ترني منذ ثلاث سنوات تقريبا).

خالد: (لم يكن الذنب ذنبي فقد أتيتكم مرتين فلم أجدكِ في البيت).

فاطمة: (أتيتنا يا خالي مرتين ولكن كل مرة كنت تجلس عندنا ساعتين أو ثلاثاً ثم ترجع، وقد صادفت هاتين المرتين مع وقت ذهابي إلى الدرس).

خالد: (وأين وصلتِ في المدرسة؟).

فاطمة: (لا تقل مدرسة يا خالي، بل قل كلية، فانا الآن ادرس في كلية الفقه، قسم علوم القرآن والحديث الشريف).

خالد: (عظيم، نعم الاختيار ونعم القسم، أسأل الله أن يوفقكِ).

فاطمة: (ليس هذا فحسب، فانا الآن في سنتي الأخيرة).

قالت فاطمة هذه الجملة فسكتت قليلا ثم أكملت: (ولكن توجد عندي مشكلة).

خالد: (وما المشكلة؟ فقد بدأ الخوف يدب إلى قلبي، هل عندكِ مشكلة مع الأساتذة أو الطلبة؟ هل من أحد يضايقكِ؟ أخبريني هيا).

فاطمة: (اطمئن يا خالي، فليس الموضوع كما تتصور، فأنا بحمد الله لا مشكلة لي مع أي إنسان، لا داخل الكلية ولا خارجها، وإنما مشكلتي في بحث

التخرج الذي سأقدمه).

خالد: (وعن أي شيء يتكلم بحثكِ؟).

فاطمة: (إنه يتكلم عن أفضلية السيدة فاطمة الزهراء على الصحابة والملائكة والأنبياء).

نظر إليها خالد وقال: (فكرة ممتازة، وبحث جميل، فاني لم أرَ بحثا مستقلا في هذا الموضوع، فأين الصعوبة في الأمر؟).

فاطمة: (صعوبته تكمن في أمرين: الأمر الأول ما تفضلت به من ان مصادره قليلة، والكتب المؤلفة في هذا الأمر تكاد تكون معدومة، أو هي معدومة بالفعل، وهذا يصعب عملية البحث، لان البحث الناجح عندنا هو البحث الذي تتوفر فيه مصادر كثيرة.

والأمر الثاني: إني لا أريد مجرد ذكر روايات أو آيات، بل أريد أن أقف على كل دليل روائي أو قرآني وأمحصه بحثا ومناقشة، ولكني قليلة الخبرة في هذا المجال).

خالد: (أنا أختلف معكِ في هذين الأمرين، لأني أعتقد بأن البحث الناجح هو البحث الذي لا يكون مبحوثا سابقا ونادر الوجود، لان البحث إذا تكرر طرحه أصبح فاقداً للأهمية وأصبحت المعلومات المثارة فيه مكررة ومملة.

وأما ما يخص تمحيص الروايات ومناقشتها فبإمكاننا التعاون معا لإنجاح هذه المهمة).

وما إن أكمل خالد جملته هذه حتى تفاجأ بيدي فاطمة تلتف حول عنقه وبالقبلات تنهال عليه من كل جهة، وفاطمة تناديه: (خالي الحبيب، أرجعت لي الأمل، فدتك نفسي، يا لك من خال عظيم! هل صحيح انك ستساعدني على مناقشة الأدلة والروايات، صحيح، قل لي صحيح)؟!!.

ضحك خالد وقال لها: (نعم صحيح، ولكن كيف، فأنتِ في بلدة وأنا في أخرى؟).

فاطمة: (سآتي إلى النجف وأبقى عندكم إلى أن أكمل بحثي).

خالد: (ولكني هنا منذ مدّة ولا أعلم متى سأرجع، وأعتقد بأني سأبقى إلى أن يتحسن زوج خالتك، وقد أتأخر عليكِ فيضر هذا التأخير ببحثكِ).

فاطمة: (إذن سأبقى هنا معك، وسنعمل على إنجاز البحث في المكتبة، أليس توجد هاهنا مكتبة؟).

خالد: (نعم توجد مكتبة، وهي عامرة بالكتب، ولكن من يقول بأن أباك سيرضى بأن تبقي هنا؟!).

فاطمة: (لا أعتقد بأنه سيمانع ذلك، ومع هذا سأذهب وأسأله، وسأعود إليك حالاً، انتظرني).

رفع خالد برأسه إلى السماء متأملا نجومها مستغيثا بخالقها أن يخلص زوج أخته من مرضه دمعت عيناه وسالت على خده، وقال: (يا رب العالمين أنت القادر على أن تحيي العظام وهي رميم ارحم هذا المسجى على فراشه، وارحم قلوب أطفاله، وقلب زوجته التي بدأت تتهاوى كلما رأت زوجها يتهاوى، فليس لهم من

الدنيا إلا هو، فارحم عبراتهم، ونحيبهم، وتعلقهم به، يا من هو أشفق على الإنسان من أمه وأبيه، بل ومن نفسه).

ما هي إلا دقائق حتى عادت فاطمة تجري والفرحة بادية على محياها، وهي تنادي: (خالي، خالي، لقد وافق أبي على بقائي).

ابتسم خالد وقال لها: (الحمد لله، ولكن يجب ان تعديني بأنكِ ستبذلين أقصى جهدكِ في البحث كي تعودي إلى بيتكم سريعا).

فأجابته فاطمة: (أعدك يا أحلى خال في الدنيا).

محاولة أسامة الانضمام إلى النقاش

دقت باب بيت خالد في الساعة العاشرة صباحاً، خرج خالد إلى الباب، وجد صديقه أسامة يقف أمامه مبتسماً، دعا خالد أسامة للدخول إلى البيت، لكن أسامة اعتذر كي لا يسبب للعائلة ومريضهم أي حرج أو إزعاج.

أسامة: (إذا لم يكن عندك عمل مهم تعال لنتمشى أو لنجلس في حديقة المتنزه).

خالد: (أرجو ان تمهلني لحظة ريثما أخبر الأهل ولأتهندم وآتي إليك).

خرج الاثنان يمشيان ويتحادثان، وفي أثناء الحديث قال خالد: (لم تخبرني أين تقضي وقتك الآن؟).

أسامة وهو يضحك: (صرت مدمنا).

التفت إليه خالد التفاتة مدهوش وقال: (مدمن؟ أستغفر الله، ما هذا الكلام)؟!

اشتد ضحك أسامة وقال: (ولماذا تستغفر الله؟ وأنا ما تعلمت الإدمان إلا على يديك).

خالد: (ما لك يا رجل؟ هل أنت على ما يرام؟! ما هذا الكلام؟ وأي إدمان علمتك إياه، وأنا لم أرك الا منذ أيام).

استمر أسامة بالضحك وقال: (أنا مدمن على القراءة، وليس على الأشياء التي في بالك).

هدأ خالد وقال وهو يضحك: (أرعبتني يا رجل قل هذا منذ البداية).

وصل خالد وأسامة إلى ظل شجرة كبيرة فجلسا تحتها، وقال خالد: (أخبرني يا أسامة على أي صنف مدمن أنت الآن؟).

ضحك أسامة وقال: (أنا الآن أنفذ وعدي الذي وعدته لذلك الرجل الذي رأيته في الحلم).

فقال خالد: (لا أتذكر، أي رجل؟).

فقال أسامة: (أتذكر أني رأيت حلما قبل ان نواجه ذلك الأستاذ في المسجد؟).

قال خالد: (نعم أذكر).

فقال أسامة: (أتذكر أني قد صعدت إلى التل ليختبرني رجل كان موجودا هناك، وطلب مني توجيه الرمح إلى صخرة، وحينها ضربت الصخرة ولكني لم أحدث فيها إلا شدخا سطحيا، فقال لي ذلك الرجل سأقبل منك هذه الضربة ولكن يجب أن تعدني بأن تتدرب أكثر وتتقوى لتصبح مقاتلا قويا، أتذكر هذا؟).

قال خالد: (نعم أذكر).

فقال أسامة: (فها أنا الآن أتقوى لأصبح مقاتلاً قوياً).

فقال خالد: (أحسنت، نعم العمل، ونعم النية).

استلقى أسامة على العشب وقال: (ها قد علمتَ أخباري فما هي أخبارك؟).

خالد: (لم أخرج من البيت إلا اليوم، ولعلي سأذهب إلى المكتبة اليوم أو غداً عصراً.

أسامة: (إذن سأنتظرك هناك).

خالد: (لا تنتظر، فانا سأكون برفقة فاطمة).

انتفض أسامة من نومته وقال: (فاطمة! ومن هي فاطمة؟ ها، الآن عرفت سبب عدم مجيئك إلى المكتبة وبقائك في البيت، فالظاهر أنك استفدت من بقائك وحيداً استفادة جيدة).

ابتسم خالد وقال: (ليس الأمر كما تظن ففاطمة هي بنت أختي).

رجع أسامة مرة أخرى واستلقى على العشب وهو يقول: (وما الذي يجعلك تأتي بطفلة إلى المكتبة، ألا تخاف أن تضيع منك، أو أن تبكي على أمها فتلهيك عن القراءة، أو لعلها تكسر شيئا أو تمزق كتابا فتغضب منك أمينة المكتبة، أو لعلها تقطف وردة فينتقم منك حارس المكتبة أشد الانتقام).

ضحك أسامة وهو يجيل بنظره نحو غصون الشجرة التي تظلهم وتابع وهو يقول: (يعجبني كثيراً أن أرى الحارس وهو يصرخ بوجهك بينما دخان سيجارته يخرج مع صرخاته، لأنه يعدّ الأشجار والأوراد مثل بناته أو مثل أخواته، ويا له من

منظر رائع حينما تقطع فاطمة وردة من الحديقة فيسمعك ما لذ وطاب من الكلام!).

خالد: (لا تسبح في خيالك كثيراً ففاطمة ليست طفلة، بل هي فتاة كبيرة، وهي تدرس في الكلية، وفي سنتها الأخيرة).

رفع أسامة كفه وضرب به على جبهته وقال: (يا لي من أحمق! تصورت بأنها طفلة، ولكن ماذا ستفعل معها في المكتبة؟ ولماذا لا تذهب هي وحدها وتأتي أنت معي؟).

خالد: (حضوري معها ضروري، لأنها تعد بحثا لنيل شهادة البكالوريوس، وتحتاج إلى مساعدتي، فهي تكتب بحثا حول أفضلية السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على الصحابة والملائكة والأنبياء، وتحتاج إلى مساعدة في تمحيص أسانيد الروايات ومناقشة مضامينها).

انتصب أسامة جالسا وهو يقول: (بحث جديد لم أسمع به من قبل، وهل صحيح ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل من الملائكة ومن الأنبياء؟ فانا مؤمن بأفضليتها على الصحابة نساء ورجالا، وحتى على مريم العذراء، ولكن على الملائكة أو الأنبياء فهذا ما لم أفكر فيه ولم أقرأه).

خالد: (أفضليتها صلوات الله وسلامه عليها على الملائكة والأنبياء ثابتة بأدلة كثيرة، وبعض تلك الأدلة ذكرها العلماء الأعلام ولكنها متناثرة في كتبهم وتحتاج إلى جمع، وبعض هذه الأدلة جديدة لم تطرح من قبل وأنوي أن أضعها في بحث ابنة أختي فاطمة).

سكت أسامة برهة من الزمن ثم نظر إلى عيني خالد وقال: (أريد أن اطلب منك طلبا وارجو أن لا تردني فيه).

ابتسم خالد وقال: (تفضل أطلب ما شئت، وأنا سأكون طوع أمرك بشرط أن أقدر على تلبية طلبك).

أسامة: (أريد أن أطلب الحضور معكما في جلسات حواركما وتحضيركما لهذا الموضوع).

سكت خالد ثم قال: (الأمر ليس بيدي ولست أنا صاحب الرسالة، وعلي أن أسأل فاطمة عن إمكان حضورك، فربما كان حضورك يسبب لها إحراجا).

أسامة: (حسنا أخبرها، ولكن كن في صفّي، ودافع عني، وبين لها حسن نيتي وشوقي للمشاركة في مثل هذا المشروع، والذي أعتقد بأن رضا السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها سيكون فيه، ورضا فاطمة صلوات الله وسلامه عليها يعني رضا الله سبحانه).

خالد وهو يضحك: (حسنا سأحاول، وسأخبرها بأن أحد المدمنين يريد الحضور معنا في جلسات الحوار وإعداد الرسالة).

غضب أسامة وقال: (بالله عليك كيف تريدها أن تقبل، وأحد المدمنين سيحضر معها؟!

ضحك خالد ونهض من مكانه وهو يقول: (قم لنذهب إلى البيت فقد تأخرت كثيراً، وسأتصل بك إذا استجد شيء معين).

أول جلسات الحوار

اتصل خالد في مساء ذلك اليوم ليخبر أسامة بموافقة ابنة أخته فاطمة على حضوره جلسات الحوار والمناقشة، فابتهج أسامة أشد الابتهاج، وعدّ هذا الأمر عناية خاصة من السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وأعد دفتراً جديداً وعدة أقلام بألوان مختلفة، كيما يسجل كل صغيرة وكبيرة، ثم فكر بأن يأخذ معه جهاز التسجيل، لكنه تردد خوف أن لا تقبل فاطمة بتسجيل صوتها أو حوارها، فقرر أخيراً أن يأخذ دفتره وقلمه وكذلك جهاز تسجيله، فان وافق خالد وفاطمة على استعمال جهاز التسجيل فبها، وإلا فسيستعمل دفتره وأقلامه.

مر النهار ببطء على أسامة، حتى خيل إليه بأن الساعة لا تتحرك، إلى أن جاءت الساعة الرابعة عصراً، لبس أسامة ملابس الخروج وحمل معه حقيبته التي كان فيها دفتره وأقلامه وجهاز التسجيل، خرج من غرفته ووضع رجله على أول درجة لينزل فسمع صوت جرس الباب يرن، وبينما هو ينزل سمع صوت أمه وهي تقول: (نعم، نعم، أسامة موجود، انتظر لحظة)، قال أسامة في نفسه: (ويلاي، لعلهم أصحابي وبسببهم سأتأخر عن الموعد).

خرج أسامة إلى الباب فرأى صديقه محمداً واقفاً ينتظر، سلم عليه وتبادلا القبلات، وبعد السؤال عن الحال والأحوال قال محمد: (أتيت اليوم إليك لنذهب معا إلى المكتبة، فمنذ أن تركت درس أستاذ المسجد وأنا أشعر بحاجة إلى القراءة، وبصراحة فقد سئمت من الخروج مع الأصدقاء، فليس عندهم إلا المزاح المستمر، وتبديد الوقت على أشياء لا قيمة لها، وغالبا ما ينتهي مزاحنا بالعراك والخصومة، وقد بدأت أتيقن بأن طريقتك في تمضية الوقت وقضاء العطلة بين الكتب هي الطريقة الأنجع، فأتيت إليك اليوم لنذهب معاً فهل أنت مستعد؟).

كان محمد يتكلم وأسامة يندب حظه ويقول: (وهل هذا وقت مناسب للتوبة يا محمد؟! تركت كل الأيام وأحسست بالندم اليوم، ماذا سأصنع يا ربي؟ هل أعتذر إليه وأدخل البيت ثم أذهب بعدما يذهب هو، أو آخذه إلى هناك وأجلسه في مكان وأذهب أنا إلى خالد، يا لها من حيرة!).

انتبه أسامة إلى نفسه وقال: (ما لك أيها الأناني، الرجل يستعين بك وقد قطع المسافة إلى بيتك طالبا العون، فلعل الله سبحانه يعينك إن أعنته، خذه معك وصارحه بالحقيقة وأخبره ان عندك موعداً مع خالد ثم أجلسه في زاوية يقرأ شأنه شأن الآخرين واذهب أنت إلى موعدك مع خالد).

جالت هذه الكلمات في عقل أسامة بأقل من لحظة، ثم قال لمحمد: (هيا لنذهب وتوكل على الله سبحانه).

وصل أسامة ومحمد إلى بناية المكتبة، فسمع صوتا عالياً يرتفع من وراء جدار المكتبة، فما ان دخلا إلى الباب الخارجي حتى شاهدا الحارس وهو ممسك

بعصا صغيرة بيده اليمنى، وبيده اليسرى وردة، وبفمه السيجارة كعادته، وهو يصيح بوجه شاب في مقتبل عمره قائلا له: (ألا تستحي تقطع هذه الوردة؟! فهذه الحديقة ليست حديقة أبيك حتى تقطع منها ما شئت، اذهب إلى حديقة بيتكم واقطف منها ما تريد، هل تعلم كم تعبت وسقيت ووقفت في الشمس إلى أن خرجت هذه الزهرة، وتأتي أنت وتقطعها، اذهب، هيا اذهب قبل أن أقطع أذنك وأزرعها في الحديقة).

فر الشاب مولياً مذعوراً، فقال أسامة لمحمد: (إذا أردت أن تسلم على أذنيك أو رأسك فإياك أن تقطف وردة أو تهين شجرة في هذه المكتبة، لأن هذا الحارس لديه شيئان مقدسان في هذه الحياة سيجارته التي يحاول بكل ما أوتي من قوة أن لا تطفأ، فما إن يكمل واحدة حتى يسرع بإشعال الأخرى، والشيء الآخر أشجار وأوراد الحديقة، فلو انك تقطع قميصه أهون عليه من أن تقطع وردة أو تنظر إلى شجراته نظرة غير مؤدبة).

ضحك الاثنان ودخلا إلى بناية المكتبة، واتجه أسامة وصديقه إلى الحديقة، نظر أسامة فلم يجد صديقه خالداً قد حضر بعد، فجلس هو ومحمد وأخبره بأنه في موعد مع صديقه خالد، وأخبره عن مشروع فاطمة، واعتذر إليه من عدم تمكنه من مواصلة الجلوس معه ومشاركته القراءة، وان عليه أن يبحث بنفسه عن كتاب يفيده، ثم يجلس ليقرأه.

أحس أسامة بأن محمداً قد تضايق من كلامه، وبدت علامات عدم الارتياح واضحة على ملامح وجهه، فقال له أسامة: (لا تغضب لأني قد اتفقت معهم في

وقت سابق، وأنت لم تخبرني بنيتك في المجيء إلى المكتبة معي، ولم أخبرك بهذا عند باب البيت أو في الطريق خوفاً من أن تظن بأني لا أرغب بمجيئك معي إلى المكتبة).

محمد: (إذن دعني احضر معكم جلساتكم).

فرد عليه أسامة وبسرعة: (الأمر ليس بيدي، فلست أنا إلا ضيفاً، وضيفاً ثقيلاً أيضا، فبالتوسل استطعت أن ألصق نفسي بهم، فكيف لي أن أقول لهم بشأنك؟! لا أعذرني).

فقال محمد: (صدقني سوف لن أتكلم بأي كلمة، وسأسمع فقط، وليعدّوني غير موجود بينهم، بل فليعدّوني مثل الطاولة أو الكرسي أو هذه الشجرة التي خلفنا، لا أصدر أي صوت، ولا أشتت كلامكم بأي حرف، أرجوك، أرجوك).

وبينما كان محمد يسترسل بكلمات رجائه دخل خالد إلى الحديقة ومعه فتاة ترتدي عباءة، وهي بكامل حجابها، تمشي خلف خالد لا ترفع نظرها من على الأرض، وتحمل بيدها اليمنى حقيبة جلدية سوداء، أشار خالد بيده إلى طاولة في طرف الحديقة، فذهبت فاطمة هنالك وجاء خالد نحوهما، وقف فوقفا، ومدوا أيديهم فتصافحوا، فقال خالد لأسامة: (هيا تفضل لنبدأ).

بدأت علامات الحيرة على وجه أسامة، وبدأ يتلعثم في كلامه، فقال له **خالد:** (ما لك؟ هل أنت بخير؟ هل كل شيء على ما يرام؟).

بقي أسامة ساكتا لبرهة ثم قال لخالد: (تعال أريدك في أمر).

مشيا خطوات ووقفا فقال أسامة: (أنا محرج منك كثيراً ولكني وقعت في

موقف محرج) وقص أسامة له قصة صديقه محمد وطلبه الحضور معهم على شرط أن يستمع فقط ولا يتكلم.

خالـد: (دعني أتكلم مع فاطمة وإذا أشرت لك من بعيد فتعال أنت وصديقك محمد).

ذهب خالد وتكلم مع فاطمة، فأشار إلى أسامة أن تعالا، ذهبا إلى الطاولة سلما وجلسا، فبدأ خالد بالكلام قائلا: (بحسب اطلاعي القاصر فانه توجد روايات كثيرة جدا لإثبات أفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على الصحابة والملائكة والأنبياء، وهذه الروايات منها الصحيح ومنها الضعيف، وسنقتصر في بحثنا على الروايات الصحيحة فقط، لأن جمع الغث والسمين لا يقطع القال والقيل، ولا يلقم الخصم الحجر، وتصير الروايات الضعيفة سببا للطعن في باقي الروايات الثابتة الصحيحة، وبما أنكم جميعا تريدون المشاركة فسيكون العمل جماعيا، وسنبدأ البحث على وفق المراحل الزمنية لحياة الصديقة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، قبل خلقها، ثم بعد ولادتها وتسميتها، ثم زواجها وأسرتها، وهكذا إلى القيامة والمحشر والجنة، هذه هي خطة البحث، فاستعدوا وأخرجوا أوراقكم وأقلامكم لنبحث حول أول رواية).

خلق نور فاطمة قبل خلق السماوات والأرض

أخرج الجميع أوراقهم وأقلامهم وتهيأوا، فقال خالد: (قال الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه معاني الأخبار: «حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل ــ رضي الله عنه ــ قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد، قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن تخلق الأرض والسماء. فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسية قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم. قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح، والتهليل، والتحميد. فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه أحب الله عز وجل أن يخرجها من صلبي جعلها

تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل. فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام. قلت: منه السلام وإليه يعود السلام. قال: يا محمد إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة فأخذتها وضممتها إلى صدري. قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كلها. ففلقتها فرأيت نورا ساطعا ففزعت منه فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور المنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء " المنصورة " وذلك قول الله عز وجل: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ» يعني نصر فاطمة لمحبيها)[(١)].

كتب الجميع الرواية، فقال لهم خالد: (اليوم سندرس إسناد هذه الرواية، وستأخذون الرواية معكم الليلة فتقرأونها جيداً وتتأملون فيها وتستخرجون أكبر قدر ممكن من الملاحظات لنقوم بنقاشها غدا إن شاء الله).

التفت أسامة إلى خالد وقال: (هل يمكن أن توضح معنى «الإسناد» أو «السند» فكثيراً ما أسمع به ولا أعرف معناه؟

خالد: (سأترك الجواب لفاطمة لأنها تدرس علم الحديث والرواية ولأن الموضوع موضوعها).

فاطمة: (الإسناد والسند هم سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث عن مصدره

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص٣٩٦.

الأول أي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو عن أحد الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسند الرواية التي نحن بصدد نقاشها هو «محمد بن موسى بن المتوكل ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد، قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام » فهذه السلسلة من الرواة هم الذين نقلوا الحديث عن مصدره الأول وهو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الذين نسميهم بالإسناد).

خالد: (أحسنتِ التوضيح يا فاطمة).

أسامة: (وما أهمية أن نعرف بأن الحديث قد نقله فلان عن فلان عن فلان، فأنا قد اعتدت أن أقفز أسماء الرجال الذين نقلوا الحديث حينما أقرأ رواية فيها حدثني فلان وروى فلان وعن فلان وما شاكل).

خالد: (أهمية الإسناد نابعة من أهمية ثمرته، وأهم ثماره هي معرفة الرواية الصحيحة من غيرها، لأن الرواة الذين نقلوا الحديث هم بشر كسائر البشر، فيهم الصادق، وفيهم الكاذب، وفيهم الأمين، وفيهم الخائن، وفيهم من كذب على النبي في حياته وبعد وفاته، ومنهم من كذب على أهل البيت ونسب إليهم ما لم يقولوه[1]، فلا يمكن معرفة صدق الحديث وكذبه، إلا بمعرفة الرجال الذين نقلوا

---

(١) روى الشيخ الطوسي قدس الله روحه في (اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٤٨٩) (...هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة، فان المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وآله ←

لنا الحديث والرواية، فان ثبت صدقهم وورعهم وصحة عقيدتهم أطمأن القلب إليهم ووثقنا بما ينقلونه، وإن ثبت كذبهم وعدم عدالتهم تخوفنا وتوقفنا عن الأخذ برواياتهم، فهذه ثمرة من ثمرات وفوائد معرفة رجال السند، وهنالك ثمرات أخرى مذكورة في كتب علماء الرجال والمحدثين).

انتهى خالد من حديثه ومد يده إلى قنينة الماء وشرب منها جرعات ثم حمد الله وشكره وذكر عطش الإمام الحسين ولعن قاتله ثم قال: (والآن لنقسم العمل، وليأخذ كل واحد منا رجلين من رجال السند، ومن ثم نذهب إلى كتب الرجال ونستخرج أقوال أئمة الجرح والتعديل بحقهم، ولنرَ ما سنخرج به من نتيجة، فخذي أنتِ يا فاطمة «محمد بن موسى بن المتوكل وعبد الله بن جعفر

فانا إذا حدثنا، قلنا قال الله عز وجل، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله).

وروى الشيخ قدس الله روحه في نفس المصدر (ج٢ ص٤٩١) (قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم، فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام. وقال لي: ان أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فانا ان تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة، انا عن الله وعن رسوله نحدث، ولا نقول قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، ان كلام آخرنا مثل كلام أولنا، وكلام أولنا مصادق لكلام آخرنا، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه وقولوا أنت اعلم وما جئت به، فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نورا، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان).

الحميري»، وخذ أنت يا أسامة «يعقوب بن يزيد والحسن بن علي بن فضال»، وسنأخذ أنا ومحمد «عبد الرحمن بن الحجاج وسدير الصيرفي» ثم نعود بعد البحث لنرى ما توصلتم إليه).

ذهب الجميع إلى الكتب التي اهتمت بتوثيق الرجال وجرحهم، وبمعونة وإرشاد من خالد أخرج كل واحد منهم ما يمكن أن يجده من معلومات حول رجال السند وبعد ساعة رجع الجميع إلى الطاولة، فقال لهم خالد: (الآن لنبدأ بعرض ما جمعناه ولتبدأ فاطمة بالكلام).

١: وثاقة محمد بن موسى بن المتوكل

بدأت فاطمة ترتب الأوراق التي أمامها ثم قالت: (محمد بن موسى بن المتوكل ـ رضي الله عنه ـ هو شيخ الصدوق قدس الله روحه وقد أكثر الرواية عنه في كتبه، وترضى وترحم عليه كلما مر على ذكر اسمه في أسانيده، وقد صرح العلامة الحلي بوثاقته في كتابه «خلاصة الأقوال» بقوله: «محمد بن موسى بن المتوكل، ثقة»[(١)].

وقال السيد الخوئي في «معجم رجال الحديث»: (قد أكثر الصدوق الرواية عنه، وذكره في المشيخة في طرقه إلى الكتب في ثمانية وأربعين موردا... وقد وثقه العلامة... وابن داود... وادعى ابن طاوس في فلاح السائل... الاتفاق على وثاقته... فالنتيجة أن الرجل لا ينبغي التوقف في وثاقته»[(٢)]).

---

(١) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص ٢٥١.

(٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٨ ص ٣٠٠.

٢: وثاقة عبد الله بن جعفر الحميري

ثم أخرجت ورقة أخرى وبدأت تقرأ منها: (وأما عبد الله بن جعفر الحميري فقد وقع في إسناد جملة من أسانيد كتاب «كامل الزيارات» وكتاب «تفسير القمي» لمؤلفه علي بن إبراهيم القمي، وفضلا عن هذا فقد ورد توثيق صريح في حقه، فقد قال الشيخ الطوسي في رجاله: «عبد الله بن جعفر الحميري، قمي، ثقة»[١].

وقال العلامة الحلي في «خلاصة الأقوال»: «شيخ القميين ووجههم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، ثقة من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام»[٢]).

أراد خالد أن يتكلم فقاطعه أسامة قائلا: (لحظة لو سمحت، فعندي سؤال، فالأخت فاطمة قالت بأن عبد الله بن جعفر الحميري قد وقع في إسناد كتاب «كامل الزيارات» وكتاب «تفسير القمي» فما ربط هذا الأمر بتوثيق الرجال وهل كل من وقع اسمه في أسانيد كتابي كامل الزيارات وتفسير القمي يعدّ ثقة؟).

فأجابته فاطمة بقولها: (ان ابن قولويه صاحب كتاب «كامل الزيارات» وعلي ابن إبراهيم القمي صاحب كتاب «تفسير القمي» قد شهدا بوثاقة كل من يقع في أسانيد كتابيهما، لذلك فقد ذهب جمع من العلماء إلى وثاقة كل من وقع في أسانيد هذين الكتابين، وبعضهم خالف هذا الرأي، وبعضهم قد فصل وقال بوثاقة شيوخ ابن قولويه وعلي بن إبراهيم فقط دون غيرهم، والموضوع فيه بحث طويل ومفصل ولكل فئة أدلة يستدلون بها).

---

(١) رجال الطوسي ص ٤٠٠.

(٢) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص ١٩٣ ــ ١٩٤.

أسامة: (إذا لم تكن مسألة توثيق كل من في أسانيد ابن قولويه والقمي مسألة اتفاقية فلماذا تستشهدون بها وتعدّونها دليلاً على وثاقة عبد الله بن جعفر الحميري؟).

فاطمة: (أنا إنما جئت بهذا الأمر كمؤيد وليس دليلاً مستقلاً، وقد قدمت دليلاً آخر على وثاقته ولم اكتف بمجرد وجود الحميري في أسانيد كتابي ابن قولويه والقمي، وهذا أمر معمول به كثيرا في كتب العلماء والباحثين).

فهز خالد رأسه مؤيدا لكلام فاطمة وقال: (صحيح ما تقولينه).

ثم التفت خالد إلى أسامة وقال: (هيا أيها المعترض أخبرنا ماذا وجدت عن الرجلين اللذين أوصيناك بهما؟).

٣: وثاقة يعقوب بن يزيد الأنباري

فتح أسامة ورقة من بين أوراق دفتره وقال: (قد راجعت الكتب التي دللتني عليها فوجدت ان الشيخ النجاشي قدس الله روحه قد وثق يعقوب بن يزيد بقوله: «يعقوب بن يزيد بن حماد الأنباري السلمي، أبو يوسف، من كتاب المنتصر، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، وانتقل إلى بغداد، وكان ثقة صدوقا»[(١)].

ووجدت ان الشيخ الطوسي قدس الله روحه قد وثقه أيضا في كتابه «الفهرست» بقوله: «يعقوب بن يزيد الكاتب الأنباري، كثير الرواية، ثقة. له كتب...»[(٢)].

وأما العلامة الحلي فقد قال عنه في كتابه «خلاصة الأقوال»: «وكان يعقوب

(١) رجال النجاشي ص ٤٥٠.

(٢) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٢٦٤.

من أصحاب الرضا عليه السلام، وروى يعقوب عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وانتقل إلى بغداد، وكان ثقة صدوقا»[١]).

٤: وثاقة الحسن بن فضالة

ثم أخرج أسامة ورقة ثانية من بين أوراق دفتره وقال: (وأما الحسن بن فضال فهو ثقة أيضا، وقد قال عنه الشيخ الطوسي قدس الله روحه كلاماً عظيماً، ففي كتابه «الفهرست» انقله لكم مع حذف الزائد: « الحسن بن علي بن فضال... روى عن الرضا عليه السلام وكان خصيصا به، كان جليل القدر، عظيم المنزلة، زاهدا ورعا، ثقة في الحديث وفي رواياته»[٢].

وأما العلامة الحلي قدس الله روحه فقد قال عنه في كتابه «خلاصة الأقوال»: «روى عن الرضا عليه السلام، وكان خصيصا به، وكان جليل القدر عظيم المنزلة، زاهدا ورعا، ثقة في رواياته»[٣].

وقال عنه ابن داود الحلي قدس الله روحه: «الحسن بن علي بن فضال... ممدوح معظم... كان خصيصا بالرضا عليه السلام جليل القدر عظيم المنزلة زاهدا ورعا»[٤]، هذا ما استطعت أن أجده وأعتقد بأنه يفي بالغرض أليس كذلك؟).

خالد: (بلى يفي بالغرض سلمت يمينك، وأحب أن أضيف إلى قولك بأن

---

(١) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص ٢٩٨.

(٢) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص ٩٨.

(٤) رجال ابن داود لابن داود الحلي ص ٧٦.

كلّاً من يعقوب بن يزيد والحسن بن فضال قد ورد ذكرهما في كتابي «كامل الزيارات» و«تفسير القمي» فيعد هذا تأييداً لوثاقتهما رضوان الله تعالى عليهما).

٥: وثاقة عبد الرحمن بن الحجاج

نظر خالد إلى محمد وقال له: (اخرج يا محمد ورقتك التي كتبناها معاً وقل لهما ماذا وجدنا بخصوص «عبد الرحمن بن الحجاج»).

أخرج محمد ورقته وقال: (في البدء أريد أن أشكر خالدا الذي علمني ودربني في هذه الساعة التي قضيتها معه على كيفية البحث والتوثيق لعبد الرحمن ابن الحجاج، كما وأرجو منه أن لا يتركني في المستقبل، وان يأخذ بيدي لأتقوى أكثر فأكثر).

ابتسم خالد وقال: (أنا في خدمتك وخدمة الباقين وإني لأعترف بأنك بذلت اليوم جهداً جباراً للحصول على المعلومة الصحيحة في المكان الصحيح، والآن أخبرنا ماذا كتب في ورقتك).

قرأ محمد ما هو مكتوب في ورقته: (عبد الرحمن بن الحجاج ورد ذكره في أسانيد تفسير القمي، وفي كتاب كامل الزيارات، وقد وثقه الشيخ النجاشي في رجاله بقوله: «عبد الرحمن بن الحجاج. البجلي... وكان ثقة ثقة، ثبتا، وجها»[١].

وقد نقل الشيخ الطوسي في كتابه «اختيار معرفة الرجال» ان الإمام الكاظم عليه السلام شهد له بالجنة وأورد فيه مدحا عن الصادق عليه السلام فقال نقلا عن أبي قاسم نصر بن الصباح: «عبد الرحمن بن الحجاج شهد له أبو الحسن عليه

(١) رجال النجاشي ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

السلام بالجنة، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول لعبد الرحمن: يا عبد الرحمن كلم أهل المدينة فإني أحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك»[١].

وكما وثقه ابن أبي داود في رجاله بقوله: «عبد الرحمن بن الحجاج البجلي مولاهم كوفي بياع السابري... وكان ثقة ثقة، شهد له الصادق عليه السلام بالجنة»[٢]).

٦: وثاقة سدير الصيرفي

فلما أكمل محمد قراءة ورقته أخرج خالد على الفور ورقة وقال: (لم يبق لدينا إلا «سدير الصيرفي» وسأبين لكم حاله، فقد ورد اسمه في أسانيد كتاب «كامل الزيارات» وكتاب «تفسير القمي».

كما وقد صرح ابن داود قدس الله روحه في رجاله بأنه كان ممدوحا إذ قال: «سدير بن حكيم، بالفتح، أبو الفضل ممدوح»[٣].

أما السيد الخوئي قدس الله روحه وبعد أن استعرض عدة روايات في مدح وقدح سدير الصيرفي قال: «فتحصل مما مر أنه لا يمكن الاستدلال بشيء من الروايات على مدح سدير ولا على قدحه، لكنه مع ذلك يحكم بأنه ثقة من جهة شهادة علي ابن إبراهيم في تفسيره بوثاقته»[٤].

ولكن السيد علي بن أحمد العقيقي قد اتهم سديراً بأنه كان مخلطا، وهذا

(١) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٧٤١.

(٢) رجال ابن داود الحلي ص ١٢٨.

(٣) رجال ابن داود ص ١٠١.

(٤) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ٩ ص ٣٩.

الوصف قد يقلل من وثاقة الراوي، إلا أن جملة من علمائنا قاموا برد وتفنيد قول العقيقي هذا وأثبتوا براءة سدير من التخليط، وأثبتوا ضعف وتخليط العقيقي، وسأختار قول السيد الخوئي قدس الله روحه في هذا الشأن حيث قال: «ولا يعارض ذلك بما رواه العلامة من قوله: وقال السيد علي بن أحمد العقيقي: سدير الصيرفي وكان اسمه سلمة كان مخلطا... فإن العقيقي لم تثبت وثاقته، على أن التخليط بمعنى رواية المعروف والمنكر، وهذا لا ينافي وثاقة الراوي. ثم إن ما نقله العلامة عن العقيقي من أن اسم سدير سلمة لا محصل له، فإن سديرا من الأسماء ولا معنى لان يقال اسمه سلمة، ولعل في العبارة تحريفا»[1].

فخلاصة الكلام ان سديرا الصيرفي ممدوح بشهادة ابن داود قدس الله روحه وثقة بشهادة السيد الخوئي قدس الله روحه وبذلك تثبت وثاقة جميع أفراد سند الرواية، وتكون الرواية معتبرة، ويصح الاعتقاد بصدورها عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

انتهى خالد من كلامه هذا ونظر إلى السماء فوجد ان وقت الغروب قد حل، فقال: (سنكتفي اليوم بهذا القدر من البحث وسنكمل غداً إن شاء الله في نفس الموعد، ولا تنسوا أن تتأملوا هذه الليلة في فقرات الرواية جيدا وتكتبوا كل ما يخطر على بالكم من ملاحظات أو أسئلة ترونها ضرورية).

نهض الجميع وودع بعضهم بعضا متمنين لبعضهم قضاء أمسية جميلة، وانصرف كل منهم إلى منزله، على أمل اللقاء غداً.

---

(١) المصدر السابق.

الدليل الأول على أفضلية السيدة الزهراء عليها السلام

مضت ساعات الليل سريعة، وجاء النهار، ثم حل وقت العصر، واجتمع الكل، وجلسوا جلستهم المعتادة، وبدأ خالد بالكلام وقال: (هل قرأتم الرواية جيدا؟ وهل تأملتم فيها؟).

اكتفى بعض الحاضرين بالإشارة برأسه، وأجاب البعض الآخر بنعم، فقال خالد: (حسنا، سيلقي كل واحد منا ملاحظة واحدة، فنجيبه عليها، ثم ينتقل الدور إلى الشخص الآخر، ثم نرجع من جديد إلى الشخص الأول وهكذا، وليبدأ محمد أولا وليقل ما عنده، هيا تفضل).

نظر محمد في وجوه الحاضرين وقال: (قد عرفنا البارحة ان السند هو الرجال الذين نقلوا لنا الحديث عن قائله الأصلي وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا بحثنا بالأمس عن ستة من الرواة ولم نبحث عن الإمام الصادق وأبيه وجده، مع أنهم من ضمن السند؟).

خالد: (نحن نبحث عن الرواة الذين يوصلوننا إلى الإمام المعصوم عليه السلام، فإذا وصلنا إليه اكتفينا، لأن غرضنا من الرواية هو الوصول إلى رأي المعصوم وقوله، ولا يهم حينئذ أن يكون المعصوم عليه السلام هو القائل المباشر

لهذا الحديث، أو هو ناقلاً عن غيره من المعصومين).

أسامة: (أما أنا فقد وجدت بأن فقرة: «خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن تخلق الأرض والسماء» والتي ورد ذكرها في الرواية تدل دلالة واضحة على أفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على الملائكة وعلى الأنبياء وعلى جميع البشر سواء كانوا صحابة أم لا، لسبق وجودها واصطفائها على كل هؤلاء).

هل السبق الزماني في الخلق يدل على الأفضلية؟

فاطمة: (ولكن ما الدليل على ان السبق في الخلق يدل على الأفضلية؟ فقد خلق الله إبليس قبل آدم، ولكن مع هذا فآدم أفضل من إبليس؟!).

نظر أسامة إلى خالد مستنجداً، فقال خالد: (نحن لا نقول بأن مجرد السبق في الخلق يدل على الأفضلية، وإنما نقول إن التقدم الزمني في الخلق إذا كانت معه عنايات إلهية خاصة تميزه عن غيره فحينئذ يصبح أفضلية، أما إذا كان التقدم الزمني في الخلق فيه خذلان الهي فانه يدل حينئذ على النقص).

فاطمة: (هل يمكن ان توضح كلامك أكثر؟).

خالد: (لننظر إلى المثال الذي أتيتِ به، فإبليس وان كان أقدم من حيث الوجود الزمني بالنسبة إلى آدم، ولكن لو رجعنا إلى كلمات القرآن التي قيلت فيه، فلسوف لن نجدها تتحدث عنه إلا بشكل سلبي، فتارة يقول عنه: «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

وتارة أخرى يطرده الله سبحانه من المنزلة التي كان فيها قائلا له: «فَاهْبِطْ

مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، أو: ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إلى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

فمن هذا الخذلان واللعن والطرد والإبعاد علمنا أن إبليس لم ينفعه سبق وجوده وخلقه على آدم صلوات الله وسلامه عليه، وان آدم صلوات الله وسلامه عليه وان كان وجوده متأخرا إلا انه أفضل.

والآن نأتي إلى الرواية التي ذكرت خلق السيدة الزهراء قبل السماوات والأرض، لنرى هل إن الرواية كانت تتحدث عنها بشكل إيجابي أم سلبي، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في صدد مدح ابنته صلوات الله وسلامه عليها على رؤوس الأشهاد وهذا أمر إيجابي، وإنها حوراء إنسية وهو مدح ثانٍ، وان الله سبحانه قد خلقها من نوره وهذا مدح ثالث، وان الله سبحانه قد وضعها في حقة وهي الخزنة الصغيرة التي يوضع فيها النقود والجواهر، فشبهها بالجوهر الذي يوضع في الخزنة خوفا عليه وتكريما له، وهو مدح رابع، وانها كانت تعيش في ذلك العالم على التسبيح والتهليل والتكبير وهو طعامها وشرابها، وهذا مدح خامس، وهكذا بقية فقرات الرواية، فلما وجدنا ان أسبقيتها صلوات الله وسلامه عليها قد حفت بهذه الكرامات والألطاف علمنا ان هذه الأسبقية كانت لها كرامة وفضلاً، بعكس أسبقية إبليس لعنه الله على آدم التي كانت له مذمة ونقصاً لأنها لم تزده إلا خسراناً مبيناً).

هل الزهراء أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه؟

تنفس أسامة الصعداء وقال: (الحمد لله، فاستنتاجي صحيح إذن، ولكن عندي سؤال: فالرواية تقول: إن الله سبحانه قد خلق نورها قبل السماوات

والأرض، يعني ان نورها أقدم مخلوق، وهذا يعني انها قد خلقت قبل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقبل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، **فهل هذا التقدم الزمني في الخلق يدل على أفضليتها صلوات الله وسلامه عليها عليهما؟).**

خالد: (السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لم تخلق قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا قبل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد صرحت روايات أخرى بأن الله سبحانه خلق نور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أولا، ثم خلق عليا من نوره، ثم خلق فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من نورهما، ثم خلق الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما من نور علي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، فأصل نور فاطمة من نوريهما فيكونان أفضل منها، فضلاً عن إجماع الشيعة قديماً وحديثاً على أفضلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين على فاطمة وعلى سائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

هل النور المذكور في الرواية مادي؟

فاطمة: (أليس النور موجوداً مادياً؟ وإذا كان مادياً فإنه يحتاج إلى زمان ومكان، فكيف خلق قبل السماوات والأرض اللتين يقاس بهما الزمان والمكان؟).

خالد: (الرواية تدل بشكل واضح على أن النور الذي خلقت منه فاطمة صلوات الله وسلامه عليها هو ليس نوراً مادياً، وهو خارج عن إطار الزمان والمكان، بدليل خلقه قبل الزمان والمكان، وقبل الأرض والسماوات، فهو نوع من الوجود الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولسنا مكلفين بالبحث عن ذلك، والمهم أن نعرف ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كانت مخلوقة قبل خلق هذا العالم، وان نوع وجودها في تلك المرحلة من الخلق لم يكن مادياً، لذلك كان طعامها التسبيح والتهليل والتكبير،

يعني طعامها غير مادي بل هو معنوي، والمهم أيضا أن نعرف بأن خلقها في تلك المرحلة سببه أفضليتها ولمحبة الله سبحانه لها،أما كيف وأين وغير ذلك من الاستفهامات فهي مما حجب عنا فهمه ولم نكلف معرفته).

فاطمة: (لم تجبني عن السؤال يا خالي، أليس النور موجوداً مادياً؟).

خالد: (النور المعروف عندنا في هذا العالم مادي، لأنه محكوم بقوانين المادة وحدودها، أما في الشرع فقد أطلق النور في بعض الأحيان وأريد به ما فوق عالم المادة والطبيعة كقوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» والله سبحانه ليس موجوداً مادياً ومع ذلك وصف نفسه بالنور، لأن للنور قابلية الهداية، والله الهادي لأهل السماوات والأرض، ولو كان المقصود هو النور والضوء المادي لما أظلمت الأرض ليلاً ولا نهاراً، فيتبين لنا من هذا كله ان النور المقصود في الرواية ليس نوراً مادياً، بل هو نوع من الوجود الخارج عن حد المادة بحدودها الزمانية والمكانية، وقد استعمل لفظ النور في الرواية للدلالة عليه لمناسبة لعلها لا تخفى عليكم).

النور ظاهر بنفسه ومظهر لغيره وكذلك السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

أسامة: (بل هي خافية علينا، فهل يمكنك أخي خالد من تبيان المناسبة ما بين هذا النور المادي وما بين ذلك الوجود الذي خلقت منه السيدة الزهراء؟).

فقال خالد: (كلنا يعرف ان من خواص النور هو إيضاحه وإظهاره للأشياء، فما يشع النور في مكان حتى تتبدد الظلمات ويصبح كل ما كان مستتراً واضحاً

منيراً قابلا للرؤية، فهو كما يقولون ظاهر بنفسه ومظهر لغيره، وكذلك هي السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فقد ورد في عدة روايات بأن الله سبحانه أظهر بعض أجزاء هذا العالم من بركات وجودها صلوات الله وسلامه عليها[(١)].

أسامة: (أليس هذا الكلام غريبا بعض الشيء؟ فكيف يعقل ذلك؟!).

خالد: (وما الغرابة في هذا الشيء؟).

أسامة: (كيف يعقل ان تخلق السماوات والأرض من نورها؟ أليس هذا غلوا؟).

خالد: (لا غلو في هذا فالله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء مما يشاء، والأمر الذي لا نعقله أو لا تميل إليه نفوسنا لا يحق لنا أن نكذبه، ولا يوجد أي

---

(١) روى العلامة المجلسي في (بحار الأنوار ج١٥ ص١٠) عن: (كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: عن محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في كتابه مصباح الأنوار بإسناده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله خلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا ″، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا ″، ثم مزج النور بالروح، فخلقني وخلق عليا ″ وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي، ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض...).

غلو في الموضوع، أليس الله سبحانه قد صرح في القرآن بأنه خلق السماوات من دخان[1]، وكذلك ذكر القرآن الكريم ان الله سبحانه قد خلق كل شيء يمشي على الأرض من ماء[2]، وانه سبحانه قد خلق هذا الإنسان الذي حير العقول بحسن تركيبه ونظامه من طين أو من مني أو ماء مهين[3]، فكيف نصدق ان الله يخلق من الدخان هذه الكواكب والمجرات والشموس ولا نعدّه غلوا؟!!، أو ان الله يخلق هذا الإنسان بأعصابه وعقله ولحمه ودمه من طين أو من مني ولا نعدّه غلوا؟!!، ولكن حينما يقال لنا ان السماوات قد خلقت من نور فاطمة نستفظع ذلك ونعدّه غلوا، وهل هذا الا من قبيل الكيل بمكيالين، أو الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر؟!).

فاطمة: (السبب في إنكار الناس واستثقالهم لخلق السماوات والأرض من نور فاطمة صلوات الله وسلامه عليها هو ان القرآن الكريم قد صرح بخلق الإنسان من طين وبخلق السماوات من دخان فلذلك صدقوا، ولكن القرآن لم يذكر لنا ان الله سبحانه قد خلق السماوات من نور فاطمة ولو كان قد ذكر لما اعترض على هذا

---

(١) قال سبحانه في سورة فصلت الآية رقم ١١: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ).

(٢) قال سبحانه في سورة النور الآية ٤٥: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

(٣) قال سبحانه في سورة السجدة الآية رقم ٧و٨: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ).

الأمر أحد).

خالد: (ان كان القرآن الكريم لم يذكره فقد ذكره النبي الأعظم ﷺ في حديث صحيح، وقول النبي ﷺ من حيث التشريع وبيان الحقائق الغيبية بقوة قول القرآن الكريم وبيانه، فكلاهما له نفس الحجية من هذه الجهة، وقد أكد القرآن الكريم على حجية جميع أقوال النبي الأعظم ﷺ بقوله: «وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»، وقوله: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى».

أضف إلى ذلك ان القرآن الكريم لم يبين لنا كل شيء على نحو التفصيل، فمثلا لم يذكر لنا عدد ركعات الصلاة، ولا ذكر لنا ما نقوله في الصلاة، وغير ذلك الكثير الكثير، وإنما أخذنا كل ذلك عن النبي الأعظم ﷺ وصدقنا قوله، فلماذا نصدق قول النبي ﷺ حينما يقول لنا ان صلاة الصبح ركعتان، ولا نصدق قوله حينما يقول لنا ان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها نور، أو ان الله سبحانه قد خلق من نورها السماوات أو الأرض، وهل هذا التصرف منا إلا شبيه بتصرف أهل الكتاب من الكفار الذين وبخهم الله سبحانه بقوله: «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»[1]).

أسامة: (بقي عندي سؤال يحيرني وهو:إذا كان الله سبحانه قد خلق السماوات من نور السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها فلماذا يقول في القرآن بأنه سبحانه

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٨٥.

قد خلقها من دخان؟).

فقال خالد: (إن القرآن الكريم اعتاد ذكر مراحل خلق الموجودات في آيات متفرقات، ولم تجمع هذه المراحل في آية واحدة بحسب الظاهر، فمراحل خلق الإنسان مثلا قد فرقت ووزعت في آيات القرآن الكريم، ففي بعض الآيات يذكر سبحانه بأنه خلقه من تراب، وفي بعضها الآخر انه سبحانه خلقه من طين، وفي آيات أخرى يذكر بأنه خلقه من طين لازب، وفي آيات أخرى ذكر بأن الإنسان مخلوق من نطفة، وفي بعضها الآخر انه مخلوق من صلصال من حمإ مسنون، وفي بعضها الآخر من علقة وهي الدم، وغير ذلك، وعليه فلو قلنا ان الإنسان مخلوق من طين لصح قولنا، ولو قلنا انه مخلوق من ماء لصح قولنا أيضا، ولو قلنا انه مخلوق من علقة أو مني لصح قولنا أيضا.

وكذلك السماوات فهي مخلوقة من دخان كما صرح بذلك القرآن الكريم، وهي مخلوقة من نور فاطمة الذي هو من نور الله سبحانه كما في الحديث النبوي الصحيح، ولا تناقض في ذلك، وغاية ما في ذلك ان القرآن الكريم ذكر لنا الدخان ولم يذكر النور، والنبي ﷺ قد ذكر لنا نور السيدة الزهراء وكلاهما حجة، ويجب الإقرار بما يخبران به عن الغيب).

محمد: (وكيف يكون نورها وهو غير مادي سبباً لظهور العالم المادي؟).

خالد: (إن مسألة الخلق مسألة معقدة جداً لا يمكن لنا تعقلها أو فهمها، ولسنا مطالبين بتفسيرها ولله الحق وحده في خلق ما يشاء كيفما يشاء، وخلق العالم المادي من شيء غير مادي هو شبيه بخلق السماوات من دخان، أو الإنسان من

طين ميت لا حياة فيه، فمثلما ان خلق الحي من الميت أمر لا يمكن للمخلوقين فهمه كذلك خلق المادي من غير المادي أمر لا يمكن لمثلنا فهمه ولسنا مطالبين بذلك شرعاً وعقلاً).

سكت الجميع فقال خالد: يظهر ان أسئلتكم على هذه النقطة قد اكتملت فإن كان ظني صحيحا فلننتقل إلى النقطة الثانية)، فهز الجميع رأسه علامة على الموافقة.

للنور خاصية الهداية والدلالة والحجية وكذلك السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

خالد: (وللنور خصوصية أخرى هي الهداية والدلالة والحجية، فبالنور يهتدي الإنسان لرؤية طريقه، وبه يستدل على حقائق الأشياء، لذلك كانوا يضعون منارة على الشاطئ ويضعون أعلاها نوراً، ليهتدي وليستدل به التائهون في ظلمات البحر ومجاهيله.

ولهذا السبب أطلق وصف النور على القرآن في آيات عديدة(١)، فكما أن النور يهدي الإنسان إلى طريقه في ظلمات الليل ونحوه، كذلك القرآن يهدي الإنسان إلى طريقه في ظلمات الحياة.

ولهذا السبب أيضا أطلق وصف النور على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وباقي الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الرواية: «نحن نور لمن تبعنا، ونور

---

(١) قال سبحانه في سورة النساء الآية رقم ١٧٤: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا»، وقال سبحانه في الأعراف الآية رقم ١٥٧: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

لمن اقتدى بنا»[1]، فالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والفرائض والسنن[2]، فصح إطلاق النور عليهم.

وبناء على هذا التوضيح يصح إطلاق لفظ النور على السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لان لها صفة الحجية والدلالة والهداية، فهي كباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من دلالات الله سبحانه وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والفرائض والسنن، وهي حجة من حجج الله سبحانه على سائر أهل التوحيد وهي حجة حتى على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[3]).

فقالت فاطمة: (وهل توجد نصوص وروايات تدل على ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي كباقي الأئمة من دلالات الله سبحانه وآياته التي يهتدي بها أهل التوحيد؟).

فقال خالد: (نعم توجد، وهي كثيرة، وسأختار لكم واحدة من تلك الروايات الشريفة، فقد روى الشيخ الصدوق بأسانيد متعددة عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «اقتدوا بالشمس، فإذا غابت الشمس

---

(١) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج٢ ص١٠٤.

(٢) قال الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد ص١٥٧: (عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فقال: هو مثل ضربه الله لنا، فالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والفرائض والسنن، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

(٣) كما سيأتي في محله من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه.

فاقتدوا بالقمر، فإذا غاب القمر فاقتدوا بالزهرة، فإذا غابت الزهرة فاقتدوا بالفرقدين، فقالوا: يا رسول الله فما الشمس؟ وما القمر؟ وما الزهرة؟ وما الفرقدان؟ فقال: أنا الشمس، وعلي القمر، والزهرة فاطمة، والفرقدان الحسن والحسين»[١]، فهذه الرواية صريحة في جعل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها من دلالات الله سبحانه وآياته التي يهتدى بها في ظلمات الحيرة والجهل، فهي إذن نور لأنها تحمل صفات النور وخواصه).

أسامة: (قلت انها صلوات الله وسلامه عليها حجة على المؤمنين وحجة على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فكيف يكون ذلك؟).

خالد: (أما مسألة حجيتها على المؤمنين فأعتقد بأنها واضحة أليس كذلك؟).

أسامة: (ليس تماما، فأوضحوها تؤجرون).

خالد: (كونها حجة على سائر المؤمنين مفروغ منه عند علمائنا رضوان الله تعالى عليهم،ولهم أدلة كثيرة على ذلك، منها حديث الثقلين[٢]، والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أحد أفراد العترة الهادية التي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم وأخبر بأنهم لن يفترقوا عن كتاب الله حتى يردا عليه الحوض، والتمسك يعني الاقتداء بكل ما يصدر عنهم من قول أو فعل، وهذا يعني ان أقوال وأفعال السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها حجة على جميع المسلمين.

---

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص١١٥ وما بعدها.

(٢) روي عن النبي الاعظم متواترا انه قال: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

ويدل على كونها حجة على المؤمنين أيضا ما رواه محمد بن جرير الطبري في كتابه دلائل الإمامة بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: «ولقد كانت طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن، والإنس، والطير، والوحوش[1]، والأنبياء، والملائكة»[2]، وفيها دليل على ان للسيدة الزهراء حجية وولاية على جميع الموجودات حتى الأنبياء والملائكة والإنس والجان والحجر والمدر).

أسامة: (وهذه الرواية تدل أيضا على حجيتها على الأئمة لأنها تقول ان طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ممن خلق الله سبحانه).

خالد: (أحسنت، وتوجد أدلة أخرى على حجيتها صلوات الله وسلامه عليها على سائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ستأتي لاحقا إن شاء الله فلا تستعجلوا واتركوا هذا البحث لوقته المناسب).

للنور خاصية الصفاء واللطافة والنقاء وكذلك السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

خالد: (وللنور خاصية أخرى، فإذا قسناه بالظلام فان للنور نقاء وصفاء، وللظلام كدورة ودرن، وللنور لطافة وصفاء، وللظلمة عتمة واسوداداً، فإذا أردنا أن نصف شيئاً طاهراً صافياً نقياً من كل عيب ونقص شبهناه بالنور، وإذا أردنا أن نصف موجودا معتما لا خير فيه مشتهراً بالجهل والخطيئة والدرن والرجس شبهناه بالظلمة.

---

(١) وفي بعض النسخ (والبهائم).

(٢) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الشيعي ص١٠٦.

ووصف السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بالنور في الرواية هو لتبيان صفائها ونقائها ولطافة ذاتها، وخلوها من كل جهل أو عيب أو نقص، ونزاهتها عن كل رجس وقبيح، ودليل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، ولا خلاف بين المسلمين ان فاطمة أحد المشمولين بهذه الآية المباركة، وان الله سبحانه قد طهرها بجميع مراتب ومعاني التطهير، وأذهب عنها الرجس بجميع مراتبه ومعانيه، وبسبب هذا الصفاء والخلوص والتنزه عن كل ظلمانية صح إطلاق وصف النور عليها صلوات الله وسلامه عليها).

لا بقاء للكون من دون نور كما لا بقاء له من دون فاطمة صلوات الله وسلامه عليها

وقال خالد: (والنور سبب لبقاء الحياة، فلا يمكن لموجود حي أن يستمر في الحياة من دون أن يستفيد من النور، وأعظم مصدر من مصادر النور هو الشمس، فلولاها ولولا نورها لعاش الكون كله في وحشة قاتلة، ولتحولت الدنيا إلى ظلام يميت كل حي، وكذلك هي السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها فلولا وجودها النوراني المقدس لما وجدت سماء ولا أرض، لأنها حجة الله، وأم الحجج الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولولا وجودها الأقدس لما ولد الحسن والحسين ولما ولد الأئمة من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولساخت الأرض بأهلها[2]، فهي شمس هذا الوجود التي لولاها لعاش الكون كله في ظلمة وتلاشى).

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١ ص١٧٩ عن أبي حمزة قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)، وفي نفس المصدر عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله).

النور أكبر مصدر من مصادر الطاقة وكذلك السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

خالد: (وللنور أهمية عظيمة في حياتنا، فهو من أعظم مصادر الطاقة قديما وحديثا، ففي السابق كان الإنسان يستفيد من النور استفادة محدودة بسبب جهله وقلة خبرته، أما اليوم فتوجد مصانع ومحطات توليد الطاقة الكهربائية ومحطات توليد المياه وغير ذلك، كلها تعمل على أشعة الشمس ونورها.

ومن يتابع الروايات الشريفة التي تحدثت عن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها يجد بأن هذه السيدة العظيمة من أعظم مصادر الطاقة الروحية والشرعية والعلمية التي تفضل الله سبحانه بها علينا، وقد بلغ عظيم نفعها وبركتها ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا يعدّونها مصدرا من مصادر التشريع[١]، حيث كان لديهم كتاب خاص أطلقت عليه الروايات اسم «مصحف فاطمة»، كما ان الروايات قد صرحت أيضا بأن هذا الكتاب فيه كل ما يحتاج إليه الناس والى يوم القيامة[٢]، ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى علم هذه السيدة الجليلة ونورها، مثلما نحن بحاجة

(١) مصادر التشريع عند الشيعة الإمامية أربعة كما هو معروف، القرآن والسنة والعقل والإجماع، والسنة التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع يقصد بها قول المعصوم وفعله وتقريره، والمعصوم يشمل النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لأنها تدخل في ضمن المعصومين، فهي مصدر من مصادر التشريع عندنا بقولها وفعلها وتقريرها.

(٢) ففي بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار (ص١٧٠) عن الحسين بن أبي العلاء قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول عندي الجفر الأبيض. قال: قلنا: وأي شيء فيه؟ قال: فقال لي: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أزعم ان فيه قرآنا وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أن فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش...).

إلى نور الشمس وضوئها، بل ان حاجتنا إليها أعظم وافتقارنا إلى طاقتها المعرفية والروحية أشد، والإنسانية التي كانت تجهل قدر وأهمية ضوء ونور الشمس ما زالت إلى يومنا تجهل أهمية وقدر نور فاطمة وعلمها).

كيف تكون السيدة الزهراء بشراً وفي الوقت نفسه نوراً؟

خالد: (هذه هي أهم الأسباب التي أدت إلى تشبيه السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بالنور).

أسامة: (بقي عندي سؤال لو سمحت، أليس القول بأن السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كانت نوراً ينافي كونها بشراً، لان القرآن الكريم قد وصف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وباقي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأنهم بشر مخلوقون من لحم ودم، فكيف نوفق بين كونها بشراً وبين كونها نوراً؟).

خالد: (قد أجبنا على هذا السؤال في ضمن كلامنا السابق، لأني قد أوضحت بأن لخلق الإنسان مراحل وتطورات، ففي مرحلة من مراحل خلقه كان ترابا، وفي مرحلة أخرى كان نطفة، وفي مرحلة أخرى كان علقة وهي الدم، وفي مرحلة أخرى كان مضغة وهي القطعة الصغيرة من اللحم[(١)] ثم يعود ترابا في القبر، فاختلاف الشكل أو المظهر المادي لا يؤثر في الجوهر الإنساني أو البشري للشخص، فأسامة في مرحلة التراب هو نفسه أسامة النطفة، وأسامة النطفة هو نفسه

(١) قال تعالى في سورة الحج الآية رقم ٥: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا».

الجنين الذي يتحول تارة علقة وتارة مضغة، وهو نفسه في مرحلة الطفولة أو الشباب أو الرجولة، وهو نفسه التراب بعد موته، فيتبين من هذا كله ان كون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها نورا في مرحلة من مراحل خلقها لا يخرجها عن كونها بشرا، مثلما ان خلقنا من تراب أو دم لا يخرجنا عن كوننا بشرا).

أسامة: (ألا تعتقدون بأن هذا الحديث يوجب سخرية المذاهب الأخرى منا؟ فمن يسمعه منهم يعتقد بأننا نؤله أئمتنا والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون الحديث هذا سبباً لتكفيرنا وقتلنا).

فقال خالد: (لا ينبغي لعاقل أن يكفر الشيعة لمجرد قولهم بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نور من نور الله سبحانه، وعلى من يكفر الشيعة لهذا السبب أن يكفر بقية المسلمين لأنهم يقولون ان عيسى روح الله وكلمة الله[1]، فمثلما ان وصف عيسى بروح الله وكلمة الله لا يخرجه عن البشرية ولا يصيره إلها كذلك وصف السيدة الزهراء عليها السلام بأنها نور الله لا يخرجها عن البشرية ولا يصيرها إلها. ثم ان أهل السنة قد وصفوا بالنورانية ما هو أقل من السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها فلماذا يستفظعون علينا وصفها بذلك وهي سيدة نساء الأولين والآخرين، فقد رووا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «لا تنتفوا الشيب؛ فإنه نور يوم القيامة»[2]، فكيف لا يستثقلون بأن الشيبة وهي الشعرة البيضاء

---

(١) قال تعالى في سورة النساء الآية رقم ١٧١: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ).

(٢) صحيح ابن حبان ج٧ ص٢٥٣.

ستتحول من صورتها الدنيوية هذه إلى صورة أخرى نورانية، بينما يستثقلون أن تكون السيدة الزهراء ـ وهي أعظم من الشعرة البيضاء بإجماع المسلمين ـ نورا قبل خلقها في عالم الدنيا.

إضافة إلى كل هذا فأهل السنة قد رووا أحاديث مشابهة لما رويناه نحن في حق الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فقد رووا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «ان الله تعالى خلقني من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر، وخلق المؤمنين من أُمّتي من الرجال من نور عمر، وخلق المؤمنات من أُمّتي من النساء من نور عائشة، فمَن لم يحبّني ويحبّ أبا بكر وعمر وعائشة فما له من نور»[1].

وأهل السنة لو كفروا الشيعة لأنهم قالوا بخلق الله السماوات من نور فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فعليهم أيضا أن يكفروا صاحب كتاب السيرة الحلبية لأنه يقول بخلق السماوات والأفلاك وحتى آدم أبو البشر من نور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال أسامة: (عجيب! وهل لك أن تخبرنا ماذا قال الحلبي بالضبط؟!).

قال خالد: (قال الحلبي في سيرته: «...وجاء: أول ما خلق الله نوري، وفي رواية أول ما خلق الله العقل، قال الشيخ علي الخواص ومعناهما واحد، لأن حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الأول وتارة بالنور، فأرواح الأنبياء والأولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم، هذا كلامه، وهذا هو المعنى بقول بعضهم: لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه، أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها... وحينئذ

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) للثعلبي ج٧ ص١١١.

لا يخالف ذلك ما جاء أن الله خلق آدم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس...»).

أسامة: (يظهر ان هذا القول ليس قول الحلبي وحده لأنه ينقل عن جماعة من أهل السنة أليس كذلك؟).

فاطمة: (نعم أحسنتم فإنه يقول: «قال الشيخ علي الخواص...» ويقول أيضا: «وهذا هو المعنى بقول بعضهم...» مما يدل على ان القائل بهذا القول جماعة من أهل السنة).

خالد: (أحسنتما الاستنتاج، وأزيدكم ان أهل السنة يقرون بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما ولد وفي أثناء المخاض رأت أمه بأنها قد خرج منها نور أضاءت له قصور الشام[١]، وفي نص آخر أضاءت له قصور بصرى[٢]، كما واعترفت مصادرهم الروائية أن آدم عليه السلام وحينما رأى ذريته في عالم الذر رأى الأنبياء عليهم السلام عليهم نورا[٣]، وللمناوي كلام مهم في هذا المجال، لأنه يعتقد بأن ذات النبي الأعظم كلها نور ظاهرا وباطنا، بل ان باستطاعة النبي الأعظم

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٠٢ وما بعدها.

(٢) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج١ ص٦٧ الرقم ٤٣٥٩.

(٣) قال الوادعي في (صحيح دلائل النبوة ص٣٨٣) نقلا عن ابي هريرة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه... وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النور فقال: يا رب من هؤلاء الذين عليهم النور؟ فقال: هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادي ، وإذا فيهم رجل هو أضوؤهم نورا ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة...).

أن يمنح هذا النور لمن يريد من الأشخاص، فقد قال في شرحه لكتاب الجامع الصغير ما نصه: «كانت ذاته الشريفة كلها نورا ظاهرا وباطنا، حتى أنه كان يمنح لمن استحقه من أصحابه، سأله الطفيل بن عمرو آية لقومه وقال: اللهم نور له، فسطع له نور بين عينيه، فقال: أخاف أن يكون مثلة، فتحول إلى طرف سوطه، وكان يضيء في الليل المظلم، فسمي ذا النور، وأعطى قتادة بن النعمان لما صلى معه العشاء في ليلة مظلمة ممطرة عرجونا وقال: انطلق به فإنه سيضيء له من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا، فإذ دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه ليخرج فإنه الشيطان، فكان كذلك، ومسح وجه رجل فما زال على وجهه نور، ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق، حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة...»[١]، وهذا يدل على ان نورانية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد بقيت ملازمة لهم حتى في هذا العالم[٢]، بل وان لهم القدرة على منح هذه النورانية لمن يشاءون ويرتضون).

ثم ختم خالد كلامه قائلا: (فلنؤجل الكلام إلى يوم الغد فالوقت قد أدركنا، وها هو وقت الصلاة قد حان).

قام الجميع وودع بعضهم بعضاً، فخرج خالد وفاطمة أولاً، ثم تبعهما أسامة ومحمد، فمشيا معاً عائدين كل إلى بيته فلما وصلا إلى مفترق الطريق ودع كل منهما صاحبه وتفرقا على أمل اللقاء غداً إن شاء الله.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٥ ص٩٣.

(٢) روي ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كانت تزهر وتشرق كلما وقفت على محراب صلاتها، حتى يحس أهل المدينة بنور إشراقها وهو أحد أسباب تسميتها بالزهراء.

الدليل الثاني من أدلة تفضيلها عليها السلام

السيدة الزهراء حوراء إنسية

اجتمع الأصحاب في اليوم الثاني لإكمال ما بدأوه، وبعد إخراج الجميع أوراقهم وجهاز التسجيل الذي حرص أسامة على عدم نسيانه قال خالد: (قد وصل الدور إليكِ يا فاطمة لتبيني ما سجّلته لنا من ملاحظات على الرواية، فتفضلي وأسمعينا ما عندكِ).

فاطمة: (ان الرواية قد نصت على ان السيدة الزهراء حوراء إنسية، وهذه فضيلة لها على سائر نساء العالمين من الأولين والآخرين، إذ لا توجد عندنا امرأة إلا وهي إنسية، إلا السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، والتي صارت تركيبتها في الخلق عبارة عن مزيج بين عالم الجنة وحورها وبين عالم الدنيا وإنسها، أو بعبارة ثانية أصبحت صلوات الله وسلامه عليها موجوداً سماوياً أرضياً في الوقت نفسه[1]، وهي من هذه الناحية أفضل حتى من الرجال بما فيهم الأنبياء والأوصياء، بل وأفضل من الملائكة لأنهم لم يخلقوا بهذه الكيفية).

---

(١) ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله: (ان فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية)، راجع البحار ج٤٣ ص٧.

معنى كون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها حوراء إنسية

محمد: (أنا أستطيع أن أفهم معنى الإنسية، ولكن هل لكم أن تخبروني ما معنى الحور؟).

خالد: (الحور هن نساء الجنة واللاتي خلقن كما في بعض الروايات من تربة الجنة النورانية، واللاتي ذكرهن القرآن الكريم في أكثر من آية في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ... حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ...لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ»[1]، أو قوله تعالى: «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ»[2]).

فاطمة: (هذا الذي تفضل به خالي هو أحد الأقوال في تفسير معنى الحور، والتفسير الآخر هو ان خلقها كان من مادة العالم السماوي، بينما بقية نساء العالمين قد خلقوا من مادة العالم الأرضي، فمثلما ان نساء أهل الجنة قد خلقن من تراب الجنة فكذلك فاطمة قد خلقت من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، كما في بعض الروايات الصحيحة[3]، وإلا فمن الظلم والإجحاف ان نشبه السيدة

---

(١) سورة الرحمن الآية رقم ٧٠ ـ ٧٤.

(٢) سورة الصافات الآية رقم ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) قال الشيخ محمد تقي المجلسي في كتابه «روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٢٢) (وفي القوي كالصحيح، عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته، ثمَّ صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا...).

الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بالحور العين، لأنها أفضل منهن قطعا).

أسامة: (إذا كان معنى حوراء هو ليس نفس معنى الحور العين في الجنة فلماذا شبهت بهن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

خالد: (لعل واحداً من أسباب تشبيهها صلوات الله وسلامه عليها بالحور العين هو لتقريب المعنى إلى السامعين، فالمسلمون قديماً وحديثاً يمكن لهم ان يتخيّلوا ويتصوروا الحور العين في أذهانهم، فتشبيه السيدة الزهراء بهن لتقريب وتشبيه المعقول بالمحسوس، إضافة إلى ان الحور العين فيهن خاصية أخرى وهي مع كونها من عالم الجنة إلا انه يمكن لهن ان يتفاعلن ويتعايشن مع بقية بني آدم، فالحورية مع كونها حورية إلا انه يمكن للمؤمن من بني آدم التعايش معها كالحديث معها والأكل معها والزواج بها شأنهن في ذلك شأن الإنسيات، فلا يمنع كونهن حور عين وقد خلقن من عالم هو غير عالمنا من التفاعل والانفعال مع عالمنا، وكذلك هي السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فمع كونها مخلوقة من طينة خاصة إلا أنها كسائر الإنسيات تتفاعل وتنفعل مع محيطها، فتجوع وتشبع، وتفرح وتحزن، وتتزوج وتنجب، شأنها في ذلك شأن جميع البشر، فلا يخرجها كونها حورية عن حد البشرية).

أليس من الأفضل تسميتها بغير الحوراء؟

قالت فاطمة: (ألم يكن من الأفضل وصف السيدة الزهراء بوصف غير وصف الحوراء ما دام ان المقصود منه هو ليس حور الجنة؟).

خالد: (لو عبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي لفظ آخر لما أمكن للمسلمين فهمه وتصوره، في ذلك العصر، لأنهم كانوا يعيشون البساطة في التفكير والتصورات، فلو قال لهم ان السيدة الزهراء موجود سماوي، أو قال لهم انها موجود «ميتافيزيقي»، أو انها موجود مجرد، لما فهم كلامه أحد منهم، وبما ان الأنبياء وأوصياءهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، فكان يجب عليه صلى الله عليه وآله وسلم تشبيه هذه السيدة الطاهرة بموجود يعرفونه ويستطيعون هضمه وفهمه فلذلك شبهها بالحور).

كيف يمكن أن تكون السيدة الزهراء أسوة وقدوة وهي حورية؟

أسامة: (كيف يمكن أن تكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أسوة وقدوة لنا وهي ليست من جنسنا وليس لنا إمكاناتها الروحية والنورانية؟ فالقدوة لا يمكن أن يقتدى به ما لم يكن من عالمنا ويحمل نفس إمكانياتنا البدنية والروحية).

خالد: (للجواب عن هذا الذي تفضلت به لابد من معرفة عدة أمور، الأمر الأول هو اننا لا نقول: إن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ليست من جنسنا، فهي بشر مثلنا، تعيش كما نعيش، وتأكل كما نأكل، تفرح وتحزن، وتنشط وتتعب، وتموت وتحيا، فهي قدوة لأنها من جنسنا.

الأمر الثاني: من قال إن القدوة يجب أن يكون من مستوانا حتى يمكن الاقتداء به؟ فهذا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فوق مستوى جميع البشر روحاً وعلماً واتصالاً بالله سبحانه ومع ذلك أمرنا القرآن بأن نتخذه قدوة وأسوة في قوله سبحانه: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»[١]، فالاقتداء يكون من جهة إمكانه لا مطلقا، فالواجب علينا كمكلفين هو أن نوقع أفعالنا العبادية الواجبة والمندوبة كما أوقعه صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، ونقول بقوله في عقائدنا ومبادئنا الشرعية، أما الأمور التي يختص بها فلا دليل شرعيّاً يوجب الاقتداء به فيها[٣]، وذلك لعدم استطاعتنا لذلك.

وبعبارة أخرى: للأنبياء والأوصياء والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجد جنبتان:

١:جنبة بشرية يتعايشون بها مع الناس، فبها يأكلون ويشربون ويتزوجون ويؤدون تكاليفهم العبادية الواجبة منها والمستحبة وغير ذلك من الأفعال المتعلقة بهذه الجنبة.

٢: وجنبة إلهية يستطيعون من خلالها أن يتصلوا بالله سبحانه ويطلعوا على الغيب وتكشف لهم به الحجب.

والذي أمرنا بالاقتداء به هو الجنبة البشرية فيهم، وان نوقع أعمالنا وعباداتنا الواجبة منها والمستحبة على وفق ما أوقعوه هم، أما الجنبة الغيبية والإلهية فيهم فلا يوجد دليل يوجب علينا التأسي بهم فيها، فلا يوجد دليل مثلا يقول لنا يجب أن

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١.

(٢) لقد جاء في شرح (إيضاح الفوائد) لابن العلامة ج١ ص٧٨: (معنى التأسي إيقاع الواجب كما أوقعه عليه السلام والندب إذا فعله فعله كفعله).

(٣) قال العلامة الحلي في منتهى المطلب ج٦ ص٧: (إذا فعل رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وآله فعلا على جهة الوجوب وجب علينا اتّباعه، فيه إلَّا أن يعلم تخصيصه به، لقوله تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر»).

يوحى لنا كما يوحى إلى النبي الأعظم ﷺ، أو أن نعلم الغيب مثلما يعلم، لأن هذه من مختصاته التي لا طاقة للبشر عليها ولا سبيل لهم لاستحصالها.

وللسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أيضا جنبتان جنبة إنسية يمكن التأسي بها واتخاذها قدوة، ففي عمل البيت وفي عبادتها وفي تعاملها في البيت وداخل المجتمع وفي جهادها ودفاعها وغير ذلك، كل هذه الأمور كانت تمارسها بعنوانها إنسية، فهي إذن قدوة فيها، لأنها معصومة في كل ممارساتها الإنسية.

وأما بعنوان كونها حورية نورانية لها قابلية الاتصال بالغيب ورؤية الملائكة والتحدث إليهم وغير ذلك فليس من الواجب ولا الضروري الاقتداء بها؛ لأن ذلك ليس في طاقتنا ولا باستطاعتنا).

وقالت فاطمة: (أنا أرى أن التأسي بها وهي حوراء إنسية أبلغ مما لو كانت إنسية فقط، لأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وبالرغم من كونها خلقت من ثمار الجنة، وبالرغم من منزلتها الغيبية واتصالها بالله سبحانه، وبالرغم من أن الوجود والملائكة مسخرون لها وفي خدمتها وطوع إشارتها إلا أننا لم نسمع يوماً ان السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها تكبرت أو أصابها العجب والغرور، فقد كانت قمة في تواضعها وبساطتها، فقد كانت لها عباءة قديمة قد خيطت اثني عشر مكانا بسعف النخل[١]، وطحنت الحبوب بالرحى حتى مجلت[٢] يداها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها وصدرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨ ص٣٠٣.

(٢) مجلت اليد: أي تقرحت وتجمع فيها بين الجلد واللحم ماء بسبب العمل.

القدر حتى دكنت ثيابها[1]، فإذا كانت الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تفعل كل هذا وهي صاحبة المقام السامي العالي الذي يتمنى جبرائيل أن يخدمها، فكيف حال من هو دونها في الفضل والمنزلة من سائر نساء المسلمين؟! فان التواضع أحق بهن وأولى).

فأيدها الجميع قائلين لها: (أحسنتِ، التفاتة جيدة).

---

(١) دكن الثوب: اتسخ فتغير لونه إلى الغبرة.

الدليل الثالث من أدلة تفضيلها عليها السلام

سكت الجميع برهة من الزمن، فعلم خالد أن النقاش في هذه النقطة قد أخذ استحقاقه وان لا مزيد من الأسئلة حولها، فقرر أن ينتقل إلى نقطة أخرى جديدة فقال: (وفي الرواية دليل آخر لفضلها على سائر نساء ورجال العالمين حتى الأنبياء عليهم السلام والملائكة، فالرواية تقول ان الله سبحانه خلقها من نوره قبل ان يخلق آدم عليه السلام، وانه سبحانه أسكن نورها في حقة وهو الصندوق الذي توضع فيه الجواهر والذهب وجعل طعامها التسبيح والتهليل والتحميد، وكل هذه الأمور مما انفردت به السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ولم يشاركها فيها أحد من الأنبياء والملائكة والناس أجمعين، طبعا باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان أنوارهم كانت متقارنة في الإيجاد والوجود).

أسامة: (كيف يضع الله سبحانه نورها في حقة ــ صندوق ــ ونحن قلنا ان نورها قد خلق قبل عالم المادة والزمان والمكان، أوليس الصندوق مكانا ماديا؟).

فاطمة: (جواب هذا الإشكال قد تبين سابقا، لأننا قلنا سابقا ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يكلم الناس على قدر عقولهم، وذكر الصندوق هنا هو لتقريب

المعنى إلى أذهان الناس، فالرواية تريد ان تقول ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها جوهرة هذا العالم، ومثلما ان أحدنا يضع أشياءه الثمينة والغالية في صندوق لحمايتها وللحفاظ عليها كذلك وضعها الله سبحانه في مكان يتناسب مع أهميتها وعظمتها، فالتعبير مجازي يراد منه تنبيه السامعين إلى القدر العظيم لهذه السيدة العظيمة).

خالد: (صدقتِ يا فاطمة، فكثير من الصحابة الذين عاشوا مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لا يملكون سعة الأفق والأنس بما هو غير مادي، ألا تراهم يفسرون كل جملة من كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتفسير مادي بسيط وساذج، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أول الرواية يحاول إفهامهم بان وجود السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في تلك المرحلة لم يكن وجودا ماديا، وانها قد خلقت قبل عالم المادة، ولكنهم مع ذلك يقولون له: «يا نبي الله فما كان طعامها؟» فهم وبسبب انشدادهم لعالم المادة لا يستطيعون ان يتصوروا موجوداً لا يأكل ولا يشرب، أو موجوداً يستغني عن المكان والزمان، ولذلك كان النبي الأعظم يجيبهم على قدر عقولهم، ويقرب لهم الفكرة عن طريق التشبيه تارة والمجاز تارة أخرى).

الدليل الرابع من أدلة تفضيلها عليها السلام

خالد: (هل بقي شيء تريدون إضافته قبل أن ننهي الكلام عن هذه الرواية؟).

فاطمة: (نعم، فإن الرواية فيها دليل آخر على أفضلية السيدة الزهراء على سائر الخلق أجمعين، لان الرواية تصرح بأن السيدة الزهراء لم تستقر في صلب إنسان آخر غير نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، حتى في صلب آدم وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان نطفتها المباركة قد خلقت من أقدس مكان قد خلقه الله سبحانه وهو الجنة، وانها نزلت من الجنة إلى صلب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، وهذه فضيلة لا يشاركها فيها أحد من العالمين ولا حتى الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكلهم قد جرى في صلب الآباء والأجداد إلا فاطمة فإنها لم تجر إلا في صلب أعظم موجود عرفته البشرية).

خالد: (صدقت، وقد كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كلما اشتاق إلى الجنة قبل فاطمة وشمها، وهذا يدل على ان رائحة الجنة ورائحة تفاح الجنة قد بقيت

ملازمة للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها حتى بعد ولادتها ونشوئها وبلوغها مبلغ النساء، وهذا يدل على ان هذه الرائحة الطيبة التي يسميها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم برائحة الجنة كانت من ذاتيات السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وليست رائحة عرضية).

محمد: (قولنا بأن رائحة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها رائحة الجنة وانها من ذاتياتها ألا يعدّ هذا غلوا ومبالغة؟ فهل يعقل أن يوجد إنسان يعطي رائحة طيبة بينما الناس جميعهم يعطون روائح كريهة حينما تتعرق أجسامهم وتتسخ أبدانهم، أليست السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بشرا كسائر البشر؟).

فقال خالد: (ليس كل البشر سواسية في هذه المسألة، وقد ثبت بالدليل الروائي عند الشيعة ومخالفيهم ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت رائحة بدنه الشريف لا تشبه رائحة بقية البشر، وكانت أطيب من رائحة المسك والعنبر[١]، وأطيب من أجمل أنواع الطيب[٢]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله في هذا الطريق[٣]، وكانت بعض النساء المقربات إلى النبي الأعظم يجمعن عرق بدنه الشريف في زجاجة

(١) روى مسلم في صحيحه (ج٧ ص٨١) وغيره عن أنس بن مالك انه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص١٥١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص٣٠.

ليستخدمنه كطيب يعطرن به أبدانهن[١] ويداوين به صبيانهن[٢]، والزهراء صلوات الله وسلامه عليها بضعة من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وليس من العجيب ان يورثها صفاته، وتكون رائحتها وطيبها كطيب النبي ورائحته، هذا إذا تركنا الأمور بمجراها الطبيعي، وإلا فان الدليل قد دل على ان للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها طيباً خاصاً وعطراً مختلفاً تتميز به حتى عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم مما يدعوه إلى شم طيبها كلما اشتاق إلى رائحة الجنة).

سكت خالد ونظر إلى ساعته وقال: (يجب علي المغادرة لشراء الدواء من الصيدلية، وسنلتقي غدا للشروع في رواية جديدة إن شاء الله سبحانه).

أسامة: (ولكن يوجد في الرواية دليلان يمكن استخراجهما أحدهما يتعلق باسمها صلوات الله وسلامه عليها والآخر يتعلق بنصرتها لشيعتها يوم القيامة).

قال خالد: (نعم هذا صحيح، ولكننا سنؤجل ذكرهما إلى وقت آخر، لأننا

---

(١) روى مسلم في صحيحه (ج٧ ص٨١) عن أنس بن مالك انه قال: (عن أنس بن مالك قال دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب).

(٢) وروى مسلم في صحيحه أيضا (ج٧ ص٨٢) (عن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتت فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت).

سنتناول أسماءها صلوات الله وسلامه عليها ومنزلتها يوم القيامة في بحث خاص فلا تستعجل) قام الجميع وودع بعضهم بعضا على أمل اللقاء غداً.

خلق فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من ثمار الجنة

اجتمع الجميع وجلسوا جلستهم المعتادة وبعد البسملة وحمد الله سبحانه والصلاة على النبي الأعظم وآله ولعن أعدائهم قال خالد: (سنستعرض اليوم رواية ثانية وسنحاول من خلالها إثبات أفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على الصحابة والملائكة والأنبياء عليهم السلام، وهي مروية في كتاب الأمالي[١] للشيخ الصدوق قدس الله روحه، والرواية كما رواها الشيخ الصدوق طويلة نختار منها ما يتعلق ببحثنا: «حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمه الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: ... وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»).

إثبات صحة سند الرواية

التفت خالد إلى الجميع وقال: (لقد كلفت فاطمة في البحث عن إسناد هذه الرواية تسهيلا عليكم واختصارا للوقت، وستتلو علينا ما توصلت إليه).

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٥٤٥.

أخرجت فاطمة من حقيبتها مجموعة أوراق مكتوبة وجعلت ترتبها ثم قالت مبتسمة: (ينبغي الإشارة أولا إلى ان الرواية التي تلاها خالي هي من الروايات الصحيحة سندا، وقد تتبعت رجالها فوجدتهم كالآتي:

١: أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني أو الهمذاني

قال عنه العلامة الحلي في كتابه «خلاصة الأقوال»:«أحمد بن زياد بن جعفر الهمذاني ــ بالذال المعجمة ــ كان رجلا ثقة دينا فاضلا رضي الله عنه»[(١)].

وقد وثقه ابن داود أيضا في رجاله[(٢)].

وقال عنه السيد الخوئي في رجاله: «أحمد بن زياد الهمداني من مشايخ الصدوق ـ قدس سره ـ روى عن علي بن إبراهيم، وروى عنه الصدوق، وترضى عليه في المشيخة في عدة موارد... وقال الصدوق: وكان رجلا، ثقة، دينا، فاضلا، رحمة الله عليه ورضوانه»[(٣)].

٢: علي بن إبراهيم

وهو ثقة أيضا، قال عنه الشيخ النجاشي في رجاله: «علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وصنف كتبا وأضر[(٤)] في وسط عمره»[(٥)]. وقد وثقه العلامة الحلي في

(١) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص ٧٠.

(٢) رجال ابن داود الحلي ص٣٨.

(٣) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج٢ ص١٢٨.

(٤) اضر بمعنى أصبح ضريرا، أي فقد حاسة البصر في أواسط عمره.

(٥) رجال النجاشي ص ٢٦٠.

خلاصة الأقوال ونقل كلام النجاشي نفسه[١]، وكذا فعل ابن داود الحلي في رجاله[٢].

٣: إبراهيم بن هاشم

قال عنه الشيخ النجاشي: «إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمي أصله كوفي، انتقل إلى قم... وأصحابنا يقولون: أول من نشر حديث الكوفيين بقم هو»[٣]، وذكر الشيخ الطوسي في كتابه «الفهرست» نفس كلام النجاشي تقريبا[٤].

وقال المحقق الداماد في «الرواشح السماوية»: «الأشهر الذي عليه الأكثر عدُّ الحديث من جِهة إبراهيم بن هاشم أبي إسحاق القمّي في الطريق حسناً، ولكن في أعلى درجات الحُسن، التالية لدرجة الصحّة ؛ لعدم التنصيص عليه بالتوثيق.

والصحيح الصريح عندي أنّ الطريق من جِهته صحيح، فأمره أجلّ، وحاله أعظم من أن يَتعدّل ويتوثّق بمعدِّل وموثِّق غيره بل غيره يتعدّل ويتوثّق بتعديله وتوثيقه إيّاه، كيف وأعاظم أشياخنا الفِخام ــ كرئيس المحدّثين والصدوق والمفيد وشيخ الطائفة ونظرائهم، ومَن في طبقتهم ودرجتهم ورتبتهم ومرتبتهم من الأقدمين والأحدثين ـ شأنهم أجلّ وخَطْبهم أكبر من أن يُظنّ بأحد منهم أنّه قد حاج إلى تنصيصِ ناصٍّ وتوثيق موثّق، وهو شيخ الشيوخ، وقطب الأشياخ، ووتد

---

(١) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص١٨٧.

(٢) رجال ابن داود الحلي ص١٣٥.

(٣) رجال النجاشي ص١٦.

(٤) الفهرست للشيخ الطوسي ص٣٦.

الأوتاد، وسند الإسناد، فهو أحقّ وأجدر بأن يستغني عن ذلك، ولا يَحوجَ إلى مثله، على أنّ مدحهم إيّاه بأنّه أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقمّ، و هو تلميذ يونس بن عبد الرحمن لفظة شاملة، وكلمة جامعة، وكلّ الصيد في جوف الفَرا... وبالجملة: فمسلكي ومذهبي جعْل الطريق من جِهته صحيحاً»[١].

وقد استدل السيد الخوئي في رجاله على وثاقته بثلاثة أدلة فقال: «لا ينبغي الشك في وثاقة إبراهيم بن هاشم، ويدل على ذلك عدة أمور:

١: أنه روى عنه ابنه علي في تفسيره كثيراً، وقد التزم في أول كتابه بأن ما يذكره فيه قد انتهى إليه بواسطة الثقات....

٢: أن السيد ابن طاوس ادعى الاتفاق على وثاقته، حيث قال عند ذكره رواية عن أمالي الصدوق في سندها إبراهيم بن هاشم: «ورواة الحديث ثقات بالاتفاق»[٢].

٤: عبد السلام بن صالح الهروي

قال الشيخ النجاشي في رجاله: « عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي روى عن الرضا عليه السلام، ثقة، صحيح الحديث»[٣]، وكذا قال العلامة الحلي وغيره[٤].

---

(١) الرواشح السماوية للمحقق الداماد ص٨٢.

(٢) فلاح السائل للسيد ابن طاوس، الفصل التاسع عشر، ص١٥٨.

(٣) رجال النجاشي ص٢٤٥.

(٤) خلاصة الأقوال للمحقق الحلي ص٢٠٩.

وقال السيد الخوئي في معجم رجاله: «...إن عبد السلام بن صالح أبا الصلت لا إشكال في وثاقته، ولعلها من المتسالم عليه بين المؤالف والمخالف، ولم يضعفه إلا الشاذ من العامة كالجعفي والعقيلي...»[١].

سكتت فاطمة، ثم لملمت أوراقها وقالت: (هذا كل ما عندي، ومنه يثبت ان الرواية صحيحة أو هي حسنة في أعلى درجات الحسن).

---

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١١ ص١٩.

الدليل الخامس من أدلة تفضيلها عليها السلام

التفت خالد إلى الجالسين وقال: (هل لكم أن تخبرونا عن دلالة هذه الرواية على أفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على الصحابة وعلى الملائكة والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟).

فأجاب أسامة: (أعتقد بان الدليل واضح، فالرواية تصرح بأن النطفة التي خلقت منها السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تكونت من ثمار الجنة، وهذه فضيلة لا يشاركها فيها أحد من العالمين).

الدليل السادس من أدلة تفضيلها عليها السلام

خالد: (أحسنت، وهل توجد فضيلة أخرى نستطيع أن نستنتجها من هذه الرواية؟).

فاطمة: (ان رائحتها رائحة الجنة، وليس يشاركها أحد في هذه الفضيلة، وأنا أرى ان الرواية دقيقة في تعبيرها فهي تقول «فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة» ففيها إشارة إلى أن السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها تجمع جميع روائح الجنة وعطرها، لان في الجنة روائح متعددة ففيها المسك وفيها العنبر وفيها الورد وفيها ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، والنبي لم يقل ان رائحة فاطمة تذكرني برائحة مسك الجنة أو عنبرها، وإنما قال برائحة الجنة، أي إنّ عطرها صلوات الله وسلامه عليها ورائحتها مزيج من كل روائح الجنة وعطرها، وهو امتياز امتازت به الزهراء على جميع الملائكة والأنبياء وحتى الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

قال خالد: (أحسنتم التفاتة جميلة).

وقال محمد: (وأيضا يوجد في الرواية تأكيد وتصديق لما ذكرناه سابقا من أدلة ككونها حوراء إنسية وكونها نزلت في صلب النبي مباشرة من دون أن تكون في صلب أحد غيره آدم فما دون).

متى ولدت السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قبل البعثة أم بعدها؟

خالد: (لقد احتوت هذه الرواية الشريفة على عدة نقاط جديرة بالبحث، منها ان الرواية تنص وبصراحة على ان مولد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد كان بعد ان بعث الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وبالتحديد بعد الإسراء والمعراج).

محمد: (وهل يوجد اختلاف في زمان ولادتها؟).

خالد: (نعم، فقد اختلف الشيعة والسنة في زمن ولادتها صلوات الله وسلامه عليها، فالشيعة قد اجتمعت كلمتهم على ان ولادة السيدة الزهراء وقعت بعد البعثة، أما أهل السنة فقد خالفوهم، فمنهم من قال انها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1]، وبعضهم قال انها صلوات الله وسلامه عليها ولدت والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ابن خمس وثلاثين سنة، وبعضهم قال بان ولادتها كانت قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر[2].

---

(١) روى ذلك الحاكم النيسابوري (المستدرك ج٣ ص١٦٠) قال: (خبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى وأبو الحسين بن يعقوب الحافظ (قالا) ثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم قال سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي يذكر عن أبيه عن جده قال ولدت فاطمة رضي الله عنها سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ج٨ ص٢٦٣: (واختلف في سنة مولدها فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال: قال العباس ولدت فاطمة والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني ونقل أبو عمر عن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين).

ولا اعتبار بآراء المخالفين وأقوالهم ما دامت كلمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم قد اتفقت على ان ولادتها كانت بعد البعثة، وما دامت هنالك روايات صحيحة صريحة ذكرت بأن ولادتها صلوات الله وسلامه عليها قد كانت بعد البعثة بخمس سنين[1]).

فقال أسامة: (وماذا يمكن أن يؤثر الاختلاف في وقت ولادتها صلوات الله وسلامه عليها؟ فما الفرق بين أن تكون ولادتها بعد البعثة أو قبلها؟).

فقال خالد: (الفرق واضح يا أخي، فلو قلنا بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها مولودة قبل البعثة فسوف نكذب جميع الأحاديث التي تقول بأنها خلقت من ثمر الجنة، وسنضرب عرض الحائط جميع الروايات التي تقول بأن النبي أكل عند معراجه من رطب الجنة أو تفاحها فخلقت نطفتها منها، لان المعراج وقع بعد البعثة، وأهل السنة حينما يقولون بولادتها صلوات الله وسلامه عليها قبل المبعث النبوي الشريف إنما يريدون ان يحققوا هذا الغرض).

فاطمة: (ولماذا لا يريد أهل السنة الاعتراف بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد خلقت من ثمار الجنة؟ فما الضرر في مثل هذا القول عليهم؟).

خالد: (ان لهذه المسألة جذوراً مذهبية قديمة جدا، فقد احتدم النزاع قديما

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١ ص٤٥٧ عن: (عبد الله بن جعفر وسعد بن عبد الله جميعا، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله بخمس سنين وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما).

وما زال إلى يومنا هذا حول من هو أفضل الرجال بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هي أفضل النساء بعده صلى الله عليه وآله وسلم.

فاجتمعت كلمة أتباع أهل البيت عليهم السلام على أن أفضل الرجال بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وان أفضل النساء هي السيدة الزهراء فاطمة بن محمد صلوات الله وسلامه عليها.

أما أهل السنة فقد اجتمعت كلمتهم تقريبا على ان أفضل الرجال هو أبو بكر، وذهب أكثرهم إلى ان زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم هن أفضل من جميع نساء الأمة، وان عائشة هي أفضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستثنوا من ذلك تفضيل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وبقية بنات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من حيث النسب، فقالوا انهن أفضل من جهة النسب، أما من جهة العلم واحتياج الأمة إليها فعائشة هي الأفضل بزعمهم[1].

(١) قال ابن القيم الجوزية في كتابه (بدائع الفوائد ج٣ ص٦٨٢) (فائدة التفضيل بين عائشة وفاطمة: الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة أو فاطمة أفضل إذا حرر محل التفضيل صار وفاقا فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله عز و جل فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة. وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير).

وقال المتعصب ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٩) (... فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها... وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيرا طيبا ←

وقد حاول علماء أهل السنة ومحدثوهم تكذيب أو تحريف كل ما من شأنه أن يشير إلى أفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على عائشة، وتقوية كل ما من شانه أن يدل على أفضلية عائشة على غيرها من النساء وبالخصوص السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، حتى وان كان الدليل واهيا سندا أو متنا كحديث (الثريد) المروي في فضائلها، ولأجل هذه العلة حاولوا تكذيب الأحاديث التي صرحت بأن السيدة الزهراء قد خلقت من ثمار الجنة؛ لان في إثبات هذه الفضيلة دليلاً قاطعاً على أفضليتها صلوات الله وسلامه عليها على عائشة وعلى سائر نساء أهل الدنيا، وهذا ما لم تكن تستسيغه نفوسهم).

سكت خالد وتصفح وجوه البقية، فابتسم وقال: (أرى اننا استوفينا الكلام حول هذه النقطة فهل توجد عندكم نقاط أخرى ترونها مناسبة للطرح والنقاش؟).

أثر الطعام على تكوين النطفة وصلاحها أو فسادها

أسامة: (الرواية تصرح بأن الرطب الذي أكله النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تحول إلى نطفة في صلبه، وان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها صارت حوراء إنسية نتيجة هذا التحول، وبعبارة أخرى ان أحد أسباب عظمة السيدة الزهراء هو تكون نطفتها من هذه الثمرة المقدسة، وهذا يعني ان الغذاء الطاهر المقدس يتحول إلى

→

مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»).

أقول: وقد جمعت في كتابي (فضائل أهل البيت بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين) الأقوال في تفضيل عائشة على السيدة خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما ودحضتها بالدليل والبرهان فمن أحب التفصيل فليرجع الحديث الثالث من الفصل الرابع من الكتاب.

نطفة طاهرة ومقدسة، وبعكسه الغذاء الحرام أو غير الطاهر فانه يتحول إلى نطفة غير طاهرة، فهل تؤيدون ما استنتجته من الرواية أم لا؟).

فاطمة: (أنا اتفق معكم في هذا الرأي، فقد درسنا في البحوث الأكاديمية أن النطفة هي في حقيقتها خلاصة الغذاء الذي يأكله الإنسان، ومن الثابت أن لكل غذاء خاصية وأثراً خاصاً به ؛ فتتشكل النطفة من تشكيل الغذاء وتأثيره عليها أشد من تأثير الطعام على الإنسان إذا بلغ إنساناً سوياً[(١)]، ولهذا فإن قسطاً كبيراً من النجاح الباهر الذي أحرزه بعض العظماء في العالم يرجع إلى طهارة المولد، واهم أسباب الطهارة هي طهارة الغذاء الذي خلق منه ذلك المولود، وكذلك الانتكاسات التي تحدث لبعض الأفراد فانها ترجع إلى انحرافات الدور الجنيني[(٢)]).

خالد: (الدين الإسلامي أشار إلى هذه الحقيقة قبل العلوم الأكاديمية، وتوجد عندنا نصوص روائية كثيرة تصرح بتأثير الطعام على النطفة وعلى الجنين، فقد ورد الاستحباب بإطعام المرأة الحامل السفرجل لأنه يؤثر على جمال المولود[(٣)].

---

(١) راجع كتاب عبقرية مبكرة لأطفالنا للمؤلف توفيق بوخضر ص٢٨، الناشر مؤسسة الفكر الإسلامي ـ هولندا، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

(٢) راجع كتاب الطفل بين الوراثة والتربية لمحمد تقي فلسفي ج١ ص٩٠، بتصرف بسيط.

(٣) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص٢٢ عن: (محمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب عن عثمان بن عبد الرحمن، عن شرحبيل بن مسلم أنه قال في المرأة الحامل تأكل السفرجل فإن الولد يكون أطيب ريحا وأصفى لونا).

←

وكذلك ورد الاستحباب في إطعام المرأة النفساء للرطب والتمر البرني لأنه يجعل من المولود حليما وذكيا[1].

ولمن يريد ان يخرج ولده شجاعا شديد القلب شديد الذكاء فعليه أن يطعم زوجته النفساء اللبان[2].

وعن محمد بن يحيى، عن علي بن الحسن التيملي، عن الحسين بن هاشم، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ونظر إلى غلام جميل: ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام آكل السفرجل).

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص٢٢ عن: (...زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خير تموركم البرني، فأطعموه نساءكم في نفاسهن تخرج أولادكم زكيا حليما).

وعن (... علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب فإن الله تعالى قال لمريم: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " قيل: يا رسول الله فإن لم يكن أوان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمر المدينة، فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم، فإن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاما إلا كان حليما وإن كانت جارية كانت حليمة).

وعن (... صالح بن عقبة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أطعموا البرني نساءكم في نفاسهن تحلم أولادكم).

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص٢٢: (... عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أطعموا حبالاكم اللبان فإن الصبي إذا غذي في بطن أمه باللبان اشتد قلبه وزيد في عقله، فإن يك ذكرا كان شجاعا...).

وعن (...محمد بن سنان، عن الرضا عليه السلام قال: أطعموا حبالاكم ذكر اللبان فإن يك في بطنها غلام خرج ذكي القلب عالما شجاعا وإن تك جارية حسن خلقها وخلقتها...).

وليس الطعام وحده الذي يؤثر على الطفل ومستقبله فقد ورد ان اسم المولود أيضا له الأثر على صلاحه وشقائه، وقد ورد في الروايات ان لاسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين تأثيرا على المولود وعائلته، وان الدار التي فيها مولود باسم محمد تقدس كل يوم من قبل الملائكة[١]، وان الفقر لا يدخل بيتا فيه اسم محمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو فاطمة[٢]، وان الشيطان ليذوب كما يذوب الرصاص إذا سمع مناديا ينادي يا محمد أو يا علي، وان واحدة من أسباب التحصن والاحتماء من كيد الشيطان ووساوسه هو تسمية الابن باسم محمد وعلي[٣].

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص٣٩: (عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليسا لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياما ثم إني جئت إليه فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون، فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله فيه فما سميته؟ قلت: سميته محمدا قال: فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول: محمد محمد محمد حتى كاد يلصق خده بالأرض ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعا الفداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا تسبه ولا تضربه ولا تسئ إليه، واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد، إلا وهي تقدس كل يوم...).

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص١٩: (عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتا فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء).

(٣) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص٢٠ عن: (... جابر قال: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلى بعض شيعته ليعوده، فقال: يا جابر إلحقني فتبعته، فلما انتهى إلى باب الدار خرج علينا ابن له صغير فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما اسمك؟ قال: محمد قال: فبمَ تكنى؟ قال: بعلي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: لقد احتظرت من الشيطان احتظارا شديدا إن الشيطان إذا سمع مناديا ينادي يا محمد يا علي ذاب كما يذوب الرصاص حتى إذا سمع مناديا ينادي باسم عدو من أعدائنا اهتز واختال).

هـذا وقـد غيـر النبـي الأعظـم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أسـماء كثيـر مـن الـصحابة بعـد إسلامهم[1].

محمد: (الذي أفهمه من كلامكم ان الوالدين يأكلان من الحلال ويحسنان تسمية أبنائهما فينتج عنهما ذرية صالحة لا يخاف عليها من الانحراف أو السقوط، فالأمر بسيط جداً).

خالد: (كلا يا محمد ليس الأمر كما تظن، فمجرد أكل الحلال وتسمية الولد بمحمد أو علي أو فاطمة لا يجعل من الولد مستقيما حتماً، فهنالك عشرات الأمور الأخرى التي يجب مراعاتها فيما لو أردنا تحصين أولادنا من الانحراف، فهنالك التربية، وصديق الخير، وغيرهما من المسائل التي لا غنى عنها والتي لها الأثر الكبير في التحصين من الانحراف، وكما يقول الفلاسفة فكل واحد من هذه الأمور ـ الأكل الحلال، التسمية، التربية، الرفيق والصاحب... ـ تسمى جزء علة لصلاح واستقامة الولد، ومجموعها يسمى علة تامة لذلك الصلاح والاستقامة).

فاطمة: (ولا تقتصر المحافظة على طهارة طعام الولد على مرحلة النطفة أو الجنين، بل تتعدى ذلك، فالأم والأب لا يجوز لهما إعطاء طفلهما الطعام والشراب

(١) قال النووي في المجموع ج٨ ص٤٢٧: (السنة تغيير الاسم القبيح كما في الحديث الصحيح ... قال أبو داود وغير النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم اسم العاص وعزيز وعتلة ـ بإسكان التاء وفتحها ـ وشيطان والحاكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هاشما وسمى حربا سليما وسمى المضطجع المنبعث وأرضا يقال لها عقرة سماها خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الدنية سماهم بني الرشد وسمى بني مغوية ببني رشدة والله أعلم).

النجس أو المحرم[(١)]، لترتب الآثار التكوينية المعنوية عليه، كإذهاب المروءة والغيرة، كما في أكل لحم الخنزير، حتى لو لم يبلغ الطفل سن التكليف الشرعي[(٢)].

ومن مصاديق الأكل الحرام أكل هذه المنتجات التي تأتينا من الدّول غير الإسلاميّة، والتي تكون بشكل جذّاب ومغرٍ، وخصوصًا الحلوى التي تستهوي قلوب الأطفال والتي تحتوى على الجلاتين المستخرج من حيوان نجس العين مثل الخنزير، أو من حيوان غير مذكّى ــ أي غير مذبوح على الطّريقة الإسلاميّة ــ فتكون هذه المادّة حراماً أيضاً.

ومن مصاديق الأكل الحرام أيضا ما يسمى بخلاصة اللّحم، أو الدّجاج التي كثيرًا ما تستعمله النساء في عمل الحساء وغيره، فهذا أيضا لا يجوز شرب حسائه

---

(١) ورد في كتاب صراط النجاة للسيد الخوئي: (سؤال ١٠٧١: الأطفال قبل البلوغ غير مكلفين، فهل يجوز أن نعطيهم طعاما نجسا أو متنجسا كالحليب أو لحم الميتة بلا ضرورة، أو عذر، مع أنه لا إثم عليهم لعدم تكليفهم؟ ـ فأجاب السيد ـ الخوئي: لا يجوز إعطاؤهم من لحوم الميتة نجسة أو غير نجسة ولا الخمر أو الخنزير، ولا بأس ولا إثم بإعطائهم غير ذلك مما ليس فيه ضرر عليهم).

وقد سئل السيد الكلبايكاني في كتابه إرشاد السائل ص١٣١: (« س٤٩٤»: هل يجوز أن نطعم الأطفال المأكولات المتنجسة، أو التي فيها لحوم غير مذكاة؟ ـ فأجاب السيد ـ بسمه تعالى: لا يجوز ذلك، والله العالم).

(٢) سئل السيد الخوئي في كتاب صراط النجاة ج٣ ص٢٧٦: (س٨٣٥ : إذا أكل المؤمن ما يحرم أكله، أو شرب ما يحرم شربه غفلة، أو جهلا، فهل يترتب على ذلك الآثار التكوينية المعنوية، كإذهاب المروءة والغيرة، كما في أكل لحم الخنزير، والتأثير على النطفة كما في شرب الخمر، وما شاكل ذلك؟ ــ فأجاب السيد ــ الخوئي: نعم يترتب عليه الآثار التكوينية في الجملة، والله العالم).

إذا كان مستوردا من بلد غير إسلامي، أو لم يحصل الاطمئنان بأنه ذبح على الطريقة الإسلامية، فأطفالنا أمانة في أعناقنا والغذاء الحلال يفتح لهم الطريق نحو السعادة والتوفيق، بعكس الطعام الحرام فانه يفتح لهم أبواب الشقاء والانحراف).

خالد: (بقي هنالك نقطة مهمة يجب التنبيه عليها وهي ان اللقمة الحرام لا يقتصر تأثيرها على الصغار فقط، بل يعم شرها الكبار أيضا، فقد ورد في الروايات الشريفة ان أكل الحرام له تأثيرات مادية ومعنوية، وهو من موانع قبول العمل[١]، وهو أيضا من موانع قبول الدعاء واستجابته[٢]، بل ان لقمة الحرام تؤدي بآكلها إلى الوقوف بوجه الأنبياء وقتل الأوصياء، فقتلة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما كانوا ممن ملئت بطونهم من أكل الحرام، وقد صرح الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الحقيقة في إحدى خطبه يوم عاشوراء[٣]).

(١) روى ابن فهد الحلي قدس الله روحه في كتابه (عدة الداعي ونجاح الساعي ص١٣٩ ــ ١٤١) («وقال ـ الصادق ـ: ترك لقمة الحرام أحب إلى الله من صلاة ألفي ركعة تطوعا» ... «وقال صلى الله عليه وآله: ان لله ملكا ينادى على بيت المقدس كل ليلة من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ـ والصرف: النافلة والعدل: الفريضة ـ... وعنه عليه السلام العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل، وقيل: على الماء».

(٢) روى الحسن بن محمد الديلمي في كتابه (إرشاد القلوب ج١ ص٧٠) (وقال ـ النبي الأعظم ـ عليه السلام: إن أحدكم ليرفع يديه إلى السماء فيقول يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام فأي دعاء يستجاب لهذا وأي عمل يقبل منه وهو ينفق من غير حل إن حج حج حراما وإن تصدق تصدق بحرام وإن تزوج تزوج بحرام وإن صام أفطر على حرام فيا ويحه ما علم أن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وقد قال في كتابه «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»).

(٣) روى الشيخ المجلسي في بحار الأنوار ج٤٥ ص٨: (...وأحاطوا بالحسين من كل جانب حتى ←

لماذا رزق الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بنتا وليس ولدا ذكرا؟

حينما سكت خالد من كلامه أدار محمد بعينيه في وجوه الباقين وقال: (لدي سؤال وأخاف منكم أن تضحكوا عليه).

خالد: (إسأل ولا تخف).

محمد: (كنت أفكر في أثناء كلامكم عن السبب الذي أعطى الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مولودا أنثى وليس ذكراً، أليس من الأفضل لو كان قد أعطاه ذكراً، فالرجل العظيم أشد حاجة للذكر، ليحمل اسمه، ويديم نسله، ويرثه ويرث عظمته؟).

ضحك أسامة وقال: (وهل هذا سؤال يا محمد؟! أتريد أن تعلم الله سبحانه ماذا يعطي وماذا لا يعطي) قال أسامة كلماته هذه وأكمل قهقهته وهو يهز برأسه.

خالد: (سؤال وجيه ومهم وهو يقودنا إلى عدة أمور مهمة).

توقف أسامة عن ضحكه فجأة وقال: (ماذا؟ وهل تعدّ سؤالا مثل هذا مهماً؟!).

خالد: (نعم مهم، وهو يقودنا إلى حقائق عديدة منها: أن البشرية لكي تتكامل في ذلك الوقت والوقت الذي يليه لم تكن بحاجة إلى ذكر بل إلى أنثى.

← جعلوه في مثل الحلقة، فخرج عليه السلام حتى أتى الناس فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إلي فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمري غير مستمع قولي فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟...)

لان الحكمة الإلهية تعلقت ومنذ الأزل بوجود خلفاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذلك تعلقت حكمة الله سبحانه بان لا يولد هؤلاء الحجج من أولاد علي صلوات الله وسلامه عليه إلا من أطهر صلب ورحم.

وبما ان الإمام علياً صلوات الله وسلامه عليه كان موجودا فانه كان يحتاج إلى أطهر رحم عرفته الإنسانية، كي ينجب اطهر نسل عرفته البشرية، ولم يكن لعلي آنذاك كفؤ من النساء، لذلك خلق الله سبحانه السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لتكون له كفؤا ولتكون وإياه اطهر سببين لإيجاد اطهر سبطين، وليوجد هذان السبطان أطهر الأئمة وأفضل الخلفاء.

ومن هنا نستطيع القول بأن البشرية كلها ممتنة لوجود هذه الأنثى الطاهرة، إذ لولاها لما كان لعلي كفؤ، ولولاها لما وجد الأئمة والخلفاء، ولولا وجودها ووجودهم لساخت الأرض بأهلها، ولما كان هنالك أرض ولا فلك ولا سماء، وهو معنى الحديث المعروف: «لولاك ــ يا محمد ــ لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»).

فاطمة: (وإعطاء الله سبحانه لنبيه أنثى بدل الذكر دليل على تكذيب ما هو معروف عند الناس من ان الذكر أفضل من الأنثى، إذ رب أنثى تعدل عند الله الأرض ومن عليها كالسيدة الزهراء والسيدة خديجة ومريم العذراء، ورب أنثى أفضل من مئة رجل، كطوعة التي آوت مسلم بن عقيل عليه السلام حينما خذلته آلاف الرجال، والأمثلة على هذه الحقيقة كثيرة جدا).

خالد: (إضافة إلى أن في إعطاء الأنثى للنبي بدل الذكر ضرباً لعادات الجاهلية وعصبيتها، لان العرب في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم كانت تستحقر الأنثى وتضطهدها، وكان قسم كبير منهم يقتلها ويئدها حين ولادتها، فلما جاء الإسلام حرم قتلها وأذاها، وجعلها نعمة يثاب عليها الأب[1]، وكتب لمن أدخل الفرحة على قلبها أن يفرح قلبه يوم القيامة[2]، وان من أعال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، وكذلك من أعال اثنتين منهن أو واحدة[3]، وقد كرس الله سبحانه هذه المبادئ الشريفة عمليا بإعطاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الأنثى بدل الذكر، وأخرج منها خيراً كثيراً، وجعلها أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين باستثناء أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فمولدها صلوات الله وسلامه عليها كان أعظم ضربة لمبادئ الجاهلية وسننها، فما أعظمها من مولود! وما أعظمها من نعمة!).

(١) روى الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٨١) عن: (أبان بن تغلب، عن أبي عبد اللّٰه عليه السّلام قال: البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها والنعمة يسأل عنها).

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٦ ص٦: (...عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرأف منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة).

(٣) المصدر السابق: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة) .

هل الجنة والنار مخلوقتان أم لا؟

أسامة: (أنا عندي سؤال يحيرني فمنذ أن قرأتم الرواية وأنا أفكر فيه، لان الرواية تقول: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنة، فناولني من رطبها فأكلته...» وفي روايات ثانية ان النبي الأعظم ﷺ اطلع على النار أيضا ورأى فيها رجالاً ونساء يتعذبون، وهذا يعني ان الجنة والنار مخلوقتان منذ ذلك الزمن، فهل استنتاجي هذا صحيح؟).

فقال خالد: (نعم صحيح، وجميع فرق المسلمين تقر بخلقهما قبل أن يبعث النبي الأعظم ﷺ، وقد عد الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه الاعتقادات في دين الإمامية القول بخلقهما من المسلمات عند الطائفة[1]، وكذا فعل الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه أوائل المقالات[2]، وقد سار أهل السنة على نفس الطريق وقالوا بخلق الجنة والنار وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان[3]، فالقول بخلقهما قول مجمع عليه عند كافة فرق المسلمين ومذاهبهم وإجماعهم حجة، ومن خالف

---

(١) قال قدس سره في (الاعتقادات في دين الإمامية ص٧٩) (واعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دخل الجنة، ورأى النار حين عرج به).

(٢) راجع أوائل المقالات للشيخ المفيد ص١٢٤: (إن الجنة والنار في هذا الوقت مخلوقتان، وبذلك جاءت الأخبار وعليه إجماع أهل الشرع والآثار، وقد خالف في هذا القول المعتزلة والخوارج وطائفة من الزيدية).

(٣) قال ابن أبي العز الحنفي في (شرح العقيدة الطحاوية ص١٣٧) (...والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان وهذا مذهب الجمهور كما تقدم ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل كما ذهب إليه الجهم وأتباعه وقال بفناء الجنة والنار).

هذا الإجماع لا يلتفت إليه ولا يساوي رأيه عند المسلمين شيئا).

وقالت: (ونفس الرواية التي ناقشها الآن تصرح بخلق الجنة والنار، لان عبد السلام الهروي راوي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام يسأل الإمام بقوله: «فقلت له يا بن رسول الله، فأخبرني عن الجنة والنار، أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال: نعم، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء. قال: فقلت له: فإن قوما يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقين؟ فقال عليه السلام: ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء، وخلد في نار جهنم، قال الله عز وجل: «هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ»، وقال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»).

ذكر فاطمة عليها السلام وشم ريحها عبادة

أسامة: (عندي سؤال آخر لو سمحتم، لماذا كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم دائم الشم لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها ألأن رائحتها طيبة وتذكره بالجنة أم انه يريد أن يفهم المجتمع يومئذ ويفهمنا شيئا آخر، وما هو هذا الشيء؟).

خالد: (يجب أن نعلم أولا ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يعملون إلا ما فيه حكمة ومصلحة، وكل أعمالهم

عبادة، حتى المباحات، لأنها تقع وفق رضا الله سبحانه، فشربه للماء عبادة، وأكله للطعام عبادة، لأنه ينوي بهما التقوي على العبادة فيؤجر عليها، وشمه للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها عبادة أيضا، لأنها تذكره بالجنة، والجنة تذكره بالله سبحانه، وبهذا تصبح السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها سبباً من أسباب العبادة، ولا تنحصر العبادة في شمها فقط، فذكرها والحديث عنها والكتابة عن فضائلها وأسرار شخصيتها فكل هذا وغيره عبادة والمكلف يؤجر عليه، لان جميع تلك الأشياء تذكر الإنسان بالعفاف والطهر والعبادة والرحمة والشفقة وغير ذلك من المعاني المرضية عند الله سبحانه فتدخل بهذا في روح العبادة وجوهرها).

أسامة: (أظن بأن المخالفين لو سمعوا هذا الكلام منك لا تهموننا بالغلو والكفر).

فقال خالد: (ليس من حقهم اتهامنا بالغلو والكفر، لوجود مبدأ إسلامي متفق عليه عندهم وعندنا وهو ان كل ما يذكر بالله سبحانه يمكن أن يسمى عبادة، وكذلك كل ما يستجلب خشية الله وتذكر الآخرة والخشوع والخوف من النار أو الشوق إلى الجنة فهو عبادة، وقد رووا في كتبهم عدة أحاديث عن النبي أو عن الصحابة أو التابعين يؤيد هذا المبدأ، فاعترفوا بأن النظر إلى بئر زمزم عبادة[1]، والنظر إلى وجه الأم والأب عبادة[2]، والنظر إلى الكعبة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٣٢٦. وراجع سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج١ ص١٨٤.

(٢) روى المتقي الهندي في كنز العمال ج١٦ ص٤٧٨ عن عائشة: (النظر في ثلاثة أشياء عبادة: النظر في وجه الأبوين وفي المصحف، وفي البحر).

عبادة[١]، وهو عندهم أفضل من الصلاة والقيام والجهاد[٢]، وروي أن النظر إليها يعدل عبادة سنة وأن من نظر إليها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٣]، والنظر إلى البحر عندهم عبادة أيضا[٤]، والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها عندنا وعندهم مؤمنة بل من سادة المؤمنين، والمؤمن أعظم حقا وحرمة من الكعبة[٥]، فتكون الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أعظم حرمة وشأنا من الكعبة المشرفة، وأعظم من الأب والأم، ويكون النظر إليها صلوات الله وسلامه عليها أفضل من الصلاة والقيام والجهاد[٦]، وكذلك ذكرها وتقديسها والاستماع إلى مفاخرها وفضائلها

---

(١) راجع المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٤ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣، وقال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٣٨٩: (قال الحكيم: ورد في خبر أن النظر إلى البحر عبادة والنظر إلى العالم عبادة والنظر إلى الكعبة عبادة والنظر إلى وجه الأبوين عبادة، وإنما صار عبادة لأنه عبد الله بتلك النظرة فنظر إلى البحر بعين القدرة وإلى سعته وعرضه وأمواجه فاعتبر، ونظر إلى وجه العالم وإلى ما ألبس من نور العلم فأجله وهابه ووقره، ونظر إلى الكعبة تلذذا بها شوقا إلى ربها، ونظر إلى أبويه فذل لهما ورق وشكر لله لتربيتهما إياه وتعظيما لحرمتهما).

(٢) قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٣٨٩: («النظر إلى الكعبة عبادة» أي من العبادة المثاب عليها، قال المصنف في الشاجعة: وهو أفضل من الصلاة والقيام والجهاد وروي أن النظر إليها يعدل عبادة سنة وأن من نظر إليها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

(٣) راجع المصدر السابق.

(٤) راجع الهامش رقم ٢ من هذه الصفحة.

(٥) روى الطبراني في المعجم الأوسط (ج٦ ص٣٦) (...عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال لقد شرفك الله وكرمك وعظمك والمؤمن أعظم حرمة منك).

(٦) لان النظر إلى الأفضل أفضل، فإذا كان النظر إلى الكعبة المشرفة أفضل من صلاة النافلة وأفضل من الجهاد غير الواجب والقيام، فان النظر إلى فاطمة أفضل من هذا الأفضل حتما.

كل ذلك عبادة بل من أفضل العبادات والقربات).

أسامة: (وهل يختص هذا الأمر بالسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها؟).

خالد: (هذا الأمر لا يختص بالسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ويشمل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وباقي الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لنفس السبب المتقدم[1] وقد ورد في كتب أهل السنة إن النظر إلى علي عبادة[2]، وقد فسر المناوي هذا الحديث بقوله: «أي رؤيته تحمل النطق بكلمة التوحيد لما علاه من سيما العبادة قال الزمخشري: عن ابن الأعرابي: إذا برز قال الناس لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى ما أعلمه ما أكرمه ما أحلمه ما أشجعه فكانت رؤيته تحمل على النطق بالعبادة فيا لها من سعادة!»[3].

---

(١) وهو ان كل ما يذكر بالله سبحانه وبنعمه وبجنته او ناره ويبعث في القلب الخشوع أو الخوف من النار أو الشوق إلى الجنة فهو عبادة.

(٢) روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٤١: ((حدثنا) دعلج بن أحمد السجزي ثنا علي بن عبد العزيز بن معاوية ثنا إبراهيم بن إسحاق الجعفي ثنا عبد الله بن عبد ربه العجلي ثنا شعبة عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري عن عمر ان بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النظر إلى علي عبادة). ثم علق على هذا الحديث بقوله: (هذا حديث صحيح الإسناد وشواهده عن عبد الله بن مسعود صحيحة).

وقال الفتني في (تذكرة الموضوعات ص٩٧) بعد ان ذكر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (النظر إلى علي عبادة) (وهذا ورد من رواية أحد عشر صحابيا بعدة طرق وتلك طرق عدة التواتر في رأيي). وقد حسن السيوطي هذا الحديث في كتابه تاريخ الخلفاء ص٦٦، وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ص١٩٠ الفصل الثاني الحديث الخامس.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٦ ص٣٨٨.

ونحن الشيعة نعتقد بأن النظر إلى جميع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عبادة، لان رؤيتهم ومنطقهم وقراءة قصصهم ورواياتهم والكتابة حولهم كل هذه الأمور تذكر الإنسان بالله وبثوابه فهي عبادة بإجماع المسلمين).

محمد: (هنيئا لمن كان يعيش عصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد كانوا يستطيعون النظر إليهم وكسب الحسنات بلا مشقة أو تعب، أما نحن فلا نستطيع ذلك، لعدم معاصرتنا لهم، ولغيبة إمام زماننا، فيا لها من حسرة عظيمة!).

خالد: (ان الله سبحانه لم يغلق عنا باب الرحمة هذا كما تظن يا أخي، فهذا الباب مفتوح إلى اليوم وسيبقى مفتوحا إلى يوم القيامة، وإذا كنا قد فقدنا أبدان الأئمة عليهم السلام وأعيانهم الخارجية، فإن مشاهدهم الشريفة وحضرتهم المقدسة ماثلة بين أيدينا، ومشاهدهم ومحل قبورهم الشريفة تذكر بالله وبنعيم الجنة وبكل قيم الخير والصلاح، وتستجلب للإنسان الزائر العبرة والخشوع والموعظة، وكل هذه عبادة في عبادة، فيكون بذلك النظر إلى مراقدهم المقدسة وقبورهم المشرفة وزيارتها واللبث فيها وغير ذلك كله عبادة يثاب عليها شيعة أهل البيت عليهم السلام، وليس لأحد من المخالفين الاعتراض علينا لأنهم يذهبون أيضا إلى ان النظر إلى مقامات الأنبياء كمقام إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وحجر إسماعيل، ومواضع النسك[1] كجبل عرفات أو الصفا والمروة كل ذلك عبادة).

---

(١) قال علي بن سليمان بن احمد المرداوي في (الإنصاف ج٤ ص٥٠) (فوائد منها: يستحب أن يصلي بعد طواف الوداع ركعتين ويقبل الحجر ... ومنها: النظر إلى البيت عبادة قاله الإمام أحمد وقال في الفصول: وكذا رؤيته لمقام الأنبياء، ومواضع الأنساك).

أخلقت السيدة الزهراء من تفاحة أم من رطب أو من شيء آخر؟

نظر خالد إلى ساعته ثم قال: (بقي عندنا وقت قليل وقبل أن نختم هذه الجلسة أود أن أنبه على أمر مهم، فإن بعض الروايات نصت على ان السيدة الزهراء خلقت من رطب الجنة، وبعضها أوضحت بأنها صلوات الله وسلامه عليها قد خلقت من تفاح الجنة، وفي بعضها الآخر أنها صلوات الله وسلامه عليها خلقت من شجرة طوبى، ويوجد اختلاف في زمن أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك الرطب أو لتلك التفاحة، فبعض الروايات صرحت بأن زمن الأكل كان في الجنة حينما عرج بالنبي الأعظم إلى السماء، وفي بعض الروايات الأخرى ان زمن أكله كان بعد رجوعه من المعراج، ولعل البعض يحسب ان هنالك تناقضاً أو تضارباً بين هذه الروايات الشريفة).

لم يكمل خالد كلامه حتى قاطعه أسامة بقوله: (صحيح، التناقض بيّن وواضح، وكلامك قد أوقعنا في حيرة).

خالد: (لو تركتني أكمل لزالت عنك الحيرة، والروايات لا تناقض بينها، وتوجد رواية ثالثة صحيحة السند توضح لنا الأمور كاملة وتضع جميع النقاط على الحروف، فقد روى علي بن إبراهيم[1] قال: «حدثني أبي[2]، عن الحسن بن محبوب[3]، عن علي

---

(١) مر توثيق علي بن إبراهيم في ص٨٧ من هذا الكتاب فراجع.

(٢) مر توثيق إبراهيم بن هاشم في ص٨٨ من هذا الكتاب.

(٣) وهو من أصحاب الإجماع الذين قال فيهم الشيخ الطوسي في (اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٨٣٠) (أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم وأقروا لهم بالفقه والعلم: وهم ستة نفر آخر دون الستة نفر الذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، منهم يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بياع السابري، ومحمد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب..).

ابن رئاب[١]، عن أبي عبيدة[٢]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:... كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة، إني لما أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها فأكلته، فحول الله تعالى ذلك ماء، في ظهري، فلما هبطت إلى الأرض، واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها» وهذه الرواية توضح لنا بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد وصل إلى شجرة طوبى وأكل من ثمارها، وأشجار الجنة لها قابلية أن تخرج عدة أنواع من الثمار في وقت واحد ومن شجرة واحدة، فالمؤمن يستطيع أن يأكل من شجرة واحدة الموز والبرتقال والرطب والرمان وما شاء من الأصناف الأخرى، وعليه فليس من الغريب أن يأكل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التفاح والرطب من شجرة طوبى التي هي أعظم أشجار الجنة وأكثرها بركة وكذلك الحال بالنسبة إلى وقت الأكل فنستطيع أن نجمع بين

---

(١) قال الشيخ الطوسي في (الفهرست ص١٥١) (علي بن رئاب الكوفي، له أصل كبير، وهو ثقة جليل القدر. أخبرنا به جماعة، عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عنه).

(٢) وهو كما يقول النجاشي في رجاله ص١٧١: (زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء كوفي، ثقة ...وقال الحسن بن علي بن فضال: ومن أصحاب أبي جعفر أبو عبيدة الحذاء واسمه زياد، مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام وقال سعد بن عبد الله الأشعري: ومن أصحاب أبي جعفر أبو عبيدة وهو زياد بن أبي رجاء، كوفي، ثقة، صحيح ...وقال العقيقي العلوي: أبو عبيدة زياد الحذاء [و] كان حسن المنزلة عند آل محمد، وكان زامل أبا جعفر [عليه السلام] إلى مكة. له كتاب يرويه علي ابن رئاب).

الروايات ونقول إن النبي الأعظم أكل من ثمار الجنة في أثناء معراجه إلى السماء، ثم إنه لما نزل إلى الأرض أتاه جبرائيل عليه السلام بثمار أخرى فأكلها ومن مجموع هذه وتلك تكونت نطفة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

أكمل خالد كلماته هذه وبدأ صوت المؤذن يملأ الأجواء، نهض الجميع من أماكنهم وودع بعضهم بعضا على أمل اللقاء غدا ليتناولوا رواية أخرى جديدة.

عقبة في طريق الحوار

عاد أسامة إلى بيته، دخل المطبخ مسرعا، فتح الثلاجة بقوة، تناول قدحا من الماء بسرعة، وصب قدحا ثانيا وثالثا، فلما ارتوى جلس على كرسي كان خلفه وهو يتنفس بقوة، نظر يمينا بعدما ارتاح فرأى ان أمه كانت ترصد حركاته، فصاح على استحياء: (السلام عليكم أمي).

الأم: (وعليك السلام، هل كنت في الصحراء؟).

قام من مكانه وتوجه إليها وهو يقول: (أي صحراء هذه يا أمي؟).

الأم: (رأيتك تشرب الماء كالمجنون من دون تسمية ولا حمد ولا ذكر لعطش الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فظننت أنك قد أتيتنا من الصحراء).

أسامة: (عفوا يا أمي فقد كنت عطشانا جداً ونسيت كل شيء حتى اسمي).

الأم: (وأين كنت حتى عطشت كل هذا العطش؟).

أسامة: (في المكتبة يا أمي).

الأم: (آه لو أعرف ماذا تفعل في المكتبة، فمنذ مدّة وأنت دائم الذهاب

إليها، فمع من تذهب؟ هيا أخبرني).

أسامة: (مع فاطمة...).

فصاحت الأم قبل أن يكمل أسامة حديثه: (ماذا!!! مع فاطمة!!! الآن قد فهمت سبب تركك لأصحابك وذهابك إلى المكتبة يوميا، أما تستحي؟! تعبت كل تلك السنين على تربيتك وفي الآخر تذهب مع بنات الناس إلى المكتبات!!).

كانت الأم تتكلم بعصبية وأسامة يضحك، وكلما رأته يضحك ازداد غضبها وازداد هو ضحكا، إلى أن سكتت، فقال لها وهو لا يكاد يمسك نفسه من الضحك: (ليس الأمر كما تظنين، فأنتِ لم تتركيني أكمل كلامي، فأنا أذهب إلى المكتبة للمشاركة في بحث عن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وفاطمة تحضر مع خالها خالد، وأنت تعرفينه وتعرفين عائلتهم جيدا، وصديقي محمد يحضر معنا أيضا، وأنتِ تعرفينه أيضا، وفاطمة التي ظلمتيها تجلس إلى جنب خالها بكل أدب واحترام وبكل حشمة وحجاب ووقار، ولا نتكلم إلا بما يخص البحث).

هدأت الأم بعد معرفتها بأن فاطمة تعود بالقرابة إلى عائلة خالد، لأنها تعرف بأن هذه العائلة من العوائل المحافظة التي لا يمكن أن يصدر عنهم شيء يخالف الأدب، فبدلت من لهجتها لتقول له بلطف: (اسمع يا ولدي، أنت تعرف بأني أخاف عليك وأحبك أكثر من نفسي، وإنما قلت ما قلت خوفا عليك؛ لأن الدنيا تغيرت والناس تبدلت، وأصبح الإنسان المؤمن في هذا الزمن عملة نادرة).

سكتت الأم وقطرات الدمع تنهمر من عينيها، وقالت وهي تنشج: (إن كل ما أتمناه في هذه الدنيا أن أراك متزوجاً وأطفالك يملؤون البيت بالصياح واللعب،

وإذا كنت ترى في فاطمة مواصفات الصلاح والعفة والتقوى فإني على استعداد لأذهب وأخطبها لك من أهلها، وأنا أعلم بأنهم لا يردون لي طلباً).

ضحك أسامة وقال: (مهلا يا أمي فوقت زواجي لم يحن إلى الآن، فما زلت أدرس ومستقبلي غير واضح إلى اليوم، وسأخبرك حالما أجهز، أطال الله في عمرك) قال أسامة هذه الكلمات وانصرف بعدها خوفاً من أن يتطور الموضوع أكثر.

صعد أسامة إلى غرفته، تمدد على سريره، وعادت كلمات والدته إلى ذهنه، ضرب السرير بيده وهو يقول: (يا لي من أحمق! فقد وصلت الفرصة إلى يدي، فليتني قلت لأمي نعم إذهبي واخطبي لي، ثم ما هذه الأعذار الطفولية؟! ما زلت أدرس! ومستقبلي غير واضح! أليس الله الرزاق والمتكفل بعباده، ثم كم من شاب قد تزوج وأنجب الأطفال وهو ما زال يدرس، يا إلهي ماذا أصنع بحيائي الذي منعني أن أقول لأمي نعم).

بينما كان أسامة يكلم نفسه وإذا بصوت أمه تناديه للحضور على سفرة العشاء، نزل ورأى أن والده قد حضر أيضا، جلسوا جميعا وأكلوا، وبعدها مدد أسامة أمام التلفاز وهو يقشر بعض الفاكهة التي أحضرها والده معه، وبعد ساعة أحس بالملل لأن التلفاز لم يكن فيه ما يناسب الإنسان المتدين، فأينما يقلبه يجد فيه محذوراً شرعياً، فقنواته ما بين رقص وغناء ولقطات غير محتشمة، فقرر الذهاب إلى غرفته للقراءة أو النوم، فقام وأطفأ التلفاز؛ لأن والديه قد سبقاه بالقيام، صعد إلى غرفته، اتجه إلى مكتبته، سحب كتاباً اسمه «قبس من القرآن في

صفات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمؤلفه الشيخ عبد اللطيف البغدادي».

استلقى على سريره وفتح فهرست الكتاب ومن ثم اتجه للفصل الثالث منه، قرأ شيئاً لم يكن قد سمع به من قبل، وهو وجود اسم النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في التوراة والإنجيل، وبشارة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتوسل نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه بهم[1]، وتوسل بقية الأنبياء[2] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهم أيضا.

(١) قال الشيخ المفيد في المسائل السرورية ص٤٠: (وقد روي أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابه. وهذا غير منكر في العقول ولا مضاد للشرع المعقول، وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون، وسلم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره، والله ولي التوفيق).

(٢) روى الشيخ الصدوق في الأمالي ص٢٨٨: (عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: يقول: أتى يهودي النبي صلى الله عليه وآله، فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال: يا يهودي، ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر، وأظله بالغمام؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، لما غفرت لي، فغفرها الله له، وإن نوحا عليه السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، لما أنجيتني من الغرق. فنجاه الله منه، وإن إبراهيم عليه السلام: لما ألقي في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، لما أنجيتني منها: فجعلها الله عليه بردا وسلاما، وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، لما أمنتني منها . فقال الله جل جلاله: «لا تخف إنك أنت الأعلى». يا يهودي: إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي، ما نفعه إيمانه شيئا، ولا نفعته النبوة. يا يهودي، ومن ذريتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدمه وصلى خلفه).

والأعجب من هذا كله هو ذلك الاكتشاف الذي قام به خبراء سوفيت لحطام سفينة نبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه، ووجود لوح في السفينة مكتوب عليه اسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واسم السيدة فاطمة والإمام علي والإمامين الحسن والحسين[1] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما هو مذكور في روايات الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فانتفض أسامة من سريره وأخرج هاتفه واتصل بخالد.

رفع خالد السماعة وأجاب بصوت مثقل وحزين، لكن أسامة ومن فرط حماسه لم ينتبه إلى ان صوت خالد كان يخفي وراءه حزناً عميقاً ومشكلة كبيرة، أخذ أسامة يحكي لخالد ما وجده في الكتاب وما يحتويه من أحاديث وأخذ يتكلم له عن الاكتشاف السوفيتي لبقايا سفينة نوح، ولكن خالد بقي ساكتاً كأنه لا يسمع ما يقوله أسامة، أحس أسامة بأن خالداً لا يجيب على كلامه فظن ان الاتصال قد انقطع بينهما، فقال: (ألو، ألو، هل تسمعني يا خالد؟).

فأجابه خالد بصوت ثقيل: (نعم أسمعك).

---

(١) تجد هذا الاكتشاف مذكورا في مصادر عديدة منها:

ألف: مجلة روسية شهرية تصدر في موسكو باسم (تفادينزوب) ص١٢٠ عددها تشرين الثاني سنة ١٩٥٣.

باء: مجلة Weekly Mirror الأسبوعية اللندنية بعددها الصادر في ٢٨ كانون الأول ١٩٥٣.

جيم: مجلة Britania Star اللندنية الصادرة في كانون الثاني ١٩٥٤.

دال: جريدة Sunlight الصادرة في مانجستر ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٤.

هاء: جريدة Weekly Mirror اللندنية الصادرة في ١ شباط ١٩٤٥.

واو: جريدة الهدى القاهرية في ٣ مارس ١٩٥٤.

أسامة: (إذن فلماذا لا تجيبني؟ أأنت مريض أم نعسان؟).

خالد: (لا هذا ولا ذاك، ولكن زوج أختي حالته سيئة جداً، والطبيب قد آيس منه وأوصانا أن نتهيأ فليس بينه وبين الموت إلا أيام، وغداً سوف لن نستطيع ان نكمل الحوار في المكتبة لأن ظرفنا حرج للغاية؟!).

أسامة: (ما هذا الكلام يا رجل فالأعمار بيد الله سبحانه).

خالد: (صحيح ان الأعمار بيد الله سبحانه ولكن الواقع يؤيد قول الدكتور فزوج أختي أصبح جثة هامدة بلا حراك ولا أكل ولا شرب، ووفق القوانين الطبيعية فان مثل هذا الإنسان لا يدوم عمره أكثر من أيام قليلة، فانا لله وإنا إليه راجعون).

أسامة: (ان الذي يسمعك تسترجع يقول ان الرجل قد مات، فهون على نفسك يا أخي، وسأدعك الآن ترتاح وسأمر إلى بيتكم غداً إن شاء الله لأطمئن على مريضكم وعليكم، في أمان الله تعالى).

أغلق أسامة هاتفه متحسراً متألماً على حالة زوج أخت خالد من جهة، وعلى انقطاع البحث من جهة أخرى، فقرر الذهاب في الصباح إلى بيت خالد عله يستطيع إقناعه بالاستمرار.

محاولة واقتراح

اتجه أسامة صباح اليوم الثاني إلى بيت خالد، قرع الباب، وخرج خالد وعليه آثار السهر والتعب، سلم أحدهما على الآخر، ودخلا إلى البيت واستقرا في

حديقة المنزل، كان الجو يخيم عليه السكوت إلا زقزقة بعض العصافير المتنقلة على أغصان أشجار الحديقة، فأراد أسامة أن يكسر طوق السكوت فقال: (كيف حال مريضكم الآن؟).

خالد: (ما زال كما هو).

أسامة: (وهل استخدمتم شيئا آخر غير الأدوية؟).

خالد: (ماذا تقصد بغير الأدوية؟).

أسامة: (يوجد عند والدتي مقدار من تراب قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أعطاها إياه قريب لنا يعمل في كربلاء في حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وقد أعطينا منه لمريضة مصابة بالسرطان فعافاها الله سبحانه، وقد سبق وان قرأت في الروايات الشريفة ان لهذه التربة خصائص عجيبة وإنها نافعة لجميع الأمراض والعلل[1]، وأنا اليوم أردت أن آتي بها معي ولكني خفت أن لا تقبلوا فأحببت أن

---

(١) روى جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات ص٤٦٢ عن: (محمد بن سليمان البصري عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر).

وفي كتاب المزار للشيخ المفيد (ص١٤٤ ـ ١٤٥) عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا انه قال: (طين قبر الحسين فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل).

وفي مصباح المتهجد للشيخ الطوسي (ص٧٣٢) عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لو أن مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله الحسين عليه السلام وحرمته وولايته، أخذ له من طين قبر الحسين عليه السلام مثل رأس الأنملة كان له دواء).

وفي كامل الزيارات لابن قولويه (ص٤٦٢) عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من أصابته علة فبدأ بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة، إلا أن تكون علة السام).

استأذن منكم قبل أن أجلبها).

فأجابه خالد وهو ينتفض واقفاً: (عجيب أمرك يا أخي! وهل مثل هـذا الأمـر يحتاج إلى استئذان؟! قم الآن ولنأتِ بها ونعطيها لهذا المسكين لأنه في حالة إغماء وفي بعض الأحيان يصحو لمدة دقائق ثم يعود إلى حالة الإغماء، فقم بنا حتى نتمكن من إعطائه في وقت إفاقته).

نهض أسامة من مكانه واتجه مع خالد إلى بيته، وفي الطريق قال خالد: (أحب أن اعتذر إليك عن عدم اهتمامي كثيراً بحديثك معي في الهاتف، لأني كنت تعباً فالأجواء في بيتنا متوترة للغاية، والجميع خائف، وأختي دائمة البكاء على زوجها، وأطفاله يصرخون، فكلما شاهدوا أباهم يفيق من غيبوبته يفرحون ويعتقدون بأن أباهم سيقوم من رقدته ويتكلم معهم ويلعب، ولكنه سرعان ما يرجع إلى الغيبوبة ويرجع على أثر ذلك صراخهم وبكاؤهم، مساكين لا يعلمون بأن أباهم سيموت خلال أيام).

مشى الاثنان في سكوت حتى وصلا إلى بيت أسامة، دخل أسامة مسرعاً، غاب بعض الوقت ومن ثم خرج حاملاً معه قطعة قماش أخضر أعطاها لخالد وقال له: (قد وضعت أمي تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في وسط هذه القطعة الخضراء، وسأوصلك للبيت لأتكلم معك قليلا ثم أرجع).

وبينما كانا يمشيان قال أسامة: (كنت أفكر في ان قراءتي لكتاب «قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم » في مثل هذا الظرف لم يكن صدفة، فقد قرأت فيه نصوصاً كثيرة كلها تحكي عن توسل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

بالنبي وأهل بيته والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبعدها اتصلت بكم فأخبرتموني بتدهور حال زوج أختكم، وقلبي يحدثني بأن الله سبحانه يريد منكم أن تتوسلوا بالصديقة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وبقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لشفاء مريضكم، والله سبحانه قادر وهو على كل شيء قدير).

سكت خالد لبرهة من الزمن ثم قال: (نعم، لم يبق لنا إلا الله سبحانه وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهو سبحانه الوحيد القادر على أن يمنح هذا المسكين معجزة يرحمه بها ويرحم أطفاله الصغار، وسنعطيه تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونصلي صلاة الاستغاثة بالسيدة الزهراء[1] صلوات الله وسلامه عليها، ونقرأ له دعاء التوسل، ونختم له زيارة عاشوراء أربعين يوما[2] وعسى الله أن يرحمه ويرحمنا).

---

(١) صلاة الاستغاثة بالسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي وكما يرويها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج٩٩ ص٢٥٤ عن: (المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كانت لك حاجة إلى الله وضقت بها ذرعا، فصل ركعتين فإذا سلمت كبر الله ثلاثا، وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام، ثم اسجد وقل مائة مرة: يا مولاتي ـ يا ـ فاطمة أغيثيني، ثم ضع خدك الأيمن على الأرض، وقل مثل ذلك، ثم عد إلى السجود وقل ذلك مائة مرة وعشر مرات واذكر حاجتك فإن الله يقضيها).

(٢) ان للرقم أربعين خصوصية عجيبة، وقد ورد ذكره في الأحاديث الشريفة كثيراً، كقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المروي في بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٠٠ ص١٦: (من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه).

ومنها ما في الكافي للشيخ الكليني ج٦ ص٣٠٩: (عن الحسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إن الناس يقولون: إن من لم يأكل اللحم ثلاثة أيام ساء خلقه، فقال: كذبوا ولكن من لم يأكل اللحم أربعين يوما تغير خلقه وبدنه وذلك لانتقال النطفة في مقدار أربعين يوما).

ومنها ما في الكافي أيضا ج٢ ص١٦: (عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال: ما أخلص العبد ←

أسامة: (سندعو له أيضا، ولكن كلي أمل في أن تعيد التفكير في قرار إيقاف بحثنا الذي بدأناه حول السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

خالد: (على رغم كل ما أعانيه من متاعب ومشاكل إلا أني سأحاول الاستمرار خلال الأيام القليلة القادمة).

وصل خالد وأسامة إلى البيت فودعه أسامة وكر راجعاً إلى بيته.

معجزة في بيت خالد

مضت أيام دون أن يتصل خالد بأسامة ليعلمه عن استئناف جلسات الحوار، فأمضى أسامة هذه الأيام ما بين أصدقائه تارة، وتارة في المكتبة، وتارة في البيت لا يخرج منه، وفي عصر يوم الخميس وبينما كان أسامة يلعب الكرة مع أصحابه، رأى بأن خالداً كان يجلس مع المتفرجين وهو يضحك ويلوح بيده إلى جهة أسامة، فاندهش أسامة من رؤيته، فلم ينتظر إلى ان ينهي مباراته، وطلب من أصدقائه ان يستأذن، فخرج من اللعبة بعد أن دخل شخص آخر بدله، وما ان وصل إلى خالد حتى قام خالد من مكانه واحتضن أسامة بقوة وهو يردد: (لقد قام على رجليه، لقد قام على رجليه).

سحب أسامة يد خالد وخرج وإياه من بين المتفرجين وجلسا على جذع

→

الإيمان بالله عز وجل أربعين يوما أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عز وجل أربعين يوما إلا زهده الله عز وجل في الدنيا وبصره داءها ودواءها فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه).

لذلك ذهب جل من الأعلام إلى ان قراءة زيارة عاشوراء لمدة أربعين يوما مفيدة لقضاء الحوائج العظام والمهام الجسام بإذن الله الواحد العلام.

شجرة كان مطروحا على الأرض، فقال أسامة: (أنا لم أفهم منك شيئاً، فمن هو الذي قام على رجليه؟).

خالد: (انه زوج أختي).

صاح أسامة: (متى وكيف؟).

خالد: (عندما رجعت منكم ذلك اليوم، انتظرنا زوج أختي ليصحو من غيبوبته، انتظرناه لساعات، فلما أفاق وضعت تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في فمه، فعلى رغم انه لم يكن يأكل ويشرب إلا أني وضعتها في فمه داعيا الله أن ينزلها في جوفه، ولم تكن إلا لحظات حتى عاد مرة أخرى إلى الغيبوبة، وكان الليل قد نزل، فقمنا أنا وزوجته وأمي وفاطمة فصلينا صلاة الاستغاثة بالسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كل على انفراد، وبعد أن أتممناها، قلت لزوجته تعالي أنتِ والأطفال وبقية من كان موجوداً لنقرأ دعاء التوسل عند رأسه، فعسى الله أن يرحم بكاء أطفاله، فقرأنا الدعاء وبعدها قمنا إلى فراشنا لننام قليلا قبل أن يؤذن أذان الصبح.

وما هي إلا ساعات حتى صاح المؤذن، فقمت للصلاة وأيقظت الباقين، وبينما أنا في الركعة الأخيرة سمعت أختي تصرخ صراخاً عالياً، فلم أشك ان زوجها قد مات، فأتممت صلاتي على عجل، وقمت إليها راكضاً أتعثر بالحاجيات، فوجدتها تبكي بقوة ولكنها تقطع بكاءها بضحكة قصيرة ومن ثم تعاود البكاء، فقلت في نفسي ان أختي قد أصابها مس من الجنون بسبب الصدمة، ومع ان أختي كانت تصرخ إلا إني رأيت زوجها ما زال يتنفس، فحضرت أمي

واحتضنتها وهدأتها وسألتها أمي ما الخبر؟ فقالت: لقد ناداني باسمي وأراد ماءً، فبكت أمي لأنها كانت تظن بأن أختي تتخيل ذلك، فرقت لحالها وبكت، وصارت أختي تحلف بالله أنها قد سمعت صوته وهو يناديها وسمعته أيضا وهو يطلب الماء، فقلت لها: ان زوجك ما زال على نومته التي تركناه عليها لم يتحرك حتى، ولعلك لم تنامي جيدا، فاذهبي يا أختي وارتاحي وأنا سأجلس عنده ريثما يطلع الفجر.

فذهبت أختي إلى غرفتها وهي تبكي، وجلست عند رأسه اقرأ القرآن وبعد كل عدة آيات انظر إليه فأراه على نومته من دون حراك، فأردت ان أقفل القرآن لأنام قليلاً فقلت في نفسي لأقرأ سورة النصر ومن ثم أذهب، فقرأتها إلى آخرها وبينما أنا أقفل القرآن نظرت إلى زوج أختي فرأيت عينيه مفتوحتين، فارتعبت وظننت انه قد مات، وفجأة سمعته يقول بصوت لا يكاد يبين: أريد ماءً، فانتفضت من مكاني راكضاً متحيراً هل أخبر أهلي أولا أو آتي له بالماء، فركضت إلى الثلاجة لآتي له بقدح ماء، وفي أثناء ركضي كنت أصرخ كالمجنون: لقد فاق، يريد ماءً، لقد فاق، تعالوا هيا.

جلس الجميع مرعوبين على صوتي وركضوا باتجاه زوج أختي، وركضت أنا بالماء إليه، احتضناه وأجلسناه وأعطيناه الماء، فارتشف عدة جرعات ولم يستطع إكمال القدح، فأرجعناه لمكانه، وبقي مستيقظاً قليلاً وعيناه تجولان في وجوه الحاضرين وهما تدمعان بغزارة، وكلما خرجت من عينه دمعة خرجت من عين زوجته وأمي وأطفاله دمعات، ثم عاد مرة أخرى إلى غيبوبته، وازدادت

صرخات الحاضرين وبكاؤهم، فصبرتهم وقلت لهم: ان شربه للماء وصحوته وكلامه علامة خير فاصبروا وادعوا له.

ثم وبعد ساعة استيقظ مرة أخرى وتكلم ببعض الكلمات وأعطيناه ماءً وعصيراً، وكلما مرت الساعات كلما طالت فترات استيقاظه وقلّت فترات غيبوبته، والبارحة بقي مستيقظاً من دون غيبوبة، واستطاع أن يأكل ويشرب ويتكلم ولكن بثقل، واستطعنا أيضا أن نوقفه على رجليه ومشى بعض الخطوات، لكنه سرعان ما كان يتعب، لان عضلات جسمه مصابة بالضمور، فيحتاج إلى وقت ليستعيد عافيته من جديد.

ولكن الخبر الذي صعقنا جميعا هو ان زوج أختي وبعد أن استطاع أن يتكلم سألنا: ما الدواء الذي أعطيتموني إياه أخيرا؟

فقلنا: لم نعطك أي دواء.

فقال: بلى أعطيتموني ولذلك تحسنت، فهي التي أخبرتني بذلك.

فقلنا: ومن التي أخبرتك بذلك؟

فقال: حينما كنت في الغيبوبة جاءتني امرأة لا أعرفها وكانت تغطي وجهها وتلبس السواد، لكنها لم تكن تمشي بشكل مستقر، فقد كانت منحنية الظهر، فوصلت لي وأنا نائم على فراشي هذا.

وقالت لي: قم.

فقلت لها: إلى أين؟

فقالت: ارجع إلى أهلك.

فقلت: لا أستطيع أن أقوم فأنا مريض.

فقالت: بل تستطيع، فالآن قد أعطوك الدواء.

فقلت: ومن أنتِ؟

فقالت: أنا السيدة.

فقلت لها: ولماذا تمشين هكذا؟

فقالت: أما تعلم ان القوم قد كسروا ضلعي؟

قالت هذه الكلمات ثم مشت عني حتى توارت ولم أعد أراها، فأحسست بعطش شديد أجبرني على أن أفتح عيني، فلما فتحتها نظرت إلى زوجتي واقفة بقربي فصحت عليها وطلبت الماء، ثم لم أتمالك فتح عيني فرجعت إلى النوم مرة أخرى، ثم بعد ذلك شعرت بعطش أشد ففتحت عيني وطلبت الماء فأتيتم وسقيتموني).

لم يكمل خالد كلامه حتى صاح أسامة دون أن يشعر: (هي والله، هي والله السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها) ولم يتمالك نفسه حتى انهمرت الدموع من عينيه، وكذلك فعل خالد.

قام الاثنان وهما يحمدان الله ويشكرانه، فتوجه خالد بوجهه نحو أسامة وقال: (أنا وعدتك قبل أيام بان حوارنا حول السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها سيستمر بمجرد أن أجد حلاً لمشكلة زوج أختي وها هو الآن يتماثل للشفاء ببركة أهل

البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولـم يعـد هنالـك عـذر لقطـع الحـوار فتعـال غـداً فـي نفـس الموعد إلى المكتبة لنبدأ برواية جديدة إن شاء الله).

بيت السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه

عاد أسامة إلى بيته مسروراً، رأته أمه وهـو علـى هـذه الحالـة فقالـت: (أراك اليوم فرحانا؟ ما الخبر؟ فمنذ مدّة لم نرك تضحك هكذا؟).

أسامة: (اتفقت أنا وخالد بأن نعاود البحث في المكتبة غـدا، فأريـد منـك يـا أمي العزيزة أن تجهـزي لـي شـيئا آخـذه معـي كـي نأكلـه خـلال تواجـدنا هنـاك وسأشتري أنا غدا عصيرا آخذه معي).

الأم: (وهل أنت ذاهب إلى نزهة أم إلـى مكتبـة؟ سـبحان الله مكتبـات آخـر زمن! ثم لماذا لا تهيئ فاطمة شيئا لتأكلوه، فعلى اقل تقدير ستتمكن بهذه الطريقة من تذوق طعامها قبل أن تخطبها).

أسامة: (يا أمي العزيـزة قلـت لـكِ سـابقا إن فاطمـة مجـرد فتـاة تحـضر معنـا الحوار ولا أفكر بخطبتها ولا بخطبة أي واحدة أخرى في الوقت الحاضر).

الأم: (الله أعلم بما في القلوب، وعلى كل حال سأعمل لك قالباً صـغيراً مـن الكيك واشتر أنت العصير من البقال، وسلم لي على فاطمة).

أنهت والدة أسامة عبارتها واتبعتها بضحكة كتمت بعضها وفلت من شـفتيها بعضها الآخر، أما أسامة فخرج من المطبخ خجلاً وصعد إلى غرفته بسرعة.

مرت الساعات وجاء موعد الانصراف إلى المكتبة، ونـزل أسـامة مـن علـى

السلم محاولاً أن لا يثير أي صوت، ووصل إلى قالب الكيك الذي كان مهيأ وموضوعاً في كيس فأخذه وانطلق نحو باب البيت وإذا بصوت من خلفه يناديه قائلا: (لا تنس أن تسلم لي على من أوصيتك أن تسلم عليه).

خرج أسامة من البيت دون أن يلتفت وهو يقول في نفسه: (آه يا أمي لا يستطيع أحد أن يفلت منك أبداً! ثم وبدلاً من هذه المسامير إذهبي واطلبيها من أهلها لتريحي نفسك وتريحيني).

أخذ أسامة العصير من البقال وانطلق به نحو المكتبة، وحينما وصل وجد حارس المكتبة جالسا على كرسيه وكالمعتاد سيجارته لا تفارق فمه والدخان يخرج من فمه وانفه كالقطار الذي يعمل على البخار، وما إن وصل أسامة إلى الباب وأراد أن يدخل صاح الحارس بوجهه: (انتظر، ما هذا الذي تحمله بين يديك؟).

أسامة: (هذا قالب من الكيك وبعض العصير).

الحارس مستهزئاً: (وأين تريد بهذا أيها الصغير؟).

أسامة: (سنتناوله في أثناء حديثنا في الحديقة).

الحارس: (ومن قال لك أيها العبقري بأننا قلبنا المكتبة إلى مطعم أو سينما، فاذهب وكُل هذه الحلوى في بيتكم، هيا اذهب وإلا منعتك من الدخول إلى المكتبة نهائياً حتى في الأيام القادمة).

أسامة: (يا عمي العزيز، نحن لا نجلس في داخل المكتبة حتى يكون أكلنا

منافياً لآداب المكتبات، وإنما نجلس في الحديقة الخلفية وهناك لا يوجد أحد...).

قاطعه الحارس قبل أن يكمل كلامه قائلا: (لا يوجد فرق عندي بين الحديقة والداخل والقانون يمنع من اصطحاب الطعام إلى داخل المكتبة هل فهمت؟ هيا انصرف ولا تثِرْ غضبي أكثر).

وبينما الحارس يتكلم بصوت عال خرجت أمينة المكتبة لترى الخبر، وبعد ان شرح لها أسامة الموقف ابتسمت قائلة: (هيا ادخل واذهب إلى حيث تجلسون كل مرة، وأعذر عمنا الحارس فإنه لا يعرف القانون جيداً، فنحن وضعنا الحديقة الخلفية لمثل هذه الأسباب فمن يريد أن يتكلم أو يقرأ بصوت عالٍ أو يتحاور مع أصدقائه أو يأكل أو يشرب شيئا في أثناء المطالعة فيمكنه أن يذهب إلى الحديقة الخلفية ويتصرف فيها بحرية أكثر).

دخل أسامة، ودخلت خلفه أمينة المكتبة، وجلس الحارس وهو يقول: (مكتبات آخر زمن، يأكلون ويشربون ولم يبقَ إلا أن يناموا فيها).

الدليل السابع من أدلة تفضيلها عليها السلام

وصل أسامة إلى حيث يجلس أصدقاؤه في كل مرة فوجدهم جالسين، فسلم واعتذر عن التأخير، فابتدأ خالد جلسة الحوار بالبسملة والحمد والصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولعن أعدائهم ثم قال: (سنتطرق اليوم إلى فضيلة من فضائل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تدل وبصراحة على مساواتها بالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذلك على أفضليتها على جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نساءً ورجالاً منذ زمن الصحابة والى قيام الساعة، فقد ورد في عدة نصوص صحيحة ان الله سبحانه جعل السيدة الزهراء وأباها وبعلها وبنيها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نوراً من نوره وجعلهم الشجرة المباركة، وأذن لبيوتهم أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، وأخبر بأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإتباع الشرع المقدس[1]، وساوى بيتها

---

(١) هذا إشارة إلى قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) سورة النور: ٣٥ – ٣٧.

صلوات الله وسلامه عليها ببيوت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في بعض الروايات المروية حتى من قبل المخالفين، بل وجعل بيتها أفضل من بيوت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في نصوص روائية أخرى[1]، وعلى أي حال فالإجماع من قبل علماء الطائفة قائم على

---

(١) اخرج الحاكم الحسكاني في كتابه (شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ج١ ص٥٣٤ ــ ٥٣٥) ثلاث روايات من طرق المخالفين تنص على ان بيت السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من بيوت الأنبياء بل هو أفضل منها، فقد قال ما هذا نصه: (٥٦٦:حدثني أبو بكر بن أبي الحسن الحافظ أن عمر بن الحسن ابن علي بن مالك أخبرهم قال: حدثنا أحمد بن الحسن الخزاز قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حصين ابن مخارق، عن بحر المسلي، عن أبي داود: عن أبي برزة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر) وقال: هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: يا رسول الله [أبيت] علي وفاطمة منها؟ قال: من أفضلها.

٥٦٧: حدثني أبو عبد الله الدينوري قال: حدثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثنا المنذر بن محمد القابوسي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عمي قال: حدثنا الحسين بن سعيد، قال: حدثني أبي، عن أبان بن تغلب، عن نفيع بن الحارث: عن أنس بن مالك وعن بريدة قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: (في بيوت أذن الله أن ترفع... والأبصار ✻) فقام رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال: بيوت الأنبياء . فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها ؟ ــ لبيت علي وفاطمة ــ قال: نعم من أفضلها.

٥٦٨: حدثني أبو الحسن الصيدلاني وأبو القاسم بن أبي الوفاء العدناني، قالا: حدثنا أبو محمد بن أبي حامد الشيباني قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي دارم بالكوفة قال: حدثنا المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبي الجهم قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عمي [عن] أبان بن تغلب، عن نفيع بن الحرث: عن أنس بن مالك، وعن بريدة قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: (✻ في بيوت أذن الله... والأبصار ✻) فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله أي بيوت هذه ؟ قال: بيوت الأنبياء . فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها ؟ ــ لبيت علي وفاطمة ــ قال: نعم من أفاضلها . لفظ أبي القاسم ما أصلحت وكتبته من أصل سماعه بخط أبي حاتم) .

ان بيتها صلوات الله وسلامه عليها هو المقصود من قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآَصَالِ) وان الله سبحانه وصفها ووصف أهل بيتها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بقوله: (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) فقد روى علي بن إبراهيم القمي[١] في تفسير سورة النور حديثا صحيحا عن أبيه[٢] عن عبد الله بن جندب[٣] قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأل عن تفسير هذه الآية فكتب[٤]: (... مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة والمشكاة في القنديل فنحن المشكاة فيها مصباح، المصباح محمد رسول الله صلى الله عليه وآله «المصباح في زجاجة» من عنصرة طاهرة «الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة

(١) قد مر سابقا توثيق علي بن إبراهيم القمي في حديثنا عن خلق السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من ثمار الجنة فراجع.

(٢) قد مر أيضا توثيق إبراهيم بن هاشم في أثناء الحديث عن خلق السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها من ثمار الجنة فراجع.

(٣) قال الشيخ الطوسي في رجاله ص٣٤٠: (عبد الله بن جندب البجلي، عربي كوفي، ثقة). وقال في ص٣٥٩: (عبد الله بن جندب البجلي، كوفي، ثقة). وقال العلامة الحلي في (خلاصة الأقوال ص١٩٣) (عبد الله بن جندب ... البجلي، عربي كوفي، من أصحاب الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام، ثقة. روى الكشي ان أبا الحسن عليه السلام أقسم انه عنه راض ورسول الله صلى الله عليه وآله والله تعالى عنه راضيان، وقال فيه أبو الحسن عليه السلام: ان عبد الله بن جندب لمن المخبتين. قال الشيخ الطوسي رحمه الله: انه كان وكيلا لأبي إبراهيم عليه السلام وأبي الحسن الرضا عليه السلام، وكان عابدا رفيع المنزلة لديهما. قال حمدويه بن نصير: لما مات عبد الله بن جندب قام علي بن مهزيار مقامه).

(٤) الرواية طويلة وسنذكر محل الشاهد منها ومن أرادها بطولها فليطلبها من مصدرها.

زيتونة لا شرقية ولا غربية» لا دعية ولا منكرة «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» القرآن «نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم» فالنور علي عليه السلام يهدي الله لولايتنا من أحب... والدليل على أن هذا مثل لهم. قوله «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ ــ إلى قوله ــ بِغَيْرِ حِسَابٍ»...)[1].

فسكت خالد برهة من الزمن ثم قال وهو يلملم أوراقه: (فكما ترون فإن في الآية والرواية الصحيحة التي تلوتها دليلاً صريحاً على أفضليتها وأفضلية أهل بيتها بما يلي:

١: إنهم مثل لنور الله في الأرض.

٢: انهم الشجرة المباركة.

٣: انهم نور من نور ونور على نور.

٤: ان بيوتهم مثل بيوت الأنبياء عليهم السلام بل هي أفضل منها.

٥: ان بيوتهم من البيوت التي أذن الله أن ترفع، ويمجد ويقدس ويذكر فيها اسمه.

٦: ان أهل هذا البيت ممن يسبحون الله بالغدو والآصال، بمعنى أنهم مستغرقون في الطاعة، وان العبادة والذكر قد أخذت كل وقتهم وأصبحت شغلهم الشاغل.

---

(١) راجع تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج٢ ص١٠٤ تفسير آية النور.

٧: وانهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فهم يعبدون الله ويقدسونه حتى في أثناء تجارتهم وحتى من خلال بيعهم وتعاملهم الدنيوي.

٨: إنهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، وان هذا الخوف لا يفارقهم وان مقداره قد بلغ إلى حد يستحق ان يذكر في القرآن ويثبت على مر العصور والأزمان.

وهذا نهاية الفضل وغاية التفضيل، فصلوات الله عليها وعلى بيتها وعلى ما حواه من الرجال والتسبيح والتقديس).

هل اتفق المسلمون على ان الآية نزلت في المساجد؟

أسامة: (ولكن اتفاق المسلمين قائم على ان البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه هي المساجد وبيت السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لم يكن مسجداً في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون مقصوداً بالآية[1]؟).

خالد: (قولك إن المسلمين قد اتفقوا على أن الآية نزلت في المساجد غير صحيح قطعاً، لأنني قد ذكرت لكم بأن إجماع الشيعة منعقد على أن الآية نزلت في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والشيعة نصف المسلمين تقريبا، أما أهل السنة فقد تقسمت أقوالهم وتشتت إلى أصناف، فمنهم من قال بأن البيوت في الآية هي

---

(١) اعلم ان هذا الاعتراض مستوحى من قول ابن تيمية في كتابه منهاج السنة (ج٧ ص٩١ ــ ٩٢) حيث قال هناك: (...الآية باتفاق الناس هي في المساجد كما قال في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال و بيت علي وغيره ليس موصوفا بهذه الصفة).

المساجد كلها، ومنهم من قال إن المقصود منها هو بيت المقدس[١]، ومنهم من قال إن المقصود منها أربعة مساجد لا غير الكعبة وبيت المقدس وبيت أريحا ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، ومنهم من قال إن المقصود من البيوت هي بيوت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[٣]، ومنهم من قال إن المقصود منها هي بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٤]، ومنهم من قال إن البيوت هنا هي بيوت العلم[٥]، ومنهم من قال إن البيوت هنا هي بيوت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٦]، ومنهم من ذهب إلى ان المقصود من البيوت هي مطلق البيوت[٧]، فأي بيت من بيوت المسلمين قديما

---

(١) قال فخر الدين الرازي في تفسيره ج٢٤ ص٣: (وعن الحسن هو بيت المقدس يسرج فيه عشرة آلاف قنديل). وراجع أيضا تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ج٨ ص٢٦٠٥.

(٢) راجع تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ج٨ ص٢٦٠٤ حيث قال: (والوجه الثاني: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن صالح بن حيان عن ابن بريدة يعني قوله: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّه أَنْ تُرْفَعَ) قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبنهن إلا نبي، الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعل قبلة، وبيت أريحا بيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم). وراجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج٥ ص٥٠.

(٣) قال ابن ابي حاتم الرازي في (تفسير القرآن العظيم ج٨ ص٣٦٠٤) (حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا ابن فضيل، عن ليث عن مجاهد «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّه أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُه» قال: هي بيوت النبي صلى الله عليه وسلم).

(٤) قال ابن الجوزي في (زاد المسير في علم التفسير ج٥ ص٣٦٤) (وللمفسرين في المراد بالبيوت ها هنا ثلاثة أقوال... والثاني: بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد).

(٥) قال أبو حيان الأندلسي في (تفسير البحر المحيط ج٦ ص٤٢١) («فِي بُيُوتٍ» مطلق فيصدق على المساجد والبيوت التي تقع فيها الصلاة والعلم).

(٦) المصدر السابق.

(٧) قال محمد بن جرير الطبري في (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٨ ص١٩٣) (وقال ←

وحديثا وفي المستقبل يذكر فيه اسم الله سبحانه وتقام فيه الصلاة فإنه يكون مشمولا بهذه الآية، ومن مجموع هذه الأقوال نكتشف بأن المسلمين لم يجتمعوا على قول واحد في المسألة وبالخصوص أهل السنة، فإن لهم فيها أقوالاً شتى وآراء مختلفة.

وأما قولك بأن بيت السيدة الزهراء لم يكن في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مسجداً فلا يضرنا شيئا، لأننا عرفنا بأن الآية لا تتحدث عن المساجد بل عن بيوت خاصة تحوي رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا لهو يقيمون فيها الصلاة ويسبحون الله سبحانه ويقدسونه ويوجد من أهل السنة من يذهب إلى نفس قولنا هذا أو قريب منه كما اتضح سابقا).

ليس من حق المخالفين الاعتراض على تخصيص الآية ببيت فاطمة صلوات الله وسلامه عليها

فاطمة: (أفهم من مجموع كلامك أن أهل السنة ليس من حقهم أن يعيبوا علينا قولنا بأن الآية نزلت في حق أهل البيت عليهم السلام لأنهم يقولون بأنها نزلت في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو أنها نزلت في مطلق بيوت المسلمين

آخرون: عنى بذلك البيوت كلها. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، ونصر بن عبد الرحمن الأودي، قالا: حدثنا حكام بن سلم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة: في بيوت أذن الله أن ترفع قال: هي البيوت كلها). وراجع أيضا معاني القرآن للنحاس ج٤ ص٥٣٨.

وراجع أيضا تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ج٨ ص٢٦٠٥ حيث قال: (حدثنا علي بن الحسن، ثنا جعفر بن مسافر، ثنا يحيى بن حسان، ثنا رشدين عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّه أَنْ تُرْفَعَ) قال: هي المساكن. المسكن يعمرونه ويذكرون الله فيها وليست بالمساجد التي سماها الله بأسمائها).

حتى البسطاء منهم، وبيت علي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما أفضل من كل هذه البيوت حتماً، لأنه البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيرا[(١)]، إضافة إلى أن في بعض بيوت زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت المؤامرات تحاك فيها[(٢)]، وللرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كلام شديد في بعض تلك البيوت، حتى وصفها بأن منها يخرج قرن الشيطان[(٣)]، وبيت علي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما منزه عن كل هذا، بل

---

(١) قال سبحانه في سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(٢) روى البخاري في صحيحه ج٦ ص١٦٧: (حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فإنه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح التي أجد منك فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذاك، قالت تقول سودة فو الله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال سقتني حفصة شربة عسل فقالت جرست نحله العرفط فلما دار إلي قلت له نحو ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتي).

(٣) قال البخاري في صحيحه ج٤ ص٤٦: (حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال ههنا ←

ومعروف بالطهارة والعبادة والتقى، فيكون أولى بأن يقصد بقوله سبحانه: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ ـ إلى قوله ـ بِغَيْرِ حِسَابٍ»).

أأذن الله بأن ترفع أحجار بيوتهم وسقوفها أم يرفع أصحابها؟

محمد: (كيف يقول القرآن الكريم بأن بيوتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد أذن الله أن ترفع وهي الآن ما بين مدثورة أو مهدمة، فأين هذا الرفع الذي وعد الله به هذه البيوت؟).

ابتسم خالد وقال: (ليس المقصود من البيوت هنا هو الطابوق والطين، لأن الله سبحانه في هذه الآية أطلق لفظ البيوت وأراد بها أهل البيوت وأصحابها والمنتمين لها، فأهل هذه البيوت وأصحابها هم الذين أذن الله سبحانه بأن يرفعوا ويعلو شأنهم، ويكون فيهم اسمه مذكوراً).

محمد: (لم أفهم مقصودك جيداً، فيا حبذا لو تفسره وتضرب لنا الأمثال).

خالد: (قد ورد في آيات القرآن كثيراً بأن الله سبحانه قد أطلق لفظاً معيناً وأراد به شيئاً آخر من باب المجاز، كقوله تعالى: « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ»[1] والمقصود أهل القرية وأصحاب العير أي

الفتنة ثلاثا من حيث يطلع قرن الشيطان). وروى مسلم في صحيحه ج٨ ص١٨١: (حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا وكيع عن عكرمة بن عمار عن سالم عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان).

(١) سورة يوسف الآية رقم ٨٢.

القافلة، إذ لا يجوز أنْ تُسأل القرية وإنَّما يُسألُ أهل القريـة، فحـذفَ الأهـل وأقـام المضاف إليه مكانه.

وكذلك قوله تعالى: « وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِه فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا » والمقصود من الآية أهل تلك القرى، فـالعتو لا يصدر من الجدران والسقوف، والحجارة والأبنية لا تحاسب حساباً شديداً.

وهذه الآيـات شـبيهة بالآيـة التـي نحـن بـصدد الحـديث عنهـا، فالـذي أمـر الله بارتفاعهم وعلو شأنهم هم أهل هذه البيوت، وعليه فلا يـضرهم سـواء كانـت بيـوتهم المادية التي هي من الحجـر والطـين مـشيدة أم مهدومـة، وان كـان الواجـب تـشييدها وإعزازها وعمارتها لأن تقديس كل ما ينتمي إليهم هو من لـوازم تقديـسهم، وإعـلاء كل ما يذكر بهم ويجمع الناس حولهم هو من لوازم إعلاء شأنهم).

الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطلقون على أنفسهم لفظ البيت والمسجد

محمد: (بالحقيقة أنا لم أسمع شخصاً يطلق على نفسه بيتاً، فيقـول أنـا البيـت أو نحن البيت، فهل سمعتم أنتم بمثل هذا الشخص؟).

أسامة: (أنا أيضا لم أسمع وأعتقد بأنه إذا قال الإنسان على نفـسه أنـا بيـت أو نحن البيت فإن الناس سيضحكون منه).

خالد: (عدم سماعكما بشخص يقول أنا بيت لا يدل على عـدم وجـود مثـل هذا الشخص، وعدم استعمال الناس في هذا الوقت لمثل هذه الألفـاظ وضـحكهم منها لا يدل أيضا على عدم صحة إطلاقها، لان الناس الآن بعيدون كل البعـد عـن

قواعد اللغة العربية وذوقها.

ونحن لو تتبعنا أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لوجدنا بأن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يعبر عن نفسه المقدسة ببيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه[1]، وقد فسروا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأن المقصود من المساجد في قوله تعالى: «وَأَنَّ

(١) قال المولى محمد تقي المجلسي في (روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج٧ ص٤٧٦) (وروى الكليني في القوي كالصحيح، عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالسا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل رجل فسلم فقلت له: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من أهل الكوفة فقلت: ما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام فقلت: نعم فما حاجتك إليه؟ فقال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته. قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال نعم فقلت له فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرني فما انقطع كلامي معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريبا منه.

قال أبو حمزة فجلست بحيث اسمع الكلام وحوله عالم من الناس فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفت إلى الرجل فقال له: من أنت؟ فقال: أنا قتادة بن دعامة البصري فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله عز وجل خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه.

قال: فسكت قتادة طويلا، ثمَّ قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطربت قدامك، قال له أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثمَّ، ونحن أولئك فقال له قتادة صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين).

الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» هم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[(١)].

وعليه فلا استغراب من أن يكون المقصود بالبيوت في قوله سبحانه «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّه أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُه» هم أشخاص أهل البيت لا بيوتهم المبنية من حجر وطين).

لعل المراد بالبيت في الآية بيت النسب

فاطمة: (أود أن أضيف أن البيوت في الآية ربما يراد منها بيت النسب فقد شاع بين العرب والعجم التعبير عن الأنساب الكريمة والاحساب الشريفة بالبيوت[(٢)]،

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١ ص٤٢٥: (عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّد عَنْ مُحَمَّد بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّد بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي قَوْلِه: «وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّه فَلا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً» قَالَ هُمُ الأَوْصِيَاءُ).

وروى العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج٢٣ ص٣٣١: (كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: محمد بن العباس عن محمد بن أبي بكر عن محمد بن إسماعيل عن عيسى ابن داود النجار عن موسى بن جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا» قال: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول: هم الأوصياء والأئمة منا واحدا فواحدا فلا تدعوا إلى غيرهم فتكونوا كمن دعا مع الله أحداً...).

وقد علق الفيض الكاشاني على هذه الأحاديث وأوضح مقاصدها في (الوافي ج٣ ص٨٩٦) حيث قال: (السجود الخضوع يعني أن اللَّه سبحانه كنى بالمساجد عن الأوصياء وجعلهم لله لأن اللَّه أمر عباده بأن يخضعوا لهم طاعة لله عز وجل وتقربا إليه « فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً » أي فلا تشركوا به بأن تخضعوا لغيرهم بدون أمره أو تجعلوهم آلهة معه).

(٢) قد استعمل أهل اللغة لفظ البيت في عدة معانٍ، فقد أطلقوا البيت على شرف النسب قال ابن منظور في لسان العرب ج٢ ص١٥: (وبَيْتُ العربِ: شَرَفُها، والجمع البُيوتُ ... والبَيْتُ من بُيُوتات

←

والواقع يؤيد هذا الأمر فقد أجمع المسلمون على أن نسب النبي الأعظم والسيدة الزهراء والإمام أمير المؤمنين وباقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو من الأنساب والأحساب التي أذن الله سبحانه بأن ترفع[١]، فجعل منهم الأنبياء والأوصياء والحجج والأئمة، ويذكر فيهم اسمه بأن جعلهم لسانه في خلقه يتكلمون بلسانه ويبلغون للناس شرائعه).

خالد: (صحيح ما تقولين وفي قوله تعالى: «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ» قرينة على ما تقولين فقد ورد في نصوص المسلمين سواء الشيعة أو مخالفوهم تفسير الشجرة المباركة بنبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وذريته من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٢]، وبعضهم فسرها بنبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه[٣]).

العرب: الذي يَضُمُّ شَرَفَ القبيلة... وفلانٌ بَيْتُ قومِه أي شَرِيفُهم... وبَيْتُ الرجلِ: امرأَتُه، ويُكْنى عن المرأة بالبَيْت... ابن الأَعرابي: العرب تَكْني عن المرأة بالبَيْت... الجوهري: البَيْتُ عيالُ الرجل).

(١) روى الترمذي في سننه ج٥ ص٢٤٣ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم). وراجع أيضا المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص ٤٣٠، الدر المنثور ج٣ ص٢٩٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٠.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٨ ص٣٨١ عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه قوله: (فَأَصْلُ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام)، وقال مقاتل بن سليمان في تفسيره ج٢ ص٤١٩: (يعنى بالشجرة المباركة إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم، يقول: يوقد محمد من إبراهيم، عليهما السلام، وهو من ذريته)، وقال السمرقندي في تفسيره ج٢ ص٥١٤: («يوقد من شجرة مباركة» يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم من نور إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام).

(٣) قال القرطبي في تفسيره المسمى بالجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٦٣: (يوقد من شجرة مباركة

القرائن على أن المراد بالرجال في الآية هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

أكمل خالد كلامه وأراد أن يبتدئ بموضوع آخر فقاطعه أسامة قائلا: (لماذا لا نرتاح قليلا؟ فقد جلبت معي قالباً من الكيك صنعته والدتي بيدها واشتريت معه عصيراً).

ارتاح الجميع إلى هذه المبادرة وأقبلوا يقطعون الكيك وهم يتمازحون ويضحكون بينما كان أسامة يقص عليهم قصة الحارس ومنعه من دخول المكتبة إلى ان أتت أمينة المكتبة وخلصته من بين يديه.

وبعد الانتهاء من طعامهم قال أسامة: (من المعلوم أن أهل السنة لا يؤمنون بنزول هذه الآية المباركة في حق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأسباب نعرفها كلنا، ولكن هل يمكن أن نجد في الآية قرائن وإشارات لا يمكن تطبيقها إلا على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث نستطيع إثبات نزولها في حقهم حتى لو لم تكن هنالك روايات عندهم أو عندنا تثبت نزولها في حقهم؟).

خالد: (نعم توجد إشارات وقرائن كثيرة على هذا الأمر سأعرضها لكم على شكل نقاط، فمنها:

القرينة الأولى

في قوله تعالى: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» وقد أجمع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم على

→

وهي آدم عليه السلام، بورك في نسله وكثر منه الأنبياء والأولياء. وقيل: هي إبراهيم عليه السلام، سماه الله تعالى مباركا لان أكثر الأنبياء كانوا من صلبه).

ان المشكاة والمصباح والزجاجة والكوكب الدري المذكورة في الآية هي عبارة عن أشخاص أو موجودات خارجية ومن شدة قربها منه سبحانه جعلها مثلا لنوره.

والى هذا القول ذهب جمع غفير من أهل السنة ومخالفي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لكن اختلافنا عنهم هو أننا نفسر هذه الموجودات النورانية بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم يفسرونها بأشياء أخرى كالمؤمن[(١)] أو القرآن الكريم[(٢)] أو كوكب الزهرة[(٣)] أو الشام[(٤)]، ودليلنا على اختصاص الآية بأهل البيت عليهم السلام أن القرآن الكريم قد سمى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الآيات بالسراج المنير[(٥)]، وسماه في بعضها الآخر بالنور[(٦)]، وروايات المخالف قبل الموالي تشهد على أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كانت بضعة منه[(٧)]، والبضعة من النور نور أيضا.

---

(١) راجع على سبيل المثال جامع بيان العلم للطبري ج١٨ ص١٨٠فقد فسر قوله تعالى: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) بالمؤمن .

(٢) المصدر السابق ص١٨٣.

(٣) راجع تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ج٨ ص٢٥٩٨.

(٤) المصدر السابق ص٢٦٠٢.

(٥) قال تعالى في سورة الأحزاب الآية رقم ٤٥ ــ ٤٦: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا).

(٦) قال تعالى في سورة المائدة الآية رقم ١٥: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ).

(٧) روى البخاري في صحيحه ج٤ ص٢١٠: (حدثنا أبو الوليد حدثنا ابن عيينة عن عمر وابن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني).

وقد شهدت كتب المخالفين أيضا على ان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان نفس النبي بنص القرآن الكريم[١]، ونفس النور نور أيضا.

وكذلك شهدت كتبهم على أن النبي الأعظم قال للحسن والحسين بأنهما منه وهو منهم[٢]، وجزء النور نور أيضا.

---

(١) قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٩: (وَقَالَ أَبُو بَكْر بْن مَرْدُوَيه: حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن أَحْمَد حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن دَاوُدَ الْمَكِّيّ حَدَّثَنَا بِشْر بْن مِهْرَان حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن دِينَار عَنْ دَاوُدَ بْن أَبِي هِنْد عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ جَابِر قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَاقِب وَالطَّيِّب فَدَعَاهُمَا إِلَى الْمُلَاعَنَة فَوَاعَدَاهُ عَلَى أَنْ يُلَاعِنَاهُ الْغَدَاة قَالَ: فَغَدَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ وَفَاطِمَة وَالْحَسَن وَالْحُسَيْن ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَا وَأَقَرَّا لَهُ بِالْخَرَاجِ قَالَ: فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ قَالَا: لَا لَأُمْطِرَ عَلَيْهِمْ الْوَادِي نَارًا " قَالَ جَابِر: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ " نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسنَا وَأَنْفُسكُمْ " قَالَ جَابِر " أَنْفُسنَا وَأَنْفُسكُمْ " رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيّ بْن أَبِي طَالِب" وَأَبْنَاءَنَا " الْحَسَن وَالْحُسَيْن " وَنِسَاءَنَا " فَاطِمَة. وَهَكَذَا رَوَاهُ الْحَاكِم فِي مُسْتَدْرَكه عَنْ عَلِيّ بْن عِيسَى عَنْ أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن الْأَزْهَرِيّ عَنْ عَلِيّ بْن حَجَر عَنْ عَلِيّ بْن مُسْهِر عَنْ دَاوُدَ بْن أَبِي هِنْد بِهِ بِمَعْنَاهُ. ثُمَّ قَالَ: صَحِيح عَلَى شَرْط مُسْلِم وَلَمْ يُخْرِجَاهُ هَكَذَا. قَالَا: وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ عَنْ شُعْبَة عَنْ الْمُغِيرَة عَنْ الشَّعْبِيّ مُرْسَلًا وَهَذَا أَصَحّ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس وَالْبَرَاء نَحْو ذَلِكَ).

(٢) اخرج ابن عساكرفي ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص١٠٠ حديثين جاء فيهما عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (الحسن مني...). وقال الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٥٧: (وروى الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" وابن عساكر عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحسن مني والحسين مني").

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٨١: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبه الحسن والحسين سبطان من الأسباط قلت رواه الترمذي باختصار ذكر الحسن رواه الطبراني وإسناده حسن).

وكما ترون فلو أغمضنا العين عن كل روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الصحيحة في اختصاص الآية بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإننا نستطيع وعن طريق أحاديث أخرى أن نثبت اختصاصها بهم ونزولها بحقهم.

ثم إن القول بنزولها في حقهم أولى من قول المخالفين بنزولها في كوكب الزهرة مثلا أو في حق بلدة الشام، أو غير ذلك من الأقوال المضحكة.

وعلاوة على هذا كله فإنه يوجد كثير من مفسري أهل السنة الذين ذهبوا إلى أن المقصود في قوله سبحانه (مَثَلُ نُورِهِ) يعني مثل نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1]، وذهبوا أيضا إلى أن معنى قوله سبحانه (كَمِشْكَاةٍ) يعني (مثل نور محمد كمشكاة)[2]، وان (الْمِصْبَاح) في الآية إشارة إلى قلبه صلى الله عليه وآله وسلم[3]، وأما (الزُّجَاجَةُ) فهي صدره صلى الله عليه وآله وسلم[4]، كما وشبهت الآية صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كوكب دري[5]، ويكاد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم يبين للناس ولو لم

---

(١) راجع على سبيل المثال تفسير مقاتل ج٢ ص٤١٩، ونحن يمكن ان نسحب هذا الكلام إلى باقي الخمسة من أهل الكساء لأنهم جميعا قد ورد في حقهم بأنهم بضعة منه أو نفسه أو ما شابه هذا من الألفاظ المعبرة عن وحدة سنخيتهم وأصلهم مع سنخيته واصله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه فيكونون مشمولين بكل خصائصه إلا ما خرج بدليل خاص.

(٢) راجع تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ج٨ ص٢٥٩٣، ويمكن أيضا إدخال أهل البيت عليهم السلام في هذا القول بنفس التقريب الذي مر في الهامش السابق.

(٣) المصدر السابق ص٢٥٩٧.

(٤) المصدر السابق، وروى الثعلبي في الكشف والبيان ج٧ ص١٠٥ عن: (مقاتل عن الضحّاك قال: شبّه عبد المطّلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح، كان في صلبهما فورث النبوّة من إبراهيم عليه السلام).

(٥) جمع بيان العلم للطبري ج١٨ ص١٨٣.

يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء ولو لم تمسسه نار[(١)]، وان قوله سبحانه: (نُورٌ عَلَى نُورٍ) أي نبي من صلب نبي[(٢)]، أو كان عمله نورا وقوله نورا[(٣)]، يهدي الله لشريعة نبيه ومنهاجه من يشاء، ويهدي الله لولاية أوصيائه والأئمة من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من يشاء من عباده أيضا، لان ولايتهم ولايته ونهجهم نهجه).

فاطمة: (وفي مذهب أهل البيت عليهم السلام توجد أحاديث كثيرة ذكرت بأن أهل البيت عليهم السلام كانوا قبل خلقهم الدنيوي أنواراً، وهذه قرينة إضافية على أنهم المقصودون بالنور في الآية).

القرينة الثانية

خالد: (وتوجد قرينة ثانية على ان المقصودين في الآية هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دون غيرهم، وهذه القرينة هي قوله تعالى: «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ

(١) قال ابن أبي حاتم الرازي في تفسير القرآن العظيم ج٨ ص٢٦٠٣: (حدثنا محمد بن يحيى، أنبأ يزيد بن عبد العزيز الطيالسي وأبو الربيع ويوسف بن واقد قالوا: ثنا يعقوب عن جعفر، وقال أبو الربيع: ثنا جعفر عن شمر بن عطية قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: حدثني عن قول الله: (يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْه نارٌ) قال: يكاد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء). فلا عجب حينئذ من قول أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية (يكاد العلم يخرج من فم آل محمّد من قبل أن ينطق به) لأنهم من شجرته ومن نفسه وهم أوصياؤه فعلمه علمهم توارثوه كابراً عن كابر.

(٢) راجع تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٤١٩، وقال الثعلبي في تفسير الكشف والبيان ج٧ ص١٠٦: (أي نبيّ من نسل نبيّ). وفي روايات أهل البيت عليهم السلام (إمام بعد إمام) .

(٣) تفسير السمرقندي ج٢ ص٥١٤.

زَيْتُونَة لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ» ففيها إشارة واضحة إلى أن تلك الأنوار التي أسماها القرآن بالمشكاة والمصباح والزجاجة والكوكب الدري هي فروع من تلك الشجرة المباركة، والأحاديث وكلمات المفسرين تكاد تجمع على أن المقصود من الشجرة المباركة هي شجرة نسب نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وهذا لا ينطبق إلا على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم أنوار كما أثبتنا سابقا، وهم فرع من فروع شجرة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بل من أطهر فروعها، فيكون انطباق الوصف عليهم من باب أولى).

القرينة الثالثة

فاطمة: (هل تسمح لي يا خالي أن أضيف قرينة أخرى على أن المقصودين بالآية هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خاصة دون غيرهم؟).

خالد: (نعم تفضلي على الرحب والسعة).

فاطمة: (في قوله تعالى: «نُورٌ عَلَى نُورٍ» إشارة إلى أن تلك الأنوار المذكورة في الآية، بينهم تفاضل في الكمال، فبعضها أفضل من بعض، وبعضها أعلى من بعض، وهو ما ينطبق انطباقا كليا على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ثبت في الروايات أنهم أنوار الله سبحانه، إلا أن نور بعضهم أشد وأعلى وأكمل من البعض الآخر، فنور نبينا أعلى الأنوار وأكملها، ثم نور علي، ومن بعده السيدة الزهراء، ومن بعدهما الإمامان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

القرينة الرابعة

خالد: (أحسنتم، وأحب أن أضيف أيضا قرينة رابعة فمن قوله سبحانه:

«يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» يتضح بأن لهذه الأنوار التي ذكرت في الآية المباركة خاصية الهداية، وأن من اهتدى بهداهم، واقتدى بنورهم، فقد اهتدى إلى صراط الله سبحانه واستنار بنوره، وهو ما ينطبق انطباقا تاما على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد شبه النبي الأعظم في أحاديث عديدة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات[(١)]، وشبههم في أحاديث أخرى بسفينة نوح، يأمن من ركبها ويهلك ويغرق من تخلف عنها[(٢)]، وجعلهم في حديث الثقلين عدل القرآن، وحبل الله الممدود الذي لا يضل من تمسك بهم، ويأمن من التجأ إليهم[(٣)].

---

(١) قال الحاكم النيسابوري في المستدرك ج٣ ص١٤٩: (...عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وروى المتقي الهندي في كنز العمال ج١٢ ص١٠٢ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنت فيهم، فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون).

(٢) روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١٢ ص٩٠: (...عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق).

(٣) روى الترمذي في سننه ج٥ ص٣٢٩: (...عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

القرينة الخامسة

خالد: (وتوجد قرينة أخرى في قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» فقد ذكرنا سابقا أن انطباقها على أهل البيت مما لا يقبل الشك، فقد كتب الله لأهل هذا البيت الرفعة والعلو على رغم المحاولات التي بذلت في الجاهلية والإسلام لتحطيم وإنزال أهل هذا البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم التي رتبهم الله فيها، إلا أن هذه المحاولات لم تزدهم إلا علواً وارتفاعاً، فإنكم لا تجدون اليوم أهل بيت في الأرض أعلى شأناً وأكثر هيبةً وأعز جمعاً منهم).

القرينة السادسة

أسامة: (قد خطرت في ذهني مسألة يمكن أن تكون فيها دلالة على أن المراد من الآية هم أهل البيت عليهم السلام دون بقية المسلمين، فقد وصف الله سبحانه هذه الأنوار في الآية بأنهم بيوت، أو أن مستقرهم في بيوت أذن الله أن ترفع، وهو شبيه قوله تعالى: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» فقد ذكرت الروايات أن هذه البيوت المذكورة في الآية هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والواجب على الناس إتيانها من أبوابها، كما أن آية التطهير أوضحت بأن مستقر الخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو في بيوت أذن الله سبحانه أن ترفع وأراد تطهيرها من كل رجس، فتكرار كونهم بيوتاً أو ان مستقرهم في بيوت طاهرة خير دليل على أن المراد من الآية هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دون غيرهم).

خالد: (أحسنت يا بطل بدأت تحسن ربط النصوص الدينية ببعضها

وتستنتج منها شيئا جديداً). أحس أسامة بالخجل وهو يرى عيون البقية تنظر إليه والابتسامة واضحة على وجوههم.

نظر خالد إلى ساعته وقال: (يكاد وقت صلاة المغرب أن يحين، فلنترك ما بقي من الحديث إلى يوم غد إن شاء الله، ولا تنسوا أن تضعوا ورقة وقلماً وان تسجلوا فيها كل ما يخطر على ذهنكم وبالخصوص ما يمكن لنا أن نستلهمه ونستفيده من الآية المباركة).

أكمل خالد قوله فنهض الجميع وودع بعضهم بعضا على أمل اللقاء غدا، وذهب خالد وفاطمة قبل الجميع وبقي أسامة ومحمد يجمعان ما تبقى من بقايا الحلوى وزجاجات العصير قبل أن يأتي الحارس ويفتح لهم درسا في النظافة وأهميتها، ثم توجها بعد ذلك كل إلى بيته.

جلس كل من الأربعة بعد أن انتهوا من عشائهم وقبل نومهم وأمامهم ورقة وقلم، وبدأوا يدونون فيها كل ما يخطر في ذهنهم من أسئلة أو ملاحظات ليتم مناقشتها في اليوم التالي.

جاء يوم جديد وحلّ موعد اللقاء بالأصدقاء، ونزل أسامة من غرفته متوجهاً نحو الباب ذاهباً إلى المكتبة، فصاحت عليه أمه: (هل سلمت لي على فاطمة؟).

اقترب أسامة وقال: (سلمت على الجميع بالنيابة عنكِ).

ضحكت أمه ثم قالت: (وماذا قالت فاطمة عن قالب الحلوى؟).

أسامة: (الجميع قد شكرك وقد أحبوا طريقة صنعكِ لقالب الحلوى).

فضحكت مرة أخرى من طريقة جوابه والتفافه على الموضوع وقالت له: (هيا اذهب مع السلامة ولا توجع لي قلبي بأجوبتك، فأنا أسألك عن فاطمة وتجيبني عن خالد والآخرين، تحسب بأني لا أعلم باهتمامك بفاطمة، وقد فاتحت أباك البارحة بشأن ذهابنا لخطبتها، فقال لي أبوك: بأننا لا نستطيع أن نجبر أسامة على أمر قد لا يكون راغبا فيه، وقد أمرني أن أتكلم معك لاستعلم منك الخبر، فأخبرني الآن ألك رغبة في خطبة هذه الفتاة أم أبحث لك عن فتاة أخرى؟).

أدار أسامة بظهره خجلا ثم سار نحو الباب وهو يقول: (الآن يجب أن أذهب يا أمي فقد تأخرت وسنتكلم في هذا الموضوع لاحقا).

خرج أسامة مسرعا من البيت خوفاً من أن تناديه أمه مرة ثانية وتستمر في كلامها.

مشى أسامة نحو المكتبة دون أن ينتبه لخطواته السريعة، لأن ذهنه كان مشغولاً بكلام والدته، وما هي إلا برهة من الزمن حتى وجد نفسه بباب المكتبة، وانتبه إلى الحارس وهو يحد إليه النظر وينفخ بدخان سيجارته نحوه كتنين يريد التهام فريسته.

دخل الباب بعد أن سلم على الحارس عسى أن يخفف عنه غضبه وحنقه، ولكنه لم يسمع منه إلا همهمة لا يدري أهي جواب سلامه أم هي كلمات توبيخ، فقرر أسامة في نفسه أن يعدّها جوابا لسلامه؛ لان فعل المسلم محمول على الصحة والخير في حال الشك.

الآية جاءت بصيغة التذكير فكيف صح إدخال السيدة الزهراء فيها

وصل أسامة إلى المكان الذي اعتادوا الجلوس فيه فكان أول من حضر، وبعد قليل حضر محمد، ومن ثم خالد وفاطمة، وبعد السؤال عن الحال والأحوال وبعد أن استقر بهم المجلس قال خالد: (هل سجلتم ملاحظاتكم وأسئلتكم؟).

فقال بعضهم: (نعم) واكتفى البعض الآخر بهز رأسه مرتين علامة الإيجاب.

خالد: (تفضل يا أسامة وقل ما عندك).

أسامة: (بالحقيقة قد قرأت البارحة الآية عدة مرات ووجدت بأنها تتحدث عن الرجال فقط بدليل قوله سبحانه: «رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ» فإضافة إلى لفظ الرجال في الآية فإن جميع الضمائر المستترة والظاهرة جاءت بصيغة المذكر، وسؤالي هو: إذا كان الرجال هم المقصودين في الآية، فكيف قلنا بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها مقصودة ومشمولة بها؟).

خالد: (هذا يسمى في اللغة العربية بظاهرة أو أسلوب التغليب في الخطاب، فإذا اجتمع رجال ونساء في حادثة معينة أو حكم معين وكان عدد الرجال أكثر من عدد النساء جاز توجيه الخطاب للجميع نساءً ورجالا بصيغة المذكر، وهذا النوع من التغليب شائع الاستعمال في اللغة والأدب وفي القرآن والسنة.

والخطاب في الآية جاء على نفس هذا المنوال، فأهل البيت عنوان لرجال متعددين ومن ضمنهم امرأة واحدة، وهي السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فجاز خطابهم جميعاً بلفظ المذكر من باب التغليب.

أما لفظ الرجال في قوله: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ» فقد جيء به لا لتخصيص الآية بالرجال فقط، بل لان التجارة والبيع من شؤون الرجال، والنساء وإن كن يمارسن التجارة أو البيع نادراً، إلا ان اختصاص الرجال بهما أكثر شيوعاً وأغلب وجوداً، فلذلك استعمل لفظ الرجال في الآية من باب التغليب أيضا).

ألفاظ الآية عامة فكيف جاز تخصيصها بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

فاطمة: (وأنا عندي سؤال قريب من سؤال أخي أسامة، فالآية ذكرت لفظ «رجال» وتحدثت عنهم بضمائر عامة ولم تخصص أفرادا معينين تشملهم، وفي اللغة إذا جاء اللفظ عاما شمل جميع الأفراد المندرجين تحته، فلفظ «رجال» لابد وان يشمل جميع الرجال الذين يتصفون بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، سواء أكانوا من أئمة أهل البيت أم غيرهم من عوام الناس، وعليه فكيف يمكننا تخصيص الآية برجال معينين مع أن ألفاظ الآية عامة؟).

خالد: (ألفاظ الآية المباركة وإن كانت عامة إلا أن هنالك قرائن أخرجتها عن العموم وخصصتها برجال معينين دون غيرهم، وقد ذكرنا فيما سبق ستة قرائن على تخصيصها.

والأهم من ذلك كله هو إجماع المسلمين بجميع مذاهبهم واعترافهم أن السنة النبوية لها قابلية تخصيص عمومات القرآن وتقييد إطلاقاته، فلربما يرد لفظ عام أو مطلق فتأتي السنة وتخصصه أو تقيده فلا يلتفت حينئذ إلى ذلك العموم أو الإطلاق.

والنصوص الواردة عن النبي الأعظم والأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

خصصت الرجال والمعنيين في الآية المباركة بعدد معين، وبهذا يخرج اللفظ من العموم إلى الخصوص ومن الإطلاق إلى التقييد).

الآية تتحدث عن رجال تجار وأهل البيت لم يكونوا كذلك

محمد: (أما أنا فعندي سؤال مختلف وهو: أن الآية ذكرت بأن هؤلاء الرجال يعملون في البيع والتجارة، وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونوا تجاراً ولا مارسوا البيع والشراء في أثناء حياتهم فكيف تنطبق الآية عليهم؟).

خالد: (من أين لك يا أخي أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يمارسوا التجارة ولا البيع والشراء؟ فقد صرحت عدة نصوص تاريخية بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان قبل مبعثه يمارس التجارة، وقد خرج في قافلة تجارية لأم المؤمنين خديجة صلوات الله وسلامه عليها وكانت سبباً لزواجها منه، وهي قضية مشهورة.

وتوجد نصوص وروايات عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تصرح بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يمارس التجارة والزراعة حتى بعد نبوته، فقد اشترى ذات يوم إبلاً قد جاءت من الشام فباعها وقضى بربحها جميع ديونه وقسّم الباقي في أرحامه[1].

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي: (...عن أسباط بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل؟ فقلت: صالح ولكنه قد ترك التجارة فقال أبو عبد الله عليه السلام: عمل الشيطان ـ ثلاثا ـ أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى عيرا أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسم في قرابته، يقول الله عز وجل: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) يقول القصاص: إن القوم لم يكونوا يتجرون. كذبوا ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها وهو أفضل ممن حضر الصلاة ولم يتجر).

وقد صرح الإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه في بعض أقواله الشريفة أن جميع آبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد عملوا بأيديهم فزرعوا وتاجروا وباعوا واشتروا، كما أن جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء كانوا يعملون ويأكلون من كد يمينهم[(١)].

وقد ورد في روايات أخرى أن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد أعتق ألف مملوك من كد يده[(٢)]، وقد أعطى الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه لبعض أصحابه ألفا وسبعمائة دينار ليتاجر بها فربح مائة دينار[(٣)]، وكان الصادق صلوات الله وسلامه عليه يعمل في بستانه وبيده مسحاة والعرق يتصبب عن ظهره وهو يقول: إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة[(٤)].

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي عن: (...الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي فقلت له ومن هو فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وآبائي (عليهم السلام) كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين).

(٢) (... عن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يضرب بالمر ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمص النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته وأن أمير المؤمنين عليه السلام أعتق ألف مملوك من ماله وكد يده).

(٣) (...عن علي بن أسباط، عن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله عليه السلام أبي ألفا وسبعمائة دينار فقال له: اتجر بها ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في ربحها وإن كان الربح مرغوبا فيه ولكني أحببت أن يراني الله عز وجل متعرضا لفوائده. قال: فربحت له فيها مائة دينار ثم لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار. قال: ففرح أبو عبد الله عليه السلام بذلك فرحاً شديداً فقال لي: أثبتها في رأس مالي).

(٤) (...عن أبي عمرو الشيباني قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل ←

فكل هذه النصوص وغيرها تؤكد بأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا يمارسون التجارة والبيع والشراء ولكنها لم تكن تُلْهِيهِمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ).

فاطمة: (أظن أن الآية المباركة تريد أن توبخ قوماً آخرين كانت تلهيهم تجارتهم وعملهم عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فضربت بأهل البيت مثلاً لمن لا تلهيه التجارة والبيع عن دينه وفروضه تعريضاً بأناس آخرين).

خالد: (ظنك في محله يا فاطمة، فالآية المباركة مثلما فيها مدح لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك فيها توبيخ لكثير من الصحابة الذين كانت عباداتهم وفروضهم من صلاة وزكاة وذكر تتأثر بأعمالهم وتجارتهم سلباً وإيجاباً، فإذا كان عندهم عمل أو حضرت لهم تجارة تركوا صلاتهم واستخفوا بها.

والقرآن الكريم يصرح في سورة الجمعة بهذه الحقيقة المرة، ففي أثناء يوم الجمعة وبينما النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يخطب بالصحابة والناس، قدمت قافلة تجارية من الشام، وما إن سمع الصحابة والناس بخبر قدومها قاموا من مجالسهم وانفضوا وتركوا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يخطب وحده، ولم يبقَ في المسجد كما في الروايات غير علي وفاطمة وثلة أخرى من الصحابة.

وروى البخاري وغيره من المخالفين أن كثيرا من الصحابة كان يفوتهم حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويجهلون كثيرا من الأحكام الشرعية، وكانوا

في حائط له والعرق يتصاب عن ظهره فقلت: جعلت فداك أعطني أكفك، فقال لي: إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة).

يعتذرون بأن الصفق بالأسواق قد ألهاهم عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحكامه[١]).

استنتاجات مهمة من هذه الآيات المباركة

سكت الجميع لبرهة من الزمن فتكلم خالد قائلا: (لقد أوصيتكم البارحة بأن تضعوا ورقة وقلماً وتكتبوا ماذا يمكن أن نستنتج من الآيات المباركة، فتفضلوا وأسمعونا ما عندكم).

١: اتصاف المذكورين في الآية بالعصمة والكمال

فاطمة: (قد راجعت البارحة بعض المؤلفات فوجدت أن السيد عليّاً البهبهاني في كتابه «مصباح الهداية في إثبات الولاية» قد استنتج عصمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذه الآية المباركة حيث يقول: «ظهر من الآية الشريفة أن الله تعالى لم يهمل عباده، ولم يترك أرضه بغير قيم، ولم يفوض أمر الولاية والإمامة إلى اختيار الناس، بل جعل في أرضه أنواراً، نوراً في إثر نور، مطهرين معصومين، هادين مهديين، لم يكن ظلمة وكدورة، فإن التعبير عنهم عليهم السلام بنوره، وتوصيفهم بما وصفه تصريح بعصمتهم وطهارتهم، إذ لو لم يكونوا معصومين مطهرين، لتطرق إليهم ظلمة المعصية، وكدورة الجهل، والسهو، والنسيان، ولم

(١) قال البخاري في ج١ ص٣٨: (عن أبي هريرة ... ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وان إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم)، وفي ج٣ ص١٩: (باب ما ذكر في الأسواق وقال عبد الرحمن بن عوف لما قدمنا المدينة قلت هل من سوق فيه تجارة قال سوق قينقاع وقال أنس قال عبد الرحمن دلوني على السوق وقال عمر ألهاني الصفق بالأسواق).

يكونوا خالصين في النورانية، مع أنه تعالى شأنه وصفهم بكمال النورانية، ولا ينطبق ذلك إلا على مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين من ذريته سلام الله عليهم أجمعين، إذ لم يدَّعِ أحد من الأمة ادعاء النص والعصمة في شأن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الأئمة»[١]).

أسامة: (سبحان الله ما هذه الصدفة الغريبة، فانا أيضا كنت البارحة اقرأ كتاباً باسم الإمامة الإلهية وقد استنتج المؤلف العصمة أيضا من هذه الآيات المباركة، وقد كتبت كلماته وسأقرأها عليكم، فهو يقول: «قوله عزّ وجلّ: «لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاة وَإِيتَاءِ الزَّكَوة» فإن هذا المقطع من الآية المباركة يشير إلى أن هؤلاء الرجال معصومون بأعلى درجات العصمة، وهي عصمة السرّ التي هي فوق عصمة الجوارح، إذ لا يلهون برهة من حياتهم عن ذكر الله، فهم في ذكر دائم، وهذا يعني أن أولئك الرجال ثلّة خاصة في الأمة الإسلامية يتميّزون عن بقيّة المسلمين وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذين انفضّ أكثرهم من حوله وتركوه قائماً عندما سمعوا بالتجارة، كما نصّت على هذه الحادثة سورة الجمعة، وذلك في قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ». ففي الروايات لم يبقَ مع النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ اثنا عشر أو ثمانية رجال، وانفضّ الباقون إلى اللّهو والتجارة. وفي بعض الروايات لم يبقَ إلاّ علي عليه السلام. ولا شك أنه لا يوجد ثلّة معصومة في هذه الأمة غير أهل آية التطهير، الذين أذهب الله عنهم

(١) مصباح الهداية في اثبات الولاية للسيد علي البهبهاني ص٢٥٦.

الرجس وطهّرهم تطهيراً، فنالوا بذلك أعلى درجات العصمة والطهارة. وهذا يعني أن تلك الأنوار الخمسة المباركة في بيوت وأبدان طاهرة، وهم رجال معصومون من الغفلة عن ذكر الله عزّ وجلّ، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»[(١)]).

٢: ان مراقدهم أفضل شرفاً وعظمة من المساجد

محمد: (أما أنا فلم أستطع ان أكتب شيئاً غير أني استمعت البارحة إلى خطيب كانت أمي تستمع إلى خطبته من على شاشة التلفاز، وقد شد انتباهي قوله: بأن قوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يشمل قبور ومراقد أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهذه المراقد قد أذن الله سبحانه أن ترفع وتزار وتعظم وتصان، وان جميع أحكام المساجد تنطبق عليها وإنها أفضل من المساجد، وقد قال أشياء أخرى استغربتها ولم استسغها، فكيف تصير قبورهم أفضل من المساجد والمساجد بيوت الله؟!).

خالد: (في كلامك يا أخي محمد عدة أمور لابد من الوقوف عليها وإثباتها كي يرتفع عنك الشك:

الأمر الأول: هو هل يمكن أن يسمى القبر بيتا أم لا؟

فأقول نعم فقد ورد في اللغة تسمية القبر بالبيت، وقد ورد في الروايات أن القبر ينادي الإنسان كل يوم ويقول: «أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» فالقبر لغةً وشرعاً يسمى بيتاً، وإذا كان يسمى بيتا فيكون مشمولاً بالآية، لان الآية تقول: ﴿فِي

(١) الإمامة الإلهية تقرير بحث الشيخ محمد السند للسيد بحر العلوم ص١٢٠.

﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ فمثلما أبدانهم وأرواحهم وأشخاصهم مصداق من مصاديق البيوت فكذلك بيوتهم في حياتهم ومشاهدهم ومحل دفنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد استشهادهم هي مصداق آخر من مصاديق البيوت التي أمر الله سبحانه برفعها وتشريفها.

والأمر الثاني: ان أحكام المساجد تنطبق على قبور ومشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وهذا أمر وان كنت تستغرب منه إلا انه عين الحقيقة والصواب، فقد أفتى كثير من علمائنا تبعاً لهذه الآية المباركة وغيرها من الأدلة الأخرى بتطبيق أحكام المساجد أو أكثرها على مشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[(١)].

---

(١) حكم بعض الأعلام من فقهاء المذهب بإلحاق روضات قبورهم الطاهرة بالمساجد كالشيخ المفيد قدس الله روحه وابن الجنيد رضوان الله تعالى عليه ووافقهما الشهيد الأول قدس الله روحه في كتابه (ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ج١ ص٢٧٨) قائلا: (وألحق المفيد وابن الجنيد المشاهد المشرفة بالمساجد وهو حسن لتحقق معنى المسجدية فيها وزيادة).

وكذا فعل الشهيد الثاني في كتابه (روض الجنان ص٨١) قدس الله روحه حيث قال: (وألحق جماعة من الأصحاب المشاهد بالمساجد وهو حسن بل الأمر في المشاهد أغلظ لتأديتها فائدة المسجد وتزيد شرف المدفون بها).

وقد علل آقا رضا الهمداني إلحاق مشاهد الأئمة الأطهار بالمساجد في كتابه (مصباح الفقيه ج ١ ق ١ ص ٢٣٦) بقوله: (لان المشاهد من المشاعر العظام التي تشد الرحال للتشرف بها فلا يبعد دعوى كون دخول الجنب والحائض هتكا لحرمتها عند المتشرعة).

وأما علماؤنا المتأخرون فتكاد تجمع كلمتهم نصا أو احتياطا على إلحاق روضات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالمساجد، وفي هذا الصدد يقول السيد أبو القاسم الخوئي في كتابه (منهاج الصالحين ج١ ص١١٦ مسألة رقم ٤٤٢) (يلحق بالمساجد، المصحف الشريف، والمشاهد المشرفة، والضرايح المقدسة). ويقول السيد محمد سعيد الحكيم في كتابه (مصباح المنهاج ج ٣ ←

والأمر الثالث: أمحل دفنهم ومكان أضرحتهم أفضل من المسجد أم لا؟

فالجواب عليه يكمن في معرفة أمر مهم وهو ان المسجد يحتوي على قداسة المكان وعظمة الهدف الذي أسس لأجله وهو ذكر الله وإقامة شعائر الله سبحانه والذكر، أما مشاهد المعصومين ففيها كل ما سبق وزيادة.

فأهداف إيجادها وتشييدها لا تختلف عن أهداف إيجاد وتشييد المساجد، ففيها تقام الصلاة والشعائر الإلهية والذكر وبقية أعمال المساجد[١].

كما أن أرض مشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ارض مطهرة وقد نصت كثير من الزيارات الشريفة على هذه الحقيقة[٢]، ولا اعتقد ــ بحسب تتبعي ــ ان

ص ٤١٥) (والأحوط وجوبا إلحاق المشاهد المشرفة بالمساجد في الأحكام). وقال السيد السيستاني في (المسائل المنتخبة ص ٢٨ ــ ٢٩ مسألة رقم ٣٩) (المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام تلحق بالمساجد على الأحوط ولا يلحق بها أروقتها...كما لا يلحق بها الصحن المطهر وإن كان الإلحاق أحوط).

(١) بل هي أفضل من كل المساجد التي أسست في عصرنا الحالي بل وحتى العصور المنصرمة، فكم نرى اليوم وكم نقرأ في كتب التاريخ عن مساجد أسست لغير التقوى يحرض فيها على هدر دماء المسلمين وبالخصوص الشيعة، وعلى زرع التفرقة والتحريض وإقامة البدع من صلاة التراويح وغيرها، فمساجد بهذا الشكل وبهذا الوصف لا تقارن أصلا بمشاهد أئمتنا وما يقام فيها من ادعية ومناجاة ومجالس تهدف إلى إعلاء شأن أهل البيت عليهم السلام.

(٢) قد ورد في كتاب المزار للشهيد الأول ص١٤٤ زيارة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه جاء فيها: (...اشهد انك طهر طاهر مطهر من طهر طاهر مطهر طهرت وطهرت بك البلاد وطهرت ارض أنت بها وطهر حرمك...). وورد نفس هذا المعنى في زيارة الشهداء من أصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ففي كتاب المزار أيضا ص١٧٦ جاء في حقهم: (بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم والله فوزا عظيما) والروايات في هذا المعنى كثيرة.

هنالك روايات تنص على أن أرض المساجد قد وصفت بأنها طيبة طاهرة[١].

وإضافة إلى قداسة المكان وقداسة الهدف الذي تشترك فيه أضرحة المعصومين ومشاهدهم مع سائر المساجد، فإنه يوجد في المشاهد المكرمة مزيّة لا تحتويها المساجد وهي قداسة الشخص المدفون في تلك الأضرحة الشريفة، فإن فيها أجساداً لو وزنت بالكونين لرجحت، وان فيها أعضاءً أفضل من الكرسي والعرش والجنة وما فيها والأرض وما عليها).

انتبه خالد إلى محمد وهو يهز برأسه متأسفاً وهو يردد: (أستغفر الله ربي وأتوب إليك).

فقال له خالد: (مالي أراك متأسفاً مستغفراً كأنك سمعت كلمة كفر أو رأيت شيطاناً؟!).

محمد: (أعتقد يا أخي أن تفضيلك لأجساد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتربتهم ومحل مشاهدهم وأضرحتهم على الكرسي والعرش والجنة والسماوات وما فيها والأرض وما عليها ليس بصائب، ولعل في كلامك مبالغة لو سمع بها مخالفونا لانتقدونا ولشنعوا علينا، وأنا أعذرك يا أخي فلعل الحماس قد أخذ بقلبك وتكلمت بما تكلمت فأنا أعرف بأنك محب ومقدس لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسأستغفر الله سبحانه بالنيابة عنك).

(١) بل قد رأينا ان كثيرا من المساجد في عصرنا هذا والعصور السابقة تبنى على أرض مغصوبة تؤخذ من الناس قهرا، وقد رأينا أيضا مساجد تتخذ مركزا لاختطاف الناس وتعذيبهم وذبح الأبرياء من شيعة وأتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام وأشياء أخرى يندى لها الجبين.

كان خالد يتبسم في وجه محمد في أثناء كلامه، وما إن انتهى من كلامه حتى قال له: (أشكرك يا أخي على استغفارك لي بالنيابة فالاستغفار حسن على كل حال، ولكني يا أخي لم أقل إلا الحق وما قام عليه الدليل، ولم تأخذني الحماسة ولا هم يحزنون، ولم يكن في كلامي مبالغة، وأما كلام المخالفين وتشنيعهم علينا فلا يهمنا، لأنهم يشنعون علينا على كل حال سواء قلنا بهذا القول أو لا، وأريد أن أزيدك علما ان المخالفين أنفسهم يعتقدون بأن أعضاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وجسده وتربته التي دفن فيها أعظم من العرش والكرسي والجنة وما فيها والأرض وما عليها).

محمد: (أنا أثق بك يا أخي خالد، ولكن قلبي لن يطمئن حتى أرى بعض أقوال المخالفين، لأني استغرب من قولهم بأن جسد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأعضاءه أفضل من العرش والكرسي والجنة وما فيها والأرض ومن عليها).

أخرج خالد دفترا كان معه في الحقيبة وجعل يقلب صفحاته، وبعد دقيقة أخرج قلماً وكتب شيئاً وأعطاه إلى أسامة وقال له: (اذهب يا أخي إلى أمينة المكتبة وائت لنا بهذا الكتاب جزاك الله خيراً).

لم يغب أسامة طويلا حتى عاد وهو يمشي بخطوات سريعة وبيده كتاب ضخم، فلما وصل وضعه أمام خالد ومن ثم جلس في مكانه، فشكره خالد، وفتح خالد الكتاب وجعل يقلب صفحاته تارة وتارة يذهب إلى الفهرست حتى وجد خالد ضالته فقال: (ان هذا المؤلف قد جمع في كتابه أكثر من ثلاثين قولا من أقوال علماء أهل السنة التي تجمع كلها على ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أفضل

من جميع الخلق حتى الكرسي والعرش والجنة وما فيها وان محل دفنه الشريف أفضل كذلك من جميع ما في السماوات والأرض، وأنا سأختار لكم عدة أقوال وأقرأها عليكم:

١: قال ابن القيم: « قال ابن عقيل: سألني سائل أيما أفضل حجرة النبي أم الكعبة؟ فقلت: إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل، وإن أردت وهو فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح»[(١)].

٢: وقال الخفاجي: «قال القاضي عياض اليحصبي في كتابه الشفا «ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض» ـ فعلَّق عليه الشيخ الخفَّاجي بقوله ـ: بل أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي رحمه الله»[(٢)].

٣: وقال الحصفكي الحنفي: «لا حرم للمدينة عندنا ومكة أفضل منها على الراجح إلا ما ضم أعضاءه عليه الصلاة والسلام فإنه أفضل مطلقا حتى من الكعبة والعرش والكرسي»[(٣)].

٤: وقال السخاوي: « مع الإجماع على أفضلية البقعة التي ضمته صلى الله عليه وسلم، حتى على الكعبة المفضلة على أصل المدينة، بل على العرش، فيما

---

(١) راجع بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص٦٥٥.

(٢) نسيم الرياض للشيخ الخفاجي ج٣ ص٥٣١ونقل عن ابن عبد السلام مثل ذلك.

(٣) الدر المختار للحصفكي الحنفي ج٢ ص ٦٨٩.

صرح به ابن عقيل من الحنابلة. ولا شك أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف مما سواها من الأرض والسماء، والقبر الشريف أفضلها، لما تتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، التي لا يعملها إلا مانحها، ولساكنه عند الله من المحبة والاصطفاء ما تقصر العقول عن إدراكه»[١].

فهذه يا أخي محمد بعض أقوالهم وهي واضحة لا تقبل الشك ولا الترديد فهل اقتنعت بهذا أو أزيدك؟).

محمد: (نعم اقتنعت جزاك الله خيراً ولكن ألا يمكن للمخالفين أن يقولوا ان هذا الأمر يختص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجري على بقية العالمين؟!).

خالد: (لا أعلم يا أخي لماذا هذا التأكيد من قبلك ومن قبل الأخ أسامة على مراعاة رضا المخالفين وعدم رضاهم، فهذا شعور بالنقص، وينبغي علينا أن نتخلص منه، فنحن لدينا عقائدنا ومتبنياتنا الفكرية وهي صحيحة قطعا سواء وافقت آراء المخالفين أو خالفتهم، فيجب أن نروض أنفسنا على قبول روايات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتصديقها من دون سؤال عن رأي الآخرين واعتقاداتهم، ومع ذلك فيوجد عندي جواب لسؤالكم، ونحن قد ذكرناه في السابق ولكنه غاب عن ذهنك أو لعلك نسيته.

فقد ذكرنا سابقا ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سواسية في مسألة التقديس والتكريم، فبعضهم من بعض، فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه نفس النبي بنص آية المباهلة، وفاطمة صلوات الله وسلامه عليها

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي ص١٢.

بضعته بشهادة صحاح أهل السنة، والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما منه وهو منهم، والجزء يأخذ حكم الكل، والبعض يأخذ حكم البعض الآخر، وعليه فكل ما قيل عن قداسة بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتربته جارٍ في بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل جارٍ في مطلق أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهو منهم وهم منه[(1)]).

٣: لا يتم إيمان المؤمن حتى ينقاد لأهل هذا البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

أنهى خالد كلامه وتناول قدحا من الماء فشربه مسميا باسم الله وذاكرا لعطش الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فلما أكمل قال: (إذا لم يكن لديكم سؤال آخر أو استنتاج جديد فاسمحوا أن أقول ما عندي كي ننصرف اليوم مبكراً، لان لدي عملاً مهماً يجب أن أنجزه).

فقال الجميع: (تفضل).

خالد: (بعد أن ثبت لدينا أنّ الرجال المذكورين في الآية مطهرون معصومون، هادون مهديون، لا تتطرق إليهم ظلمة المعصية، وكدورة الجهل، والسهو، والنسيان، فانه يثبت أيضا وجوب رفعهم وإعلاء أمرهم عملا بقوله سبحانه: « أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» لان من يأذن الله سبحانه برفعه يجب على الناس رفعه أيضا، ومن مصاديق الرفع تقديمهم على غيرهم في الطاعة والإتباع، وهذه الآية

---

(١) والى هذا المعنى تشير الزيارة المشهورة المروية في كامل الزيارات لجعفر بن قولويه ص٣٦٩ حيث جاء فيها: (...اشهد ان أرواحكم وطينتكم طينة طيبة، طابت وطهرت هي بعضها من بعض...). وفي ص٤٠٧: (وأشهد أن أرواحكم وطينتكم طينة طيبة، طابت وطهرت بعضها من بعض من الله ومن رحمته).

لوحدها وبغض النظر عن أي دليل آخر كافية في الدلالة على ان الإيمان لا يتم ولا يكتمل إلا بالأخذ عن هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع.

ولو لم يوجد نص على إمامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا هذه الآية لكفى، فإن العاقل لو خير بين شخصين أحدهما قضى أكثر عمره في عبادة الأصنام والشرك وبعد إسلامه فانه يعصي وغير معصوم ويجهل أكثر الأحكام ومسائل الشريعة، ويحتاج إلى الهداية في كل حال من أحوال حياته، وبين شخص آخر شهد الله له في هذه الآية بأنه نور طاهر مطهر لا تتطرق إليه كدورة المعصية ولا ظلمة الجهل ولا يطرأ عليه السهو والنسيان، قد تكفل الله برفع قدره وإعلاء شأنه، فإن أي عاقل لو خير بين هذا وذاك فانه سيختار وبلا أدنى تردد النور الطاهر المطهر المعصوم، ولو اختار المكلف غير هذا الشخص فسيكون ممن لا عقل لهم ومن الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله: « لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»[1]).

أكمل خالد كلامه فقال وهو يلملم أغراضه ويتهيأ للقيام والمغادرة: (الآن أكملنا البحث عن الدليل السابع من أدلة تفضيل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها واعذروني على الاستعجال فإني سأذهب مع زوج أختي إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوصات لغرض الاطمئنان من عدم رجوع المرض إليه مرة أخرى، وبعدها سأرجع إلى البيت لجمع أغراضي لأني سأعود إلى النجف غدا أو بعده إن شاء الله سبحانه).

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٧٩.

صاح أسامة: (لا يا أخي ما هذا القرار المتسرع؟ ولماذا ستذهب؟).

ابتسم خالد وقال وهو يقوم من كرسيه: (سنتحدث عن هذا لاحقاً يا أخي والآن علي الذهاب لأن موعد الطبيب قريب جداً).

انصرف خالد وفاطمة سريعا بعدما ودعا الجميع وبقي أسامة ومحمد جالسين يتحدثان عن هذا القرار المفاجئ لعودة خالد إلى النجف، وبعد مدة من الأخذ والرد قاما وتوجه كل منهم إلى بيته.

تغيير في أسلوب الحوار وطريقته

بقي أسامة عامة وقته مشغول البال بخبر عزيمة خالد على الرحيل، فلما لم يستطع صبراً ذهب إلى بيت خالد بعد صلاة العشاء، طرق الباب وانتظر بعيداً، خرج خالد، فلما نظر إليه عرف سبب زيارته، فصاح عليه ودخل وإياه إلى الحديقة، جلسا، فقال خالد: (أعرف سبب زيارتك).

أطرق أسامة برأسه استحياءً، ثم قال: (لا أعلم بالحقيقة سبب عزمك على الذهاب هكذا مبكراً).

ضحك خالد وقال: (ليس مبكرا يا أخي، فقد صار لنا مدة طويلة هنا، ونحن قد جئنا إلى هنا لسبب معين أنت تعرفه، وقد زال السبب الآن ولله الحمد، فلابد أن نرجع إلى بيتنا والى إكمال الدرس فقد مضى علي وقت طويل منذ أن تركته، وها هي الامتحانات على الأبواب ولابد لي أن أشارك فيها، والمشاركة تحتاج إلى وقت ومراجعة وقراءة ومباحثة، فوقتي ضيق للغاية).

وبينما خالد يتكلم دخل من باب البيت والد فاطمة ووالدتها فسلما على خالد وأسامة ودخلا إلى البيت سريعاً، فعاد خالد إلى حديثه قائلاً: (ثم وحتى لو أنا بقيت ففاطمة لا تستطيع أن تبقى).

فقاطعه أسامة بصوت مرتبك: (لماذا؟ وما السبب؟) فأحس أسامة بأنه تحمس قليلا في سؤاله وبأنّ علامات الاهتمام والتأسف بدت واضحة جداً في أسلوب سؤاله فخجل، وتدارك الموقف بقوله وبهدوء: (لعل أختنا فاطمة ستذهب بعدما عرفت بأنك عازم على الرحيل؟!).

خالد: (كلا، فالأمر لا يتعلق بنيتي في العودة، فأنت ترى بأن والدي فاطمة قد حضرا إلى البيت اليوم وهما مصران على أن تعود فاطمة معهما).

عاد أسامة إلى حماسه قائلا: (لكنها لم تكمل البحث) ثم عاد وانتبه لنفسه وقال: (أقصد كلنا لم نكمل البحث وكنا ما نزال نستفيد أمراً جديداً كل يوم).

خالد: (ان ذهابنا يا أخي الكريم كل إلى بيته لا يعني ان البحث سينقطع أو ينتهي).

أسامة: (أنا لا أفهمك يا أخي، فمن جهة تقول إنك وفاطمة ستسافران كل إلى بيته، ومن جهة أخرى تقول ان بحثنا سيستمر، فكيف يكون ذلك؟).

ضحك خالد وقال: (أقصد ان العالم اليوم أصبح مثل القرية الصغيرة وبإمكان أي واحد من الناس أن يتكلم ويناقش مع أي أحد في العالم وهما جالسان في بيتهما، وكل منهما يسمع ويرى الآخر بواسطة الانترنت، فهل فهمت الآن؟!)

ضحك أسامة وقال: (الآن فهمت قصدك، فالحوار سيستمر ولكن عن طريق الانترنت، ولكن أنا ليس عندي خط انترنت، ويقولون ان الخطوط ضعيفة في بعض الأحيان).

خالد: (وماذا نفعل فنحن بين خيارين فإما أن نستمر بالحوار بهذه الطريقة ونتحمل سوء خدمة النت وأما أن ننهي الموضوع وكل واحد منا يذهب إلى حال سبيله).

أسامة: (كلا، كلا، نتحمل سوء خدمة النت ولا نتحمل إنهاء البحث).

خالد: (لكن يوجد أمر آخر أريد تذكيرك به، وهو ان فاطمة لم يبق لها وقت على تقديمها للبحث، وعليه فسوف نستعجل في بحثنا أكثر وسنختصر على إيراد أكبر عدد ممكن من الأدلة مع عدم الإسهاب في بحثها بحثا معمقا كما كنا نفعل من قبل، وسنشارك كلنا في هذا الأمر، بمعنى ان كل واحد منا نحن الأربعة سيأتي بما يستطيع من الأدلة ومن ثم نطرحها ونناقش ما يمكن مناقشته منها).

أسامة: (ولكن فائدة الحوار ستقل، ونحن قد عزمنا ومنذ البداية على مناقشة كل دليل بشكل شامل).

خالد: (ليس الأمر بأيدينا، وكما قلت ففاطمة وقتها ضيق ويجب عليها تقديم رسالتها للمصادقة عليها ومناقشتها).

أسامة: (حسنا، فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم).

نهض أسامة من مكانه واعتذر عن الإطالة في الجلوس وودع كل منهما

الآخر بعد أن تبادلا عنوان البريد الالكتروني، وخرج أسامة إلى بيته على أمل اللقاء في وقت لاحق، ولكن هذه المرة عن طريق الانترنت.

تجدد اللقاء واستئناف البحث

مرت عشرة أيام منذ أن سافر خالد إلى النجف، كان خالد مشغولا فيها بامتحاناته، وقد استطاع أسامة ومحمد في هذه الأيام من تهيئة لوازم الاتصال ومقدمات اللقاء، إضافة إلى بعض المعلومات التي سيتم نقاشها في جلسات الحوار، وفي ليلة رن هاتف أسامة فظهر اسم خالد على صفحة الجوال، فتح أسامة الخط وبعد تبادل السلام والأشواق أخبره خالد بأنه قد نجح في بعض دروسه وأجل بعضها الآخر ريثما يستعيد معلوماته ويقرأ ما قد فاته في الأيام السابقة، وقبل أن يقفل الخط أخبره بأن اللقاء والبحث سيبدأ بالطريقة المتفق عليها غداً مساءً، فعليه أن يتواجد هو ومحمد في تمام الساعة التاسعة، وبعد إنهاء خالد مكالمته، اتصل أسامة بمحمد وأخبره باتصال خالد وما تم الاتفاق عليه وشدد عليه أن يتواجد على النت في الوقت المحدد.

بعض فضائلها عليها السلام السببية والنسبية

مضت الساعات سريعا وجاءت الساعة التاسعة، فدخل أسامة إلى الموقع الذي تم الاتفاق عليه، فوجد خالداً قد حضر، سلم عليه وتبادلا الأخبار، وبعد مدة قصيرة انضمت إليهما فاطمة ومن ثم محمد، فلما اكتمل العدد، كتب خالد: (فلنتوكل على الله سبحانه ولنبدأ ما دام عددنا قد اكتمل). فكتب الجميع موافقون.

خالد: (الآن أخبروني ماذا جمعتم في هذه الأيام العشرة الأخيرة؟ وهل عندكم أدلة جديدة)؟

أسامة: (بالحقيقة أنا فكرت بأدلة أرجو أن تكون صحيحة، فليتكم تسمحون لي بأن ابدأ بالحديث).

خالد: (تفضل وابدأ).

أسامة: (أنا فكرت أن بإمكاننا الاستفادة من روايات تفضيل الإمام أمير المؤمنين والحسنين والسيدة خديجة وحمزة سيد الشهداء وجعفر بن أبي طالب والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تفضيل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على بقية العالمين).

محمد: (بالنسبة لي لم أفهم شيئاً فليتك توضح أكثر).

أسامة: (قد قرأت في أثناء ذهابي إلى المكتبة في كتاب فيض القدير ان للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها نوعين من الفضائل؛ فضائل بالذات، وفضائل بالاتصال[1]، وفيما سبق كنا نتحدث عن جملة من فضائلها بالذات، أي ما تتمتع به ذاتها المقدسة من فضائل بغض النظر عن أي طرف خارجي، وبمعنى آخر كنا نتحدث عن الزهراء بما هي هي، لا بما هي بالنسبة إلى الآخرين أو نسبة الآخرين إليها.

وأنا الآن أريد أن استدل على أفضليتها صلوات الله وسلامه عليها على جميع البشر عن طريق فضائلها بالاتصال، لان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تميزت عن غيرها بفضائل سببية ونسبية لم تتسنَّ لأحد آخر من البشر).

فكتب محمد مرة أخرى: (إذا ممكن تبسط كلامك أكثر لأني لم أفهم قصدك بالضبط وخصوصا هذه العبارة «الزهراء بما هي هي» ولا أدري أين تعلمتها؟).

خالد: (إذا سمح لي الأخ أسامة بتبيان المقصد أكن من الشاكرين).

أسامة: (تفضلوا).

خالد: (لو ان أحد الأشخاص كان مشهوراً بين الناس بالعلم أو الشجاعة أو الكرم، فان لهذه الصفات ـ العلم والشجاعة والكرم ـ فائدتين:

الأولى شخصية: فحينما يعددون فضائل ذلك الشخص يقولون فلان شجاع

(١) قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٤ ص٥٥٥: (وفاطمة فضيلتها بالذات والاتصال وكذا سائر أولاده...).

ومن أهل العلم وهو كريم أيضا، وهذا ما يسمى بالفضائل الذاتية.

والثانية عامة: لكل مقربيه وأصدقائه وأهل بيته، فابن العالم يفتخر على الناس بأنه ابن العالم أو الشجاع أو الكريم الفلاني، وكذلك يفتخر صديق الكريم والشجاع والعالم على بقية الناس، وكذلك تفتخر عشيرة ذلك الشجاع أو العالم أو الكريم على باقي العشائر بأن ذلك الشجاع أو الكريم أو العالم من أفرادها، وهذا ما يسمى بالاتصال، فكل من يتصل بالعالم أو الكريم أو الشجاع بسبب أو بنسب يفخر على غيره ممن ليس لهم هذا الاتصال السببي أو النسبي، فهل فهمت الآن؟).

محمد: (نعم، صار الأمر واضحا الآن، شكرا لك).

خالد: (تفضل يا أسامة وأكمل كلامك لان فيه التفاتة مهمة ونوعاً آخر من الأدلة).

أسامة: (شكرا لكم أخي خالد، وأنا من هذا المنطلق كتبت عدة أشياء سأطرحها وإذا كان عند أي واحد منكم إضافة أو تعليق على ما سأذكره فارجو أن لا يبخل بها علينا إتماما للفائدة).

الدليل الثامن من أدلة تفضيلها عليها السلام؛ ليس لأحد من البشر أب كأبيها وزوج كزوجها صلوات الله وسلامه عليهما

توقف أسامة عن الكتابة لدقيقة ونصف تقريبا، فكتب خالد: (أين صرت يا رجل فنحن في الانتظار، هل انقطع عندك الخط أم ماذا؟!).

أسامة: (أعتذر عن التأخير فقد كنت أخرج أوراقي، وأريد أن أبدأ بأول وأهم فضيلة من فضائلها النسبية والسببية، وهي كونها صلوات الله وسلامه عليها ابنة سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وزوجة أفضل البشر بعد النبي الأعظم صلى الله عيه وآله [1].

---

(١) ويدل على أفضليته على جميع البشر حديث الطائر المشوي، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٤: (أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو الحسين بن الأبنوسي أنا أبو الحسن الدارقطني نا محمد بن مخلد بن حفص نا حاتم بن الليث نا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر القارئ عن السدي نا أنس بن مالك قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيار فقسمها وترك طيرا فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي بن أبي طالب فدخل يأكل معه من ذلك الطير) وهو حديث صحيح الإسناد.

فهذه فضيلة لا يشاركها فيها نبي ولا وصي ولا ملك مقرب، فليس في آباء الأنبياء والأوصياء والصحابة مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي أفضل منهم جميعا بهذا الاعتبار، وكذلك ليس في نساء العالمين من لها زوج كزوجها صلوات الله وسلامه عليها، فأفضليتها على سائر البشر نساءً ورجالاً بجمعها لأفضل أب وأفضل زوج في وقت واحد).

فقال خالد: (صحيح ما تقول يا أخي، وأنا أتذكر عدة محاورات لعدة أئمة عليهم السلام، استعملوا فيها هذا النوع من التفضيل، منهم الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه في مجلس معاوية[1]، ومنهم الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه في مجلس يزيد بن معاوية بعد سبيهم إلى الشام[2]، فكلهم كانوا يؤكدون على أنهم

(١) روى الشيخ الصدوق في الأمالي ص٢٤٥: (ولقد قيل لمعاوية ذات يوم: لو أمرت الحسن بن علي بن أبي طالب، فصعد المنبر فخطب ليتبين للناس نقصه. فدعاه فقال له: اصعد المنبر وتكلم بكلمات تعظنا بها. فقام عليه السلام فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن خير خلق الله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقي، أنا وأخي الحسين سيدا شباب أهل الجنة، أنا ابن الركن والمقام، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المشعر وعرفات...أنا إمام خلق الله، وابن محمد رسول الله، فخشي معاوية أن يتكلم بعد ذلك بما يفتتن به الناس، فقال: يا أبا محمد، انزل فقد كفى ما جرى، فنزل).

(٢) روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج٤٥ ص١٣٩: (ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس أعطينا ستا وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمدا، ومنا ←

→ الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه سمح، سخي، بهي، بهلول، زكي، أبطحي، رضي، مقدام، همام صابر، صوام، مهذب، قوام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكي مدني خيفي عقبي بدري أحدي شجري مهاجري، من العرب سيدها ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة...).

ينفردون ويتميزون عن جميع البشر بارتباطهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وبأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه).

أسامة: (ويمكن أن نشتق من هذه الفضيلة فضائل كثيرة لا انتهاء لها، ككونها ابنة خير خلق الله، وانها ابنة صاحب المعجزات والدلائل، وانها ابنة من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وانها ابنة من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، وانها ابنة من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، وأنها ابنة من صلى بملائكة السماء، وأنها ابنة من أوحى إليه الجليل ما أوحى، إلى آخره، فجميع فضائل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله يمكن أن تكون فضائل لها أيضا بسبب البنوة.

وكذلك يمكن ان تكون جميع فضائل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فضائل لها في نفس الوقت، فيمكن ان نشتق لها مثلا انها زوجة علي المرتضى، ومن ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، وزوجة من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، وزوجة صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، وزوجة من قاتل المارقين والناكثين والقاسطين، إلى آخر ألقاب وفضائل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فكلها فضائل لها أيضا).

محمد: (لقد عودتمونا أن تعطونا رواية صحيحة على كل دليل نستدل به

فأين الدليل على هذه الفضيلة؟).

فاطمة: (هذا الدليل لا يحتاج إلى رواية لأنه بديهي من شريعة الإسلام، فليس من المسلمين أحد يشك في ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أفضل البشر وأفضل ما خلق الله، وقد مرت علينا فيما سبق أقوال أهل السنة قبل الشيعة بأنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من العرش والكرسي ومن الجنة وما فيها ومن كل شيء خلقه الله سبحانه.

وكذلك لا يوجد شخص شيعي يشك في ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل الخلق بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وانه أفضل من الملائكة ومن العرش والكرسي أيضا.

بل ان هذا المعنى موجود حتى عند أهل السنة لو كانوا ينصفون، لان رواياتهم تجمع على ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس النبي الأعظم بنص آية المباهلة، وان القرآن قد أثبت له المثلية والمطابقة مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء النبوة).

أسامة: (مع أن ما قالته أختنا فاطمة صحيح ومعتبر، إلا أن الروايات لم تغفل عن هذا الأمر، فحينما كنت أقرأ في المكتبة قبل أيام، قرأت أحاديث تدل على ان واحدة من فضائل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي كونها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزوجة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد أخرج السنة والشيعة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها: «أَمَا تَرْضَيْنَ يَا فَاطِمَةُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

اخْتَارَ مِنْ أهل الأَرْضِ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُوكِ وَالآخَرُ زَوْجُكِ»[1] وهذا يفي بالغرض كما أعتقد).

خالد: (بلى يفي أحسنتم).

محمد: (أسامة قال: ان كون السيدة الزهراء هي ابنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي فضيلة تنفرد بها على جميع الرجال والنساء، وكذلك زواجها من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فضيلة تمتاز بها على جميع نساء العالمين، ولكني أرى أن هنالك من يشارك السيدة الزهراء بهذه الفضيلة، فبنات النبي الأخريات يشاركن السيدة الزهراء بالبنوة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لان الزواج من النبي أعظم فضلا من الزواج من أمير المؤمنين لان النبي الأعظم أفضل والزواج من الأفضل أفضل أيضا، وكذلك يشاركها في الفضل بقية زوجات الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فكلهن قد اقترن من أمير المؤمنين كما اقترنت هي منه صلوات الله وسلامه عليها).

خالد: (يبدو أنك اليوم غير مركز معنا بشكل جيد، لأن الأخ أسامة كان دقيقاً في كلامه، لأنه قال: إن أفضليتها على سائر البشر نساءً ورجالاً بجمعها

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج١١ ص٧٧) (مُحَمَّدُ بْنُ جَابَانَ الْجُنْدِيسَابُورِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْمَرِيُّ ، قالا: ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: لَمَّا زَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلِيًّا، قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَوَّجْتَنِي مِنْ رَجُلٍ فَقِيرٍ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَا تَرْضَيْنَ يَا فَاطِمَةُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ مِنْ أهل الأَرْضِ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُوكِ وَالآخَرُ زَوْجُكِ). الحكم: إسناده حسن ورجاله ثقات عدا الحسن بن علي المعمري وهو صدوق حسن الحديث.

لأفضل أب وأفضل زوج في وقت واحد، وبإمكانك أن ترجع إلى ما كتبه الأخ أسامة سابقاً، ولا توجد واحدة من اللاتي ذكرتهن قد جمعت أشرف أب وأشرف زوج في وقت واحد سواها صلوات الله وسلامه عليها).

محمد: (أعتذر فلم أنتبه لهذا الأمر بشكل جيد، لأني لم أعتد بعد على النقاش عبر الانترنت فكل عمرنا نناقش وجها لوجه).

الدليل التاسع من أدلة تفضيلها عليها السلام؛ ليس لأحد من البشر ولدان هما سيدا شباب أهل الجنة سواها وسوى عليها السلام

أسامة: (ومما فضلت به على جميع العالمين أنّ ابنيها الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما سيدا شباب أهل الجنة[1]، فلم يرد في حق أولاد أحد من الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصحابة بأن أولاده سادة شباب أهل الجنة، فهي أفضل من جميعهم بهذا الاعتبار، ولا يشاركها في هذا الفضل سوى زوجها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه)[2].

١: ما رواه احمد بن حنبل في مسنده قال: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْد اللَّه الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مَرْدَانُبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نُعْمٍ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أهل الْجَنَّة) والحديث صحيح وجميع رجاله ثقات.

وما رواه النسائي في السنن الكبرى: (أخبرنا عمرو بن منصور قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا يزيد بن مردانبة عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وهذا أيضا حديث صحيح وجميع رجاله ثقات.

(٢) يوجد تفصيل مهم حول حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) في كتاب (فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين) للمؤلف، وفيه بيان لمحاولات المخالفين المستمرة قديما وحديثا لتدمير هذه الفضيلة وتحطيمها بشتى الوسائل والحيل.

خالد: (يجب أن نضيف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى كل من السيدة الزهراء والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما، فقد ورد في أحاديث كثيرة من الفريقين أن النبي كان يطلق على الإمامين الحسن والحسين لقب أولادي[١]).

فاطمة: (والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على حسب هذا الدليل أفضل حتى من بقية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم، لأنه لم يرد في حق واحد منهم أن أبناءه سادة شباب أهل الجنة).

خالد: (نعم أحسنتم هذه التفاتة جميلة ومهمة).

محمد: (أريد أن سألكم سؤالا ولكني خجلان وأخاف أن تفهموني خطأ وتردوا علي بقوة وغلظة).

خالد: (قل ما في نفسك فقد تعودنا على أسئلتك (التعبانة)).

محمد: (إذا قلنا إن كل واحد له امتياز لا يشاركه فيه أحد من الأنبياء والمرسلين فهو أفضل منهم، فإن أبي أفضل من الأنبياء والمرسلين، لأنه يملك سيارة والأنبياء لا يملكون سيارات، فهل هذا صحيح؟!).

---

(١) عن المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٦٦: (أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي ثنا أبو جعفر محمد بن علي الشيباني بالكوفة حدثني أبو الحسن محمد بن الحسن السبيعي ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا الأعمش عن إبراهيم عن أبي ظبيان عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الحسن والحسين ابناي من أحبهما أحبني ومن أحبني أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار * هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

أسامة: (أستغفر الله ما هذا الكلام يا رجل؟! إذا لم يكن عندك كلام مفيد فاقترح أن تسكت أفضل، فالسكوت من ذهب).

محمد: (ألم أقل لكم إنكم ستفهموني بشكل خاطئ وستردون علي بغلظة).

خالد: (على مهلك يا أسامة، فأخونا محمد في قلبه شبهة يجب ردها بالمنطق والعقل وإلا تركت في نفسه أثرا سيئاً).

محمد: (هذا هو الكلام الصحيح والآن ساعدني في رد هذه الشبهة فقد دخل الشيطان في قلبي).

خالد: (الأشياء التي نبحث عنها منذ بداية جلساتنا هي الفضائل، ولكي يكون الشيء فضيلة يجب أن يحكم الله سبحانه بأنه فضيلة، والدين قد حكم بأفضلية بعض الأشياء ولم يحكم بالأفضلية على بعضها الآخر.

فعلى سبيل المثال قد حكم الله سبحانه بالفضيلة على التقوى والصبر والعبادة وغير ذلك من الصفات والأفعال، بينما لم يحكم بأفضلية امتلاك الإنسان لكثرة المال وكثرة الأولاد وقوة العضلات وأشباه هذه الأمور الدنيوية، بل قد وردت آيات كثيرة تنص على أن هذه الأمور هي من زينة الحياة الدنيا ومن الأمور التي يبتلي بها الله سبحانه بعض عباده.

فكم من كافر كان أكثر أموالاً من الأنبياء، وكم من كافر كان أكثر أولاداً من الأنبياء، او كان يملك من الخيل والبغال والبيوت أكثر من أنبياء زمانه، لكن لا نجد أحداً من العقلاء عدّ هؤلاء الأغنياء أفضل من الأنبياء.

إذن فالفضل والتفاضل المعتد به شرعاً يجب أن يكون في الأمور التي عدّها الله سبحانه فضائل لا مطلق الزيادة والفضل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكون أبيك يملك سيارة أو دراجة نارية لا يجعله أفضل من الأنبياء والعياذ بالله، لأنه ليس في امتلاك السيارة فضيلة عند الله سبحانه، وهي من زينة الحياة الدنيا التي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً عند الله سبحانه.

ولو كان كلامك صحيحا لكان كثير من الكفار واليهود أو غيرهم من عبدة البقر والأوثان أفضل من أبيك، لان أباك يملك سيارة واحدة وقديمة، وبعضهم يملك اثنتين وبعضهم يملك عشرة بل وبعضهم يصنع السيارات فيملك ملايين السيارات فهم أفضل من أبيك بملايين المرات فهل تقبل بهذه النتيجة؟).

محمد: (بالطبع لا أقبل، فأبي أفضل من كل كافر على الأرض فعلى أقل التقادير هو مسلم موحد ومواٍل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

خالد: (أحسنت، فكذلك الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل من أبيك ومن كل البشر بما فضلهم الله سبحانه، والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل منهم، لأنها زادت عليهم في الفضائل التي هي عند الله معتبرة لا لكونها تمتلك سيارة أو مصنعاً، فهل فهمت الآن؟).

محمد: (نعم فهمت جزاك الله خيرا).

فاطمة: (إضافة إلى ما قلته يا خالي العزيز فنحن نتكلم حول فضائل تنفرد بها السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على جميع البشر، وامتلاك سيارة أو طيارة ليس داخلا في موضوعنا فملايين الأشخاص يمتلكون السيارات والدراجات وغير ذلك

من وسائل النقل العصرية، فهي امتيازات عادية يشترك فيها أغلب الناس ولا تدخل في بحثنا).

أسامة: (ويمكن لنا أيضا ان نشتق من هذه الفضيلة فضائل كثيرة لا انتهاء لها، فجميع فضائل الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما هي فضائل لها أيضا، كأم سيد الشهداء، وأم ريحانتي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[1]، وأم من حبهما حب النبي وبغضهما بغض النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2]، وغير ذلك من فضائلهم صلوات الله وسلامه عليهما).

---

(١) راجع الكافي للشيخ الكليني ج٦ ص٢: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد الصالح ريحانة من الله قسمها بين عباده وإن ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين، سميتهما باسم سبطين من بني إسرائيل شبرا وشبيرا).

وعن الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩ ص١٨١: (وعن سعد - يعنى ابن أبي وقاص - قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين يلعبان على بطنه فقلت يا رسول الله أتحبهما؟ فقال ومالي لا أحبهما وهما ريحانتاي؟!. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح).

(٢) راجع سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني ج١ ص٥١: (حدثنا علي بن محمد . ثنا وكيع، عن سفيان، عن داود بن أبي عوف أبي الجحاف، وكان مرضيا، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني. في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات).

الدليل العاشر من أدلة تفضيلها عليها السلام؛ أنها وأمها سيدتا نساء أهل الجنة

أسامة: (ومما يفضلها صلوات الله وسلامه عليها على جميع نساء العالمين كونها وأمها خديجة صلوات الله وسلامه عليها سيدتي نساء أهل الجنة، وهي فضيلة ارتفعت بها على سائر الصحابيات وسائر النساء من تقدمها ومن تأخر عنها إلى يوم القيامة، فلم يجتمع لبنت وأمها لقب سيدة نساء أهل الجنة إلاّ للسيدة الزهراء وأمها خديجة صلوات الله وسلامه عليهما).

خالد: (أحسنت أخي أسامة وقد ورد في وصفهما بسيدتي نساء أهل الجنة أحاديث صحيحة عند المخالف قبل الموالي، وقد اعترف عدة علماء بصحة هذه الأحاديث[1]

---

(١) أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩ ص٢٢٣ حديثا اعترف بصحته قائلا: (وعن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم في الأرض أربعة خطوط فقال أتدرون ما هذا؟ فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم ومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون. رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح).

وروي في مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٣٩١: (حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّد حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ مَيْسَرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم قَالَ فَقُلْتُ لَهَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي قَالَ فَقُلْتُ لَهَا دَعِينِي فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ ثُمَّ لا أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى النَّبِيُّ صلى الله ←

...).[١]

محمد: (أليست مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم سيدتي نساء أهل الجنة أيضا فكيف تقول إن هذه الفضيلة تنفرد بها السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

خالد: (وقعت يا أخي محمد في نفس الخطأ السابق، فالأخ أسامة كان يقصد أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تنفرد عن نساء العالمين بأنها سيدة نساء وابنة سيدة نساء أهل الجنة في نفس الوقت، أي إن السيدة الزهراء جمعت شرف السيادة بالذات وبالنسب، ومريم وآسية بالذات فقط).

وقالت فاطمة: (بناءً على هذا فالسيدة خديجة أيضا أفضل من مريم وآسية، لأنها جمعت بين كونها سيدة نساء أهل الجنة وأم سيدة نساء أهل الجنة أيضا، وكما قلت يا خالي فإنها صلوات الله وسلامه عليها جمعت بين شرف السيادة بالذات وبالنسب).

فكتب خالد: (أحسنتم؛ دليل جميل وتطبيق أجمل).

عليه ـ وآله ـ وسلم الْعِشَاءَ ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقُلْتُ حُذَيْفَةُ قَالَ مَالَكَ فَحَدَّثْتُهُ بِالأَمْرِ فَقَالَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلأُمِّكَ ثُمَّ قَالَ أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ قَالَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهُوَ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطْ الأَرْضَ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَاسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أهل الْجَنَّةِ وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أهل الْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) والحديث صحيح وكل رجاله ثقات.

(١) يوجد تفصيل مهم حول هذا الحديث في كتاب (فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين) للمؤلف، وفيه بيان لمحاولات المخالفين المستمرة قديما وحديثا لتدمير هذه الفضيلة وتحطيمها بشتى الوسائل والحيل، فحذفت من بعض الكتب والصحاح واستبدلت في كتب أخرى بفضيلة لعائشة، وضعفت أسانيدها على رغم صحتها وكذب رواته على رغم وثاقتهم إلى غير ذلك من أساليب وطرق استعرضناها هنالك مفصلا فراجع.

الدليل الحادي عشر: انحصار ذرية النبي صلى الله عليه وآله منها ومن بعلها عليهما السلام

أسامة: (كلنا يقرأ سورة الكوثر ويحفظها، وكلنا يعلم أن سبب نزولها هو ان العاص بن وائل لعنه الله عاب على النبي الأعظم ﷺ بعد موت ولده بأنه أبتر لا عقب له، يموت فنستريح منه، ويدرس ذكره، إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره. لكن الله سبحانه كذب أحدوثتهم، وخيب مناهم، ورزقه السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فكثرت بسببها ذريته، حتى صارت ذريته أكثر من كل ذرية ونسبه أكبر من كل نسب، وعلا بهم دينه وانتشر بفضلهم أمره، وهو فضل يعلو كل فضل.

والله سبحانه لم يرزق نبيه الأعظم ﷺ الذرية على الرغم من زواجه ﷺ بنساء من قبائل شتى وأصناف مختلفة، فلولا فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لصدق قول ذلك الكذاب ولتحققت أماني كفار قريش بذهاب ذكر النبي ﷺ بمجرد موته).

فاطمة: (ونفس هذه الفضيلة يمكن أن تقال للسيدة خديجة، فهي أفضل من جميع نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لان الله رزقه منها الذرية الطيبة الطاهرة ولم يرزقه من غيرها).

محمد: (انا سألت مرة أستاذنا في المدرسة عن سورة الكوثر فيمن نزلت ومن الذي عاب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه بأنه أبتر، فقال إن قريشاً هي التي عابت على رسول الله بأنه أبتر[١]، وانتم تقولون أن العاص بن وائل هو الذي عاب على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فأيهما نصدق؟).

خالد: (بالطبع نصدق كلام علمائنا رضوان الله وتعالى عليهم، فقد صرح جمع كبير منهم بأن الذي عاب على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو العاص بن وائل لعنه الله، وتوجد أقوال أخرى بأن الذي عاب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ابنه عمرو ابن العاص لعنه الله، وقد فضحهم القرآن الكريم بأنهم أحق بوصف الأبتر منه صلى الله عليه وآله وسلم).

محمد: (لحظة من فضلك، أليس المقصود من الأبتر هو من لا ولد له؟).

خالد: (نعم، ويوجد معنى آخر، فالأبتر قد يطلق ويراد منه المنقطع عن الخير، ومن ليس فيه خير يرتجى).

محمد: (فكيف يكون العاص بن وائل ابتر لا عقب له ويكون عمرو بن

---

(١) ذهب أكثر مفسري أهل السنة إلى ان الذي وصف النبي الأعظم بأنه ابتر هم كفار قريش، ليذهبوا بتلك الشبهة عن العاص بن وائل ولذلك ليحافظوا على ماء وجه عمرو بن العاص كي لا يثبت بأنه ولد من الزنا أعاذنا الله وجميع المؤمنين منه.

العاص ابنه، وكيف يكون عمرو بن العاص أبتر ويكون له ولد أيضا اسمه عبد الله، أليس هذا تناقضاً ما بين النص القرآني وما بين الواقع المثبت تاريخياً؟!).

خالد: (هاهنا يا أخي تسكب العبرات، وها هنا يثبت ظلم التاريخ وتزويره، فعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد شهد بأن العاص بن وائل أبتر لا ينجب، وان عمرو بن العاص مثله، إلا ان المؤرخين ونتيجة للتعصب المذهبي يكذبون القرآن الكريم ويثبتون للعاص ولعمرو بن العاص الولد فيكذبون بذلك القرآن بقصد أو من دون قصد).

محمد: (لعلك يا أخي متحامل على الرجلين فتقول ما تقول من غير دليل، فلو كان كلامك معقولا فكيف غاب عن المؤرخين وعن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن عمرو بن العاص والعاص بن وائل أبتران لا عقب لهما).

خالد: (أما كوني متحاملاً على الرجلين فصحيح، وذلك لأنهما كانا أعدى أعداء محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأكثر المتحاملين عليهم، وأنا عدو لمن عاداهم وولي لمن والاهم، ولكن تحاملي عليهم وعداوتي لهم لا يستدعيان أن أقول عليهما غير الحق، إضافة إلى أن أمرهما مشهور، وقد وردت رواية في كتاب الاحتجاج عن الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه تفضح أمرهما جاء فيها: «... وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر، فإنما أنت كلب أول أمرك، أن أمك بغية، وأنك ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن الحرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحرث، والنضر بن الحرث بن كلدة، والعاص بن وايل، كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا،

وأخبثهم منصبا، وأعظمهم بغية، ثم قمت خطيبا وقلت: أنا شاني محمد، وقال العاص بن وايل: إن محمدا رجل أبتر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ" وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية، تأتيهم في دورهم ورجالهم وبطون أوديتهم».

فهذا النص يثبت أن عمرو بن العاص هو ليس الولد الشرعي للعاص بن وائل السهمي، ويثبت أيضا أن العاص بن وائل وعمر بن العاص كلاهما قد عاب على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه بالأبتر، وان كليهما شهد له القرآن بأنه أبتر، وعليه فيثبت أن من ينتسب إليهما ليس بولد لهما على الحقيقة، والحر تكفيه الإشارة[1].

(١) وللشيخ الأميني في كتابه الغدير ج٢ ص١٢٠ كلام مفصل حول نسب عمرو بن العاص ومواقفه المخزية في حق النبي الأعظم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الدليل الثاني عشر: إن الأئمة عليهم السلام من ذريتها

أسامة: (وقد فضلت السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بأن جعل الله سبحانه الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذريتها، وهذا فضل لم يشاركها فيه أحد من الناس أجمعين إلا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه).

محمد: (سأسبق اختنا فاطمة بقول اننا يمكن أن نشتق من هذه الفضيلة فضائل أخرى لا تعد ولا تحصى، فجميع فضائل أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي فضائل لها أيضا، فيمكن أن نشتق لها مثلا بأنها أم سيد الساجدين، وأم من بقر العلم بقرا، وأم من هم أفضل من الملائكة وأولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأم من استقام بهم الدين، وأم حجج الله على العالمين، وغير ذلك فكل فضيلة وكل خصوصية وكل صفة ينفرد بها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يمكن أن تكون فضيلة للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، أيضا، أليس كلامي صحيحا هذه المرة؟).

خالد: (نعم صحيح، وأحسنت على هذا الاستنتاج).

الدليل الثالث عشر: إنها زوجة سيد الأئمة وأم الأئمة عليهم السلام

فاطمة: (وأحب أن أضيف أيضا أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ليست هي أم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فحسب بل وزوجة إمام في نفس الوقت، وهو سيدهم وخيرتهم وأولهم، وكل هذه الفضائل مما تنفرد به صلوات الله وسلامه عليها ولا يشاركها فيه أحد من العالمين).

الدليل الرابع عشر: إن المهدي عليه السلام من ذريتها

أسامة: (ومن جملة فضائلها التي امتازت وشرفت بها على سائر النساء وغيرهن أن المهدي صلوات الله وسلامه عليه من ذريتها، وهو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويحقق آمال الأنبياء وأماني المؤمنين منذ أول الخليقة إلى يوم ظهوره عجل الله تعالى له الفرج).

خالد: (أريد أن أوضح أمراً مهما ما دام الكلام قد انجر إلى ذكر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، فقد كنت أتناقش مع أحد السنة السلفيين حول الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وغيبته وولادته، وهو كعادة بقية أتباع هذا المذهب يعميهم التعصب ويرمون بالتهم من دون تحقق، عاب علينا القول بولادته وبقائه حياً إلى وقتنا هذا، وقال بأن أهل السنة يقولون بأنه سيولد في آخر الزمان، فقلت له: أنا أتحداك واتحدى علماءك أن يأتوا بدليل واحد من كتبكم وصحاحكم عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الصحابة حتى وان كان هذا الصحابي منافقاً يصرح فيه ان المهدي سيولد آخر الزمان وقبل خروجه شأنه شأن بقية الناس، فذهب يومين ثم عاد من غير أن يأتي بدليل صريح في أن المهدي صلوات الله وسلامه عليه سيولد قبل ظهوره بقليل).

فاطمة: (وهل يعقل انه ليس لديهم دليل من الروايات حتى ولو كان مكذوباً أو ضعيفاً يثبت أن مهديهم سيولد آخر الزمان، مع العلم أن القول بولادته آخر الزمان متسالم به عندهم ولا يعتقدون بغيره؟! ان هذا لشيء عجيب!).

خالد: (نعم ليس لديهم دليل على ذلك، ولم يقله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا واحد من الصحابة حتى المنافقون منهم، وفي هذا دليل على أن القول بولادته صلوات الله وسلامه عليه آخر الزمان لم يكن على عهد النبي ولا خلفائهم ولا الصحابة، وانه قول مخترع أوجد عناداً لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأتباعهم القائلين بولادته قبل ذلك وبقائه، وأنا ما زلت حينما أدخل إلى منتديات السلفيين أتحداهم بأن يأتوني بدليل رواية أو قول للنبي أو أحد الصحابة يصرح بذلك، ولم ولن يأتوا بذلك لأنه لا وجود له).

فاطمة: (ولكنهم ذكروا عدة أحاديث تقول بأن الساعة لا تقوم حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا ثم يخرج أو يملك أو يظهر رجل من أهل بيتي أو عترتي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً، ألا يعدّ هذا دليلاً على ولادته آخر الزمان؟).

خالد: (هذا الحديث يتكلم عن خروج أو ظهور أو ملك الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وليس عن ولادته، فيمكن ـ وهو الحق ـ أن يكون مولوداً منذ أكثر من ألف سنة كما نقول نحن ولكنه يخرج ويملك ويظهر آخر الزمان، وبعبارة أخرى فإن خروجه وملكه وظهوره في آخر الزمان وقبل القيامة لا يعد دليلاً على ولادته المتأخرة، فالولادة والخروج موضوعان مختلفان بالكلية، وعليه فلا يمكن

لهم أن يستدلوا بخروجه في آخر الزمان على ولادته المتأخرة، لان خصوم هذا القول أيضا يقولون بخروجه آخر الزمان مع ولادته قبل ذلك بقرون كثيرة).

أكمل خالد هذه العبارات وختمها بقوله: (صارت الساعة الحادية عشرة ليلاً، وأرجو أن ننهي الكلام لان لدي امتحاناً غداً ويجب أن أتهيأ له، وسنلتقي غداً في نفس الموعد إن شاء الله).

بعض فضائلها صلوات الله وسلامه عليها المستفادة بشكل غير مباشر

جاء اليوم الثاني، وجاءت الساعة التاسعة مساءً، واجتمع أصحاب الشأن، وبعد السؤال عن الحال والأحوال كتب خالد: (لا أدري إن كان لدى أخينا أسامة إضافات أخرى على أدلة يوم أمس؟).

أسامة: (كل أدلتي قد عرضتها البارحة ولا يوجد عندي اليوم شيء إضافي).

خالد: (هل عند البقية أدلة جديدة أو توضيحات إضافية أو أسئلة أخرى تضيفونها لما سبق؟).

فأجاب الجميع بالنفي.

خالد: (يظهر أنكم لا تجتهدون في البحث بما يكفي وهذا سيؤثر على استمراره، فان أحببتم أن يستمر البحث فعليكم أن تتعبوا أنفسكم أكثر).

فكتب الجميع بالاعتذار والوعد بالاجتهاد والجدية أكثر.

الدليل الخامس عشر: الأئمة أفضل من الأنبياء والزهراء أفضل منهم فالزهراء أفضل من الأنبياء

فكتب خالد: (اليوم وفي أثناء رجوعي من الدرس فكرت بطريقة جديدة للاستدلال على فضائلها صلوات الله وسلامه عليها، وهي شبيهة بالطريقة التي استخدمها الأخ أسامة يوم أمس، فنحن نستطيع أن نستخرج جملة من فضائلها صلوات الله وسلامه عليها بطريقة غير مباشرة).

أسامة: (ماذا تقصد بالطريقة غير المباشرة؟ هل يمكن أن توضح أكثر؟).

خالد: (ذلك سيتضح من خلال هذا الدليل الذي سأقدمه، فقد تعارف عند علماء مذهبنا ومحققيهم:

١: أن الأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل من جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى أولي العزم منهم باستثناء نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأنه أفضل الخلق أجمعين.

٢: وقد تعارف عندهم أيضا أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل من الأئمة

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء الإمام أمير المؤمنين فانه كفؤها والمساوي لها.

٣: وعليه، فتكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل من جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى من أولي العزم، لأن الأفضل من الأفضل أفضل قطعا).

فكتب محمد كعادته وبسرعة: (وهل تستطيع يا أخي خالد أن تبرهن لنا على كل واحدة من النقاط التي كتبتها؟).

خالد: (لقد عرفت مسبقا بأنك ستعترض ولذلك كتبت دليلي مسبقاً على كل قول كتبته، فأما دليلي على كون النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل من جميع الأنبياء والرسل حتى أولي العزم منهم، بل وأفضل المخلوقات جميعا هو ما قاله الشيخ الصدوق في كتابه الهداية: «ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقرارا به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر... وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم... ويعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لولاهم ما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

وقول العلامة المجلسي في بحار الأنوار: « وأكثر علماء الإمامية بل كلهم

---

(١) الهداية للشيخ الصدوق ص٢٥.

قائلون بأن أئمتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء سوى نبينا صلى الله عليه وآله»[(١)].

وقال رضوان الله تعالى عليه في موضع آخر من بحاره: «وكون أئمتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء، هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، وإنما أوردنا في هذا الباب قليلا منها، وهي متفرقة في الأبواب لاسيما باب صفات الأنبياء وأصنافهم عليهم السلام، وباب أنهم عليهم السلام كلمة الله، وباب بدو أنوارهم وباب أنهم أعلم من الأنبياء، وأبواب فضائل أمير المؤمنين وفاطمة صلوات الله عليهما، وعليه عمدة الإمامية، ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار»[(٢)].

وهنالك أقوال أخرى لعلمائنا رضوان الله تعالى عليهم لا أذكرها خوف الإطالة، فهل اقتنعت بهذه النقطة؟).

محمد: (نعم اقتنعت ما دام أن عظماء علمائنا شهدوا بذلك وأقروه).

خالد: (وأما أفضلية السيدة الزهراء على جميع الأئمة باستثناء الإمام أمير المؤمنين فله عدة أدلة أختار منها الرواية المروية عن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حينما خاطب الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها يوم عاشوراء بقوله:«... أَنَّ أهل الأَرْضِ يَمُوتُونَ، وَأَنَّ أهل السَّماء لا يَبْقُونَ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هالكٌ إلاّ وَجْهَ الله الَّذي خَلَقَ الأَرْضَ بِقُدْرَتِه، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ فَيَعُودُونَ، وَهُوَ فَرْدٌ وَحْدَهُ، أبي خَيْرٌ مِنّي، وَأُمّي خَيْرٌ

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢١ ص٢٨٤.

(٢) المصدر السابق ج٢٦ ص٢٩٨.

مِنّي، وَأَخي خَيْرٌ مِنّي، وَلي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِم بِرَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ... »[1].

فهذا إقرار من المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بأن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل منه، علماً أن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إجماعا أفضل من جميع الأئمة التسعة المولودين منه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتكون السيدة الزهراء أفضل منهم أيضاً.

والدليل الثاني على أفضليتها صلوات الله وسلامه عليها على جميع الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي الرواية الصحيحة المروية عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: لو لا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليه السلام ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض آدم فمن دونه»[2]، فهي صلوات الله وسلامه عليها مساوية للإمام أمير المؤمنين في مرتبة الفضل والتكامل، وقد أجمعت الطائفة على ان الإمام أمير المؤمنين أفضل من جميع الأئمة، فتكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل منهم أيضا، فهل أنت مقتنع بهذا الدليل يا محمد؟).

محمد: (استنتاجك واستفادتك من الرواية متينة ومقبولة وأنا متفق معك أيضا).

خالد: (فإذا جمعنا المقدمتين صارت النتيجة يقينية، فالزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأئمة أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالزهراء أفضل من الأنبياء).

فاطمة: (وإذا كانت السيدة الزهراء أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهذا

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٩٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٤٦١.

يعني أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل من جميع أفراد أمم الأنبياء السابقين حتى أوصيائهم وشهدائهم وعلمائهم رجالهم ونسائهم، لان نبي كل أمة أفضل من أفراد أمته، والأفضل من الأفضل أفضل من الجميع من باب أولى.

الأمر الآخر: أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضل من الصحابة نساءً ورجالاً، لان إجماع المسلمين قائم على أن الأنبياء أفضل من الصحابة والتابعين وبقية الناس إلى يوم القيامة، وكما كررنا مرارا والأفضل من الأفضل أفضل من باب أولى).

خالد: (أحسنت يا فاطمة، فهذه تتمة للاستدلال مهمة ولطيفة).

أسامة: (ويثبت أيضا أن السيدة الزهراء ثالث أفضل موجود في الكون بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وان جميع الخلق من آدم إلى آخر مخلوق إلى يوم القيامة هم دون منزلتها وفضلها).

خالد: (أحسنت، كلام مقبول مائة بالمائة).

الدليل السادس عشر: النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أفضل الخلق وفاطمة بضعة منه فتكون أفضل من جميع الخلق أيضا

خالد: (وقد تواتر عند المسلمين بجميع طوائفهم أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بضعة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم[1]، والبضعة هي القطعة والجزء من

(١) قال الشيخ الصدوق في كتابه الاعتقادات في دين الإمامية ص١٠٥: (وأما فاطمة صلوات الله عليها فاعتقادنا فيها أنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأن الله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، وأنها خرجت من الدنيا ساخطة على ظالميها وغاصبيها ومانعي إرثها. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن غاظها فقد غاظني، ومن سرها فقد سرني). وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن فاطمة بضعة مني، وهي روحي التي بين جنبي، يسوؤني ما ساءها، ويسرني ما سرها).

وعن تواتر حديث البضعة يقول الشيخ جعفر كاشف الغطاء ج١ ص٩٧: (وروي في حقّها ما تواتر نقله بين الفريقين عن النبيّ صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم أنّه قال: « فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللَّه»).

وقد روى المخالفون حديث البضعة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، منهم البخاري الذي روى ←

الشيء، فتكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قطعة من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وجزءاً من أجزائه المباركة، وبما ان ألنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أعظم موجود خلقه الله سبحانه وأن شرفه وفضله يفوق على شرف العرش وفضل الكرسي والجنة وما فيها والكون وما يحويه، فتكون أجزاؤه كلها أفضل من كل ذلك أيضا، والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قطعة منه فتكون لها نفس هذه الأفضلية والشرف على كل جزء من أجزاء الكون حتى العرش والكرسي والجنة والإنس والجان فضلاً عن الأنبياء والمرسلين وجميع أفراد أممهم من لدن آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم القيامة).

أسامة: (طبعا باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه).

خالد: (صحيح وأنا لم أذكر ذلك لأنه قد تم تكراره مرات كثيرة، فاعتمدت على نباهتكم وقد فهمتموها من دون إشارة والحمد لله).

فاطمة: (لكن هذه الفضيلة للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد شوهتها أقلام المخالفين وكتبهم، فقد ذكروا أن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل عدو الله وعدو الرسول، فآذى بذلك فاطمة صلوات الله وسلامه عليها حتى

في صحيحه ج٤ ص٢١٠: (حدثنا أبو الوليد حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني).

وروى مسلم في صحيحه أيضا ج٧ ص١٤١: (حدثني أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي حدثنا سفيان عن عمرو عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها).

اشتكته إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فنهاه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهدده وحذره بأن في أذى فاطمة أذاه صلى الله عليه وآله وسلم[(١)]، فأرادوا بذلك أن يفهموا المسلمين بأن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان يؤذي فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وان علاقتهما الزوجية كانت متوترة، وأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان دائم الانزعاج منه).

خالد: (هذه هي عادة المخالفين، يقتلون ويقبحون كل جميل يرتبط بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة، لان هذه الكتب والأقلام التي شوهت صورة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد تناولت ذات الله سبحانه بما لا يليق، فقالوا إنه جسم، وإنّ له يداً كيد البشر، ورجلاً كأرجلهم، وتناولت أيضا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بما لا يليق بهم، فنسبوا يوسف إلى انه همَّ بالزنا، واتهموا داود إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها، وأنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها، واتهموا النبي الأعظم بالهجر والهذيان ساعة وفاته، واتهموا كل

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه ج٤ ص٢١٣: (حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني علي بن حسين ان المسور بن مخرمة قال إن عليا خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان فاطمة بضعة مني واني اكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك على الخطبة).

الأنبياء بالمعصية واقتراف الذنوب وعدم العصمة، فالألسنة التي تناولت ذات الله سبحانه وأنبياءه بما لا يليق كيف تحبس عن تناول الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بما لا يليق؟![1]).

---

(١) هذا الجواب مستفاد من رواية رواها الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه في كتابه الأمالي ص١٦٤ ـ ١٦٦: (حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح، عن علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، وقد قلت له:...يا بن رسول الله، إن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال عليه السلام: يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام؟ ألم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنه هم بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب عليه السلام إلى أنه ابتلى بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود عليه السلام إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها؟ وأنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟ ألم ينسبوا موسى عليه السلام إلى أنه عنين وآذوه حتى برأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها؟ ألم ينسبوا جميع أنبياء الله إلى أنهم سحرة طلبة الدنيا؟ ألم ينسبوا مريم بنت عمران عليهما السلام إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟ ألم ينسبوا نبينا محمدا صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء؟ حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه صلى الله عليه وآله من الخيانة، وأنزل بذلك في كتابه: «وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة»، ألم ينسبوه إلى أنه صلى الله عليه وآله ينطق عن الهوى في ابن عمه علي عليه السلام؟ حتى كذبهم الله عز وجل، فقال سبحانه: «وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى» ألم ينسبوه إلى الكذب في قوله: إنه رسول من الله إليهم؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه: «ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا»، ولقد قال يوما: عرج بي البارحة إلى السماء. فقيل: والله ما فارق فراشه طول ليلته.

←

أسامة: (قد قرأت قبل أيام في كتاب منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراساني كلاما مهما أعجبني حول حديث البضعة وقد أخرجته الآن بينما كنتم تتكلمون، فقد قال: «...وهذا مقام الإنسان الكامل الذي يكون رضاه وغضبه مظهرا لرضا الله وغضبه، وهو مقام خاتم النبيين صلى الله عليه وآله

→ وما قالوا في الأوصياء عليهم السلام أكثر من ذلك، ألم ينسبوا سيد الأوصياء عليه السلام إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك، وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها، وأنه لو كان فيه خير ما أمر خالد بن الوليد بضرب عنقه؟ ألم ينسبوه إلى أنه عليه السلام أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: إن عليا يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله، ألا إن فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرها فقد سرني، ومن غاظها فقد غاظني؟.

ثم قال الصادق عليه السلام: يا علقمة، ما أعجب أقاويل الناس في علي عليه السلام! كم بين من يقول: إنه رب معبود، وبين من يقول: إنه عبد عاص للمعبود! ولقد كان قول من ينسبه إلى العصيان أهون عليه من قول من ينسبه إلى الربوبية.

يا علقمة، ألم يقولوا لله عز وجل: إنه ثالث ثلاثة؟ ألم يشبهوه بخلقه؟ ألم يقولوا: إنه الدهر؟ ألم يقولوا: إنه الفلك؟ ألم يقولوا: إنه جسم؟ ألم يقولوا: إنه صورة؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يا علقمة، إن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه؟! فاستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين، فإن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: «أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا»، فقال الله عز وجل: قل لهم يا موسى: «عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون».

وسلم، ووصيه عليه السلام. والمرأة الوحيدة التي شاركت في هذا المقام هي الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا يكشف عن أن روح الولاية الكلية والإمامة العامة التي هي العصمة المطلقة، متحققة فيها صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها. ومما يؤكد ذلك الحديث الذي رواه العامة والخاصة، واعترفوا بصحته أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». ومع أن العقل والكتاب والسنة دلت على أن غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو غضب الله تعالى، لكن روى علماء السنة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». ومن كان الله يرضى لرضاه ويغضب لغضبه بلا قيد ولا شرط، لابد أن يكون رضاه وغضبه ـ بضرورة العقل ـ منزهين عن الخطأ والهوى، وهذه هي العصمة الكبرى»[1]).

خالد: (أحسنتم على النقل، واستفادة موفقة من قبل الشيخ أطال الله عمره).

---

(١) منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراساني ج١ ص١٩٤.

الدليل السابع عشر: ان الأئمة عليهم السلام حجة على الأنبياء وبقية البشر والسيدة الزهراء حجة عليهم فتكون حجة على الجميع فهي أفضل من الجميع

وكتب خالد: (ويوجد دليل آخر يمكن الاستفادة منه في هذا المضمار، وهو أن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لهم مرتبة الحجية والتقدم على جميع البشر حتى الأنبياء والرسل من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم أفضل منهم، لاستحالة تقديم المفضول على الفاضل، والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لها مقام الحجية والتقدم على نفس الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهي أفضل منهم، وإذا كانت أفضل منهم فهي أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من باب أولى).

كيف يكونون حجة وكل واحد عاش في زمان غير زمان صاحبه؟

أسامة: (كلامك عجيب يا أخي، فكيف يكون الأئمة حجة على الأنبياء والرسل وكل واحد منهم عاش في زمان غير زمان صاحبه؟).

خالد: (لا غرابة في هذا الأمر مطلقا، فقد اتفقت كلمة المسلمين على أن شريعتنا الإسلامية هي خاتمة الشرائع، وأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم له مقام الحجية والهيمنة التشريعية على جميع الأنبياء والشرائع السابقة، فلو أن الله سبحانه

بعث الأنبياء اليوم من لدن آدم إلى عيسى لما وسعهم إلا اتباعه والانصياع إلى أوامره ونواهيه[1]، وهذه فضيلة وكمال لا يشاركه فيهما أحد من العالمين[2].

ولو كان الأنبياء والرسل وأولو العزم موجودين في غدير خم حينما نصب النبي الأعظم ﷺ الإمام أمير المؤمنين للإمامة والولاية بعده لما وسعهم إلا اتباعه ومبايعة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فإذا بايعوه كانوا تحت وصايته وكان حجة عليهم لا يملكون مخالفته، وهذه أيضا فضيلة لا يشاركه فيها إلا النبي الأعظم ﷺ.

---

(١) وقد ورد في مسند احمد بن حنبل: (...عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم اما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني).

(٢) أورد ابن الجوزي في (كشف المشكل من حديث الصحيحين ج٣ ص٤٣) نقلا عن ابن عقيل قوله: (... إن خصيصة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حاصلة من جهة خفية عن كثير من العلماء؛ وذلك أن شريعة نبينا صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جاءت ناسخة لكل شريعة قبلها، فلم يبق يهودية ولا نصرانية ولا دين من سائر الأديان التي جاءت بها النبوات إلا أمر بتركها ودعا إلى شريعته، ومعنى قوله: «كل نبي بعث إلى قومه» المراد أنه قد كان يجتمع في العصر الواحد نبيان يدعو كل واحد منهما إلى شريعة تختصه ولا يدعو الأمة التي بعث فيها غيره إلى دينه ولا يصرف عنه، ولا ينسخ ما جاء به الآخر، فهذه خصيصة لم تكن لأحد قبله، حتى إن نوحا لم ينقل أنه كان معه نبي، فدعا إلى ملته ملة ذلك النبي ولا نسخها، وهذا يدفع ما قالوا وقدروه من الأسئلة وعقبوه بالأجوبة، ويوضح هذا أنه لما وجد ورقة من التوراة بيد عمر قال: «ألم آتكم بها بيضا نقية؟ والله لو أدركني موسى لما وسعه إلا إتباعي». لأنه لا يقدر عيسى أن يقول في التوراة ولا في حق موسى هذه المقالة، فعلم أن هذه الخصيصة التي امتاز بها عن جميع الأنبياء دون ما توهمه السائل من البعثة العامة إلى جميع الناس ودون أرباب الشرائع، والله أعلم).

ثم ولو كان الأنبياء والرسل من أولي العزم موجودين حين تنصيب الإمام الحسن من قبل أبيه أمير المؤمنين إماماً للناس ومن ثم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهكذا إماماً بعد إمام لما أمكنهم ولا جاز لهم إلا الاتباع والانقياد والسمع والطاعة لهم، وهذا أيضا فضل لا يشاركهم فيه أحد من العالمين إلا النبي الأعظم والإمام أمير المؤمنين. إذن فمقام الحجية والهيمنة الشرعية على جميع الأنبياء والشرائع السابقة هو أمر مشترك بين النبي الأعظم وأوصيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم يعطَ هذا المقام للنبي الأعظم والأئمة إلا بسبب كمالهم وأفضليتهم على غيرهم، لقبح تقديم المفضول على الفاضل).

هل هذا مجرد فرض لا واقع له؟

فاطمة: (هل أفهم من كلامكم يا خالي أن الموضوع مجرد فرض عقلي، لأنك تقول انه لو كان الأنبياء والرسل موجودين في زمن النبي والأئمة لاتبعوهم ولما خالفوهم ولكانوا تحت حكمهم وولايتهم، وقولك: لو، هو مجرد فرض لا واقع له، وما دام لم يقع لا نستطيع أن نجزم بالنتيجة التي توصلت لها).

خالد: (أولا: هذا ليس فرضا أنا فرضته، فقد قلت لكم انه توجد روايات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تقول لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني، وبعض الروايات تذكر نبي الله عيسى عليه السلام وبعضها تذكر نبي الله يوسف عليه السلام[1]، فالفرض ليس خياليا، بل هو فرض قابل للتحقق، لان الله

(١) جاء في كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص٢٠١ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله انه قال: (والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم).

سبحانه قادر على أن يبعث الأنبياء جميعهم في زمن النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولو بعثوا واجتمعوا لما جاز لهم إلا اتباع نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وشريعتنا الإسلامية.

وثانيا: قد ورد في كتب المخالف والمؤالف أن الله تعالى ما بعث آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا بعد أن أخذ عليهم العهد لئن بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه[1]، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به وأن ينصروه، وهذا قول كثير من العلماء[2]).

كيف يكلف الأنبياء إتباع نبينا وأئمتنا وهم أموات والميت لا تكليف عليه؟

محمد: (أليس الله سبحانه يعلم بأن كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يكونون عند مبعث النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من زمرة الأموات، والميت لا يكون مكلفاً، فكيف يوجب عليهم وعلى أممهم أمراً لا يستطيعون فعله؟).

خالد: (هذا الإشكال محلول عند أتباع مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأننا نؤمن بعقيدة الرجعة في آخر الزمان، فإن الله سبحانه سيرجع إلى الحياة الدنيا جميع الأنبياء والرسل وصالح أممهم عند خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لينصروه ويعيشوا في دولته التي هي حلم الأنبياء والمؤمنين جميعاً، وقد وردت

(١) راجع تفسير الرازي ج٨ ص١٢٣ عند تفسيره لقوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) سورة آل عمران الاية رقم ٨١.

(٢) المصدر السابق.

روايات تصرح بهذه الحقيقة[1]، فإذا خرجوا وعادوا إلى الحياة وجب عليهم الإيمان برسالة نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وشريعتنا الإسلامية وأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويكونون تحت حكمهم وسلطانهم التكويني والتشريعي، وبمعنى آخر يكونون تحت حجيتهم).

ما الدليل على ان السيدة الزهراء حجة على الأئمة؟

أسامة: (إلى الآن عرفنا كيف يكون الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حجة على الأنبياء والرسل وأممهم، ولكنك لم تخبرنا كيف تكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها حجة على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

خالد: (هذا الأمر مبحوث فيه وقد كتب بعض المحققين بحثا ذكر فيه عدة توجيهات مهمة[2]، ولكني سأذكر هنا دليلين لم يتعرض لذكرهما ــ بحسب

---

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص٢٦: (عن فيض بن أبي شيبة قال سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يقول وتلا هذه الآية «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» الآية قال ليؤمنن برسول الله صلى الله عليه وآله ولينصرن عليا أمير المؤمنين عليه السلام قال نعم والله من لدن آدم صلوات الله وسلامه عليه فهلم جراً فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه).

المصدر السابق ص٢٨: (...عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال سألت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه عن قول الله عز وجل «وجعلكم أنبياء وجعلكم ملوكاً» فقال الأنبياء رسول الله صلى الله عليه وآله وإبراهيم وإسماعيل وذريته والملوك الأئمة عليهم السلام قال فقلت وأي ملك أعطيتم فقال ملك الجنة وملك الكرة).

(٢) لقد ناقش هذه المسألة السيد محمد علي الحلو في كتابه (مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة) ص١٧ وما بعدها فمن أراد التوسع فليراجع.

اطلاعي ـ أحد ممن كتب حول هذه المسألة.

الدليل الأول: ان المسلمين جميعا أقروا بكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والبضعة كما عرفنا سابقا هي الجزء والقطعة من الشيء، وبما أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حجة على جميع الأنبياء والرسل والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذن فجميع أبعاضه وأجزائه حجة عليهم أيضا لعدم إمكان التجزئة في الحجية[1]، إذن فالزهراء صلوات الله وسلامه عليها حجة عليهم لأنها جزء منه.

الدليل الثاني: ان الإجماع قائم عند علماء المذهب أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كانت كفؤ الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ولولا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لما كان لفاطمة كفؤ من آدم فما دون[2]، والكفؤ هو النظير والمساوي[3]، وبما ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حجة على باقي الأئمة

---

(١) فلا مجال في تبعيض الحجية بالنسبة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم اذ لا يمكن لنا ان نقول هذا الجزء منه صلى الله عليه وآله وسلم حجة وهذا الجزء منه ليس بحجة لان حجيته صلى الله عليه وآله وسلم ثابتة لجميع أبعاضه وأجزائه بنص القرآن والسنة، ومن يقول بالتفريق فعليه ان يأتي بدليل قاطع.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١ ص٤٦١: (عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن الخيبري، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة، ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه) والرواية معتبرة من حيث الإسناد، نص على اعتبارها محمد تقي المجلسي في روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج٥ ص٣٤٣.

وقد علق المولى محمد صالح المازندراني في شرح أصول الكافي ج٧ ص٢٢٢ على هذا الحديث بقوله: (قوله «ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم فمن دونه» المقصود أن فاطمة عليها السلام أفضل من آدم فمن دونه مع قطع النظر عن حرمة النكاح أو حلّه).

(٣) انظر تاج العروس ج٢٠ ص١٢٩.

والأنبياء والرسل كما أثبتنا سابقا، إذن فلابد أن تكون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها حجة عليهم أيضا لأنها مساوية له).

أسامة: (أتصور أن كون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كفؤاً للإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد ورد في حديث زواجهما صلوات الله وسلامه عليهما، فأحدهما كفؤ الآخر في مسألة الزواج لا غير، وعليه لا يمكن الاستفادة من هذا الحديث بشكل مطلق ولا يمكن القول بأن تساويهما وارد في كل شيء).

خالد: (هنالك قاعدة متسالم على صحتها عند الأصوليين والمفسرين والفقهاء وغيرهم وهي: «ان المورد لا يخصص الوارد» أو «أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وعليه فلا وجه لتخصيص التكافؤ بين السيدة الزهراء والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما بخصوص مسألة الزواج، بحجة أن الرواية وردت في واقعة زواجهما، بل إن اللفظ الوارد في الرواية ما دام مطلقا فيبقى على إطلاقه، فيعم بقية الموارد التي لا ترتبط بمسألة الزواج).

فاطمة: (ما تقوله يا خالي العزيز عين الصواب، بدليل ان أكثر الأحكام الشرعية والآيات القرآنية قد نزلت حسب وقائع شخصية على أناس معينين ولو أن كل آية أو حكم اختص بخصوص السبب الذي نزل لأجله أو الشخص الذي نزل بسببه لماتت الأحكام والآيات مع موت الأشخاص والوقائع التي نزلت بخصوصها، وهذا ما تعلمناه في الدراسة).

وكتب خالد: (أحسنتِ يا فاطمة، وإضافة إلى ما قلتِه، فانه وردت روايات أخرى توضح بأن المساواة والتكافؤ بين السيدة الزهراء والإمام أمير المؤمنين

صلوات الله وسلامه عليهما لا تقتصر على مسألة الزواج، فقد أورد الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه رواية عن مفضل بن عمر قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام فكأنما استفظعت ذلك من قوله فقال لي: كأنك ضقت مما أخبرتك؟ فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك، فقال لي: لا تضيقن فإنها صديقة لم يكن يغسلها إلا صديق أما علمت أن مريم عليها السلام لم يغسلها إلا عيسى عليه السلام»[1] والرواية كما ترون صريحة في جعل التكافؤ بينهما أعم من الزواج فلولا الإمام أمير المؤمنين لما كان لفاطمة كفؤ يغسلها حتى).

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٣ ص١٥٩ باب الرجل يغسل المرأة والمرأة تغسل الرجل، حديث رقم ١٣.

الدليل الثامن عشر: إنها عليها السلام مثل القرآن في الحجية والرشاد والعصمة

وكتبت فاطمة: (وحديث الغدير[1] الذي تواتر معناه وإسناده[2]، يدل بما لا يقبل الشك على حجيتها على جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة، لان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جعل عترته أهل بيته عدل القرآن ومثله، والقرآن حجة فلابد أن يكون من هو مثله وعدله حجة أيضا.

ولا شك عند فرق المسلمين جميعا أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي من

---

(١) جاء في مسند احمد بن حنبل ج٥ ص١٨٩ ـ ١٩٠:(حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا شريك عن الركين عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض جميعا). وقد علق الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٦٢ ـ ١٦٣ بقوله: (رواه أحمد وإسناده جيد).

(٢) حديث الثقلين هو حيث متواتر الإسناد والمعنى، وهو وان كان مختلف اللفظ لكن مؤداه واحد. وقد خطب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حجة الوداع بعرفة في مائة ألف أو يزيدون...رواه جماعة من الصحابة وقد أفرد لطرق هذا الحديث الحافظ الذهبي بكتاب سماه: «رسالة طرق حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه» طبع بمكتبة المحقق الطباطبائي بتحقيق عبد العزيز الطباطبائي، وخرجه من حديث ٣١ صحابيا.

وكذا جمع طرق هذا الحديث الحافظ ابن عقدة، ومن المتأخرين: ألف الشيخ أبو المنذر سامي بن أنور خليل جاهين المصري الشافعي رسالة بعنوان «الزهرة العطرة في حديث العترة» جمع فيه مجموعة من طرقه ودرسها وشرحها، طبع بدار الفقيه بالقاهرة – مصر، عام ١٩٩٦م .

العترة ومن أهل البيت المشمولين بحديث الثقلين، فتكون حجة وتكون معصومة وتكون وسيلة وواسطة من وسائط الهداية والرشاد شأنها شأن القرآن الكريم).

أسامة: (فيمكن لنا إذن أن نعدّ ما قالته أختنا فاطمة دليلاً آخر من أدلة تفضيلها صلوات الله وسلامه عليها على جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومساواتها بالنبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث الحجية والهداية والعصمة.

بل وأكثر من ذلك فكل ما يثبت للقرآن يثبت لها أيضا، لان النبي جعلها والقرآن ككفتي الميزان فكل ما في هذه الكفة لابد أن يكون في الكفة الأخرى أيضا حتى تتحقق المساواة والمماثلة).

خالد: (أحسنتما فكلامكما متين للغاية وفي محله إن شاء الله، ويؤيد كلامكما ما رواه الشيخ الصدوق عن أمر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بالشمس والقمر والزهرة والفرقدين، وقد فسرت الروايات الشريفة ان المقصود بالشمس هو رسول الله وبالقمر أمير المؤمنين وبالزهرة السيدة الزهراء والفرقدين هما الإمامان الحسن والحسين[1]، فالتمسك يستلزم الحجية كما لا يخفى، إذ لابد أن تكون حجة من حجج الله سبحانه كي يصح التمسك والاقتداء بها).

أسامة: (شكرا على الإطراء).

---

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص١١٥ وما بعدها: (...صلى رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، فلما انفتل من صلاته أقبل علينا بوجهه الكريم على الله عز وجل ثم قال: معاشر الناس من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر، ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة، فمن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا الشمس، وعلي القمر، وفاطمة الزهرة، والحسن والحسين الفرقدان. وكتاب الله لا يفترقان حتى يردا علي الحوض).

الدليل التاسع عشر: إنها عليها السلام من أهل الذكر الذين أمر الله سبحانه بسؤالهم

خالد: (وأيضا مما يؤكد حجيتها على جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو قوله تعالى: «فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ»[1] فقد أجمعت كلمة علماء الطائفة المحقة أن أهل الذكر في الآية الذين أمر الناس بسؤالهم هم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومعهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها[2].

وقد ورد في الروايات ان معنى الذِّكْر في الآية هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الذكر هم أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والسيدة الزهراء من ضمنهم قطعا[3].

(١) قد ورد الأمر بسؤال أهل الذكر في موضعين من القرآن الكريم أحدهما في سورة النحل الآية رقم ٤٣ وهو قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)، والآخر في سورة الأنبياء الآية رقم ٧ وهو قوله سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

(٢) روى محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ص٦١: (عن أبي عبد الله عليه السلام انه سئل عن قول الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) قال هم آل محمد ألا وأنا منهم).

(٣) روى الكليني في الكافي ج١ ص٢١٠: (...عبد الرحمن بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " قال: الذكر محمد صلى الله عليه وآله ونحن أهله ←

وورد روايات أخرى ان الذكر في الآية هو القرآن[1]، وان أهل البيت هم أهل القرآن، ولذلك جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين عدل القرآن ومثله وقد أمر بالتمسك بهما، والتمسك يقتضي السؤال منهما والاقتداء بهما، والسؤال والاقتداء يقتضي حجيتهما كي يمكن أن يكون إتباعهما مبرئا للذمة).

المسؤولون، قال: قلت: قوله: ″وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ″ قال: إيانا عني ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولون).

وفي رواية أخرى: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ″ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ″ فرسول الله صلى الله عليه وآله الذكر وأهل بيته عليه السلام المسؤولون وهم أهل الذكر).

وللامام الرضا صلوات الله وسلامه عليه كلام مهم في هذا المجال قاله في مجلس المأمون وقد اجتمع عليه جماعة من العلماء لمناظرته نقله الشيخ الصدوق في الأمالي ص٦٢٥حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: (فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه: «فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فقالت العلماء: إنما عنى بذلك اليهود والنصارى. فقال أبو الحسن عليه السلام سبحان الله! وهل يجوز ذلك؟ إذن يدعونا إلى دينهم. ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام. فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا، يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: نعم، الذكر: رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله، وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ»، فالذكر رسول الله، ونحن أهله).

(١) فعن محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ص٦٢: (عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون قال كتاب الله الذكر وأهله آل محمد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال وسمى الله القرآن ذكرا فقال وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون).

فاطمة حجة الله وأعداؤها أعداء الله وأولياؤها أولياء الله

خالد: (عفوا نسيت أن أذكر لكم أن هنالك رواية حسنة من حيث السند فيها تصريح واضح بكون السيدة الزهراء حجة من حجج الله سبحانه على البشرية شأنها شأن النبي الأعظم والإمام أمير المؤمنين وبقية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد كنت كتبتها إلا أني نسيتها والآن رأيتها أمامي وسأكتبها لكم، فقد روى الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه الأمالي: «... عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن أبيه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم، أنه جاء إليه رجل فقال له: يا أبا الحسن، إنك تدعى أمير المؤمنين، فمن أمرك عليهم؟ قال: الله عز وجل أمرني عليهم. فجاء الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أتصدق عليا فيما يقول: إن الله أمره على خلقه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: إن عليا أمير المؤمنين بولاية الله عز وجل، عقدها له فوق عرشه وأشهد على ذلك ملائكته. إن عليا خليفة الله وحجة الله وإنه إمام المسلمين، طاعته مقرونة بطاعته ومعصيته مقرونة بمعصيته. فمن جهله فقد جهلني ومن عرفه عرفني ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي ومن دفع فضله فقد نقضني ومن قاتله فقد قاتلني ومن سبه فقد سبني، لأنه خلق من طينتي، وهو زوج فاطمة ابنتي وأبو ولدي الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه. أعداؤنا أعداء الله وأولياؤنا أولياء الله.

ثم قال صلى الله عليه وآله أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله).

فاطمة: (هل أفهم من الرواية أنها جعلت من خلق الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من طينة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سببا لصيرورته خليفة الله وحجته على خلقه، وانه وبسبب اتحادهما في الطينة صارت طاعته مفروضة، ومعصية أحدهما مقرونة بمعصية الآخر، وأن من جهل الإمام فقد جهل النبي، وأن من عرف الإمام فقد عرف النبي، وأن من قاتله فقد قاتل النبي ومن سبه فقد سب النبي ؟).

خالد: (نعم كل هذه الامتيازات أعطيت للإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بسبب اشتراكه مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بنفس الطينة).

محمد: (أليس كل البشر من الطين؟ فلماذا لا تكون لنا نفس تلك الامتيازات التي جعلت للإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه التي وردت في هذه الرواية؟).

خالد: (صحيح أن كل البشر قد خلقوا من الطين، ولكن الروايات الشريفة تصرح بأن الطينة التي خلق منها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خاصة لم يشاركهم فيها أحد من البشر حتى الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكانوا بشراً كسائر البشر ولكنهم بشر نورانيون[1]، ولان طينتهم واحدة صارت قدسيتهم واحدة وعلمهم

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١ ص٣٨٩: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفراني، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة ←

واحد ومعرفتهم واحدة والاعتداء على أحدهم اعتداء على الجميع وقتال أحدهم قتالاً لجميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

أسامة: (كلامك يعني أننا يمكن أن نطبق الرواية على سائر الأئمة المعصومين ومنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فبسبب كون طينتهم جميعا واحدة تصبح طاعتهم مفروضة ومعصيتهم مقرونة بمعصيته ومن جهلهم فقد جهل النبي ومن عرفهم فقد عرف النبي ومن جحدهم فقد جحد نبوة النبي ومن قاتلهم فقد قاتل النبي ومن سبهم فقد سب النبي، فهل استنتاجي هذا صحيح؟).

خالد: (استنتاجك صحيح يا أسامة).

توقف خالد عن الكتابة وقد لاحت له عقارب الساعة وهي تشير إلى الحادية عشرة ليلا، فكتب: (لنتوقف اليوم إلى هذا الحد ولنكمل غدا، ولا تنسوا أن تتعبوا أنفسكم أكثر، كي يكون الجهد موزعا بين الجميع، وانزعوا عنكم ثوب الكسل، واتجهوا باكرا إلى المكتبة مثل سابق عهدكم).

فاطمة: (عندي اقتراح، فلو نقترح موضوعا معينا، أو جانبا معينا من حياتها صلوات الله وسلامه عليها ليتم التركيز عليه غدا في أثناء بحثنا في المكتبة، حتى لا يتشتت جهدنا وحتى لا يشرق بعضنا ويغرب بعضنا الآخر).

خالد والآخرون: (اقتراح جميل، ونحن موافقون).

محمد: (ولكن ماذا سنبحث غدا؟ وعن أي جانب من جوانب حياتها

مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار).

صلوات الله وسلامه عليها سنتحدث؟).

خالد: (فلننظر إلى رأي صاحبة الاقتراح فلعلها قد وضعت مسبقا موضوعا معينا في بالها).

فاطمة: (أنا أرى أن نبحث في موضوع علم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، لأنه موضوع قل ما يتعرض له المتعرضون، فإن أغلب الذين يكتبون عن حياتها صلوات الله وسلامه عليها يركزون على موضوع عبادتها ومصيبتها وفضائلها، ولكننا قل ما نجد من يكتب عن كونها عالمة ومدى تأثير علمها في الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة).

خالد: (نعم الرأي وأنا موافق عليه).

أسامة: (وأنا موافق أيضاً).

محمد: (وأنا معكم بقدر ما أستطيع).

ودع الأصدقاء بعضهم وراح كل منهم إلى عمله، فمنهم من استلقى على فراشه ونام، ومنهم من نزل ليتعشى، ومنهم من أمسك بكتاب ليبحث عن معلومة إضافية تنفعه في البحث، ومنهم من جلس يتصفح الانترنت ويتفحص بريده الالكتروني.

مصحف فاطمة وما يرتبط فيه من المباحث

اجتمع الأصدقاء مرة أخرى وبعد السؤال عن الحال والأحوال كتب خالد: (هل ذهبتم اليوم إلى المكتبة وبحثتم عن الموضوع الذي اتفقنا عليه بالأمس؟).

فأجاب أسامة وفاطمة بالإيجاب وأجاب محمد بالنفي واعتذر عن ذلك بمجيء ضيوف إلى بيتهم منعوه من الالتحاق بأسامة والذهاب معه إلى المكتبة.

خالد: (فابدأ يا أسامة على بركة الله وقل ما عندك).

أسامة: (قرأت البارحة على عدة مواقع في الانترنت، وكذلك قرأت اليوم في المكتبة عدة كتب كلها تتحدث عن مصحف سمي في الروايات الشريفة بمصحف فاطمة، وهو من أعظم الآثار العلمية التي تركتها السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها).

رد شبهة أن للشيعة قراناً اسمه مصحف فاطمة

محمد: (أنا اسمع من بعض القنوات وأقرأ في بعض مواقع الانترنت أن للشيعة قرآنا يسمى مصحف فاطمة، فهل هو نفسه الذي تتحدث عنه تلك القنوات والمواقع؟).

خالد: (مصحف فاطمة ليس قرآناً ثانياً، والشيعة ليس لهم قرآن غير هذا القرآن الموجود بين أيدي المسلمين اليوم، ونتحدى أي واحد يأتينا بقرآن ثانٍ من مساجد الشيعة أو حسينياتهم وبيوتهم).

محمد: (إذن فمن أين جاءت هذه المقولة؟).

خالد: (لم يترك أعداء أهل البيت طريقاً يستطيعون استغلاله لتشويه مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا سلكوه، وقد استفادوا من كلمة «مصحف» ليوهموا الناس بأنه قرآن مثل القرآن الكريم، لأن من أسماء القرآن عندهم هو المصحف،

علماً انه لا توجد آية في القرآن أطلقت على القرآن لفظ المصحف، وكذلك ـ وبحسب ما تتبعت ـ لا توجد رواية نبوية عندنا وعندهم تسمي القرآن بالمصحف).

معنى المصحف في اللغة

فاطمة: (إضافة إلى ما قلته يا خالي العزيز فإن المصحف في اللغة هو الكتاب الذي يجمع في داخله عدة صفحات[1]، وعليه فكل الكتب الآن يمكن أن تسمى مصاحف).

لماذا يغضون الطرف عن مصحف عائشة وحفصة وعمر ويشنعون على مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها؟

خالد: (والأهم من هذا كله أن المخالفين يتهموننا بأن لدينا قرآنا أسمه

(١) قال الجوهري في الصحاح ج٤ ص١٣٨٤: (... والمصحف قال الفراء: وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسروا ميمها وأصلها الضم، من ذلك مصحف... لأنها في المعنى مأخوذة من أصحف أي جمعت فيه الصحف).

وقال ابن منظور في لسان العرب ج٩ ص١٨٦: (والمُصْحَفُ والمِصْحَفُ: الجامع للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْنِ كأَنه أُصْحِفَ، والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أَنها تفتح إنما ذلك عن اللحياني عن الكسائي، قال الأَزهري: وإنما سمي المصحف مصحفاً لأَنه أُصحِف أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، قال الفراء: يقال مُصْحَفٌ ومِصْحَفٌ كما يقال مُطْرَفٌ ومِطْرَفٌ؛ قال: وقوله مُصْحف من أُصْحِفَ أي جُمِعَتْ فيه الصحف).

وقال ابن سيدة في المخصص ج٤ ص٨: (والمُصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدّفتين كأنه أُصْحِف أي جُمعت فيه الصحف بكسر الميم وضمها وفتحها).

مصحف فاطمة، مع أن كثيراً من الروايات الشريفة للمعصومين تصرح بأنه ليس في مصحف فاطمة آية واحدة من القرآن الكريم.

ولكنهم وللأسف يغضون الطرف عن عشرات الروايات في صحاحهم ومسانيدهم المعتبرة، والتي تصرح بوجود عدة مصاحف عند المخالفين فيها قرآن يختلف عن قرآننا، وفي بعض هذه المصاحف آيات وسور كاملة لا توجد في قرآننا الحالي، فعندهم مصحف عائشة[1] ومصحف حفصة[2] ومصحف عمر بن

(١) اخرج إسحاق بن راهويه في مسنده ج٢ ص١٠٤٢: (أخبرنا المؤمل، نا حماد بن سلمة، نا هشام بن عروة، عن أبيه قال: قرأت في مصحف عائشة (فمنها ركوبتهم ومنها يأكلون).

أقول: واللفظ الصحيح الموجود في القرآن الذي بين أيدينا هي هكذا: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) سورة يس الآية رقم ٧١ ـ ٧٢.

وفي كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ج٢ ص٦٧: (وقال حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس قالت قرأ علي أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول» قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف).

أقول: والآية في القرآن الموجود بين أيدينا خالية من عبارة: (وعلى الذين يصلون الصفوف الأول).

(٢) قال السمعاني في تفسيره ج٢ ص٣١٢: (ونقل في مصحف حفصة «فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما بجنود لم تروها»).

أقول: والآية في القرآن الموجود بين أيدينا هي كالتالي: (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

والآية المباركة نزلت في قضية الغار المعروفة، وهي صريحة في ان السكينة وتأييد الملائكة قد ←

الخطاب ومصحف أبي بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود ومصحف عثمان ومصاحف أخرى كثيرة[1]، فإذا كان الشيعة عندها قرآن ـ وهو كذب قطعا ـ فإن أهل السنة عندهم خمسون قراناً غير قرآننا الحالي فهل يرضون بهذه النتيجة؟!).

أمحتوى هذه المصاحف تفسير أم تحريف؟

محمد: (ألا تعتقد أن هذه المصاحف هي من قبيل تفسير لألفاظ الآيات والسور، شأنها شأن التفاسير الموجودة في عصرنا، غاية ما في الأمر أنهم كانوا يكتبون التفسير مدمجا مع الآية؟ وقد قرأت تصريحاً للقرضاوي أمس يقول فيه: «في تلك الأيام لم تكن هناك طريقة معروفة في الكتابة لفصل الأصل عن التفسير، فليست هناك أقواس معروفة مثلا يوضع الكلام التفسيري بينها، أو حبر مغاير في اللون يكتب به ما يضاف إلى الأصل... فالإضافة إذن نوع من التفسير وليست من كلام الله عز وجل»).

نزلا على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، ولكن حفصة ولأسباب لا تخفى تعمدت تغيير اللفظ وتحريفه لتدخل أبا بكر بهدف تسويته مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بإنزال السكينة وتأييد الملائكة.

(١) ولنضرب للقارئ العزيز مثالا واحدا يتبين من خلاله مدى الاختلاف بين هذه المصاحف مع كتاب الله الموجود الآن بين أيدينا، ففي سورة الأعراف الآية رقم ١٥٤ نقرأ قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أخذ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ).

وقد ذكر السمعاني في تفسيره ج٢ ص٢١٩ اختلاف هذه المصاحف بقوله: (وقرأ معاوية بن قرة: «ولما سكن عن موسى الغضب» وفي مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب: «ولما سير عن موسى الغضب» وفي مصحف حفصة: «وإنما أسكت عن موسى الغضب»).

أمثلة لبعض التحريفات في هذه المصاحف، مصحف حفصة أنموذجاً

خالد: (أنا لا أنكر أن في بعض هذه المصاحف توضيحات لبعض ألفاظ القرآن وآياته، فيمكن عدها من قبيل التفسير، ولكن في كثير منها زيادات أو تحريفات لا يمكن عدّها تفسيراً.

ولأضرب لك مثالاً، فآية الغار المعروفة عند الجميع يقول الله سبحانه وتعالى فيها: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» وأرجو أن تنتبهوا إلى العبارة التي وضعت تحتها خط، لأنها في مصحف حفصة هكذا: «فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما بجنود لم تروها».

وهذا لا يمكن عدّه تفسيراً، لأنها لم تقل لنا إن الذي نزلت عليه السكينة هو فلان، أو إن الذي أيده الله بجنود هو فلان، حتى يمكن ان نعدّه تفسيرا، وإنما قالت أمراً لم يقله الله سبحانه، فالله يقول: «عليه» وهي تقول: «عليهما» والله سبحانه يقول: «وأيده» وهي تقول: «وأيدهما».

وبمعنى آخر، أن الله سبحانه يقول: أنا أتكلم عن شخص واحد أنزلت عليه سكينتي ونصرته بجنود لم تروها، وهي تقول: لا بل أنت أنزلت السكينة على اثنين وأيدت اثنين بجنود لم نرها. وكأن حفصة أعلم من الله سبحانه.

اعتراف أصحاب هذه المصاحف بضياع آيات القرآن وسوره

والأمرّ والأدهى من كل هذا هو اعتراف أصحاب هذه المصاحف المزورة بضياع آيات كثيرة وسور كاملة من القرآن الكريم، كاعتراف أبي بن كعب بضياع «٢١٣» آية من سورة الأحزاب[1]، وكاعتراف عائشة بنت أبي بكر بضياع آيات من القرآن تتعلق بمسألة الرضاع أكلتها الشاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]، وكاعتراف عبد الله بن مسعود بعدم قرآنية سورة الفلق والناس، فكان يحكهما ويمحوهما من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى[3]، وكان

---

(١) روى النسائي في السنن الكبرى ج٤ ص٢٧٢: (أخبرني معاوية معاوية بن صالح الأشعري قال ثنا منصور وهو ابن أبي مزاحم قال ثنا أبو حفص عن منصور عن عاصم عن ذر قال: قال أبي بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب آية قلنا ثلاثاً وسبعين فقال أبي كانت لتعدل سورة البقرة ولقد كان فيها آية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم).

أقول: وعدد آيات سورة البقرة هي (٢٨٦) فإذا طرحنا عدد سورة الأحزاب التي هي (٧٣) من مجموع (٢٨٦) فيبقى (٢١٣) آية مفقودة من سورة الأحزاب كما يدعيه أبي بن كعب.

(٢) روى ابن ماجة في سننه ج١ ص٦٢٦ باب رضاع الكبير: (حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف. ثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة. وعن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه، عن عائشة، قالت: لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشرا. ولقد كان في صحيفة تحت سريري. فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها).

(٣) في مسند احمد بن حنبل ج٥ ص١٢٩ ـ ١٣٠: (...عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى. قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر عن أبي بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيل لي فقلت حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم عن زر قال قلت لأبي ان أخاك ←

عبد الله بن عمر يصرح بأن القرآن الكريم قد ذهب منه شيء كثير[1]).

إذا كان بيتك من زجاج فلا ترمِ الناس بالحجارة

محمد: (يعني هل يذهب رأيك إلى أن أهل السنة يقولون بتحريف القرآن الكريم؟).

خالد: (أنا لا أقول بنفي ولا إثبات، فهذه كتبهم ورواياتهم وليحكم عليها من يقرأها بنفسه، ولكني أقول إذا كان بيتك من زجاج فلا ترمِ الناس بالحجارة، فإذا كان في كتبكم أيها المخالفون أحاديث تكسر الظهر ويشيب منها الرأس فلا ترموا الشيعة بأنهم يقولون بتحريف القرآن، أو ان الشيعة عندهم قرآن اسمه مصحف فاطمة، والآن يكفينا ما قلناه وأطلب من الجميع العودة إلى موضوع البحث).

على ماذا يحتوي مصحف فاطمة؟

محمد: (هل لكم أن تخبروني إذن ما هو مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها؟ وماذا يوجد فيه؟).

→ يحكهما من المصحف فلم ينكر. قيل لسفيان بن مسعود قال نعم وليسا في مصحف ابن مسعود كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته فظن أنهما عوذتان وأصر على ظنه وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما).

(١) أخرج جلال الدين السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٦٧: (قال أبو عبيد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر).

أسامة: (روى الشيخ الكليني: «عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان يأتيها جبرئيل فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك»[1] والرواية صحيحة من حيث الإسناد).

فاطمة: (الذي يظهر لي من هذه الرواية ان مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها يحتوي على أمور ثلاثة:

الأمر الأول: إخبار جبرائيل للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يظهر لي من عبارة الرواية ان هنالك مقامات وحقائق تخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن حتى السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لتطلع عليها لولا جبرائيل.

الأمر الثاني: إخبارها عن موضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الملكوت الأعلى وما منحه الله سبحانه من منزلة، وما هو فيه من النعيم المقيم في جنات الله سبحانه، والذي يظهر لي أيضا ان هنالك مقامات معنوية ملكوتية أعطيت للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد استشهاده لم تخطر على قلب بشر ولا يمكن تخيلها أو الاطلاع عليها حتى من قبل موجود هو بمنزلة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وقد أطلعها الله سبحانه عليها بواسطة جبرائيل، وإلا فلو كانت هذه الأخبار معروفة عند السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لما احتاج جبرائيل إلى ذكرها وإيضاحها، لان إيضاح

(١) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٤٥٨ باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام.

الواضحات ليس من فعل العقلاء.

الأمر الثالث: إخبارها عن حوادث ستقع في المستقبل، وبالتحديد تلك التي ستقع على ذريتها، ولفظ ذريتها قد يشمل كل فرد من أفراد ذريتها على نحو التفصيل، والى يوم القيامة، أو قد يكون مختصا بالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ذريتها فقط، ونستطيع ان نستنتج من كلا الفرضين ان هذه الأخبار ستحتوي على كل أمر سيحدث بعد استشهادها صلوات الله وسلامه عليها والى يوم القيامة، لان كلا من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو عامة ذريتها سيمتد وجودهم إلى يوم القيامة).

خالد: (ويظهر من بعض الروايات الشريفة أن هنالك وصية لفاطمة مودعة أيضا في ضمن طيات هذا المصحف المبارك[1]، والذي يظهر لي ان هذه الوصية تتعلق بما سيكون بعدها من أحداث وما سيقع على ذريتها.

فكل أم رحيمة بأبنائها عطوفة على ذريتها إذا ما رأت أو أحست بأن واحدا من أبنائها سيقع في مشكلة معينة فانها تقوم بواجب النصح وتعطي ولدها ما يستطيع من خلاله أن ينجو من مأزقه.

والسيدة الزهراء أرأف امرأة عرفتها البشرية، وأحرص أم على مصلحة

(١) روى محمد بن الحسن الصفار بسند صحيح في كتابه بصائر الدرجات ص١٧٨ باب ١٤ في الأئمة عليهم السلام أنهم أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام: (حدثنا أحمد بن محمد عن النضر بن سويد عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد قال سمعته يقول إن في الجفر الذي يذكرونه لما يسؤهم انهم لا يقولون الحق وان الحق لفيه فليخرجوا قضايا علي وفرايضه إن كانوا صادقين وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحفا فيه وصية فاطمة عليها السلام وسلاح رسول الله قال الله تعالى إيتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم أن كنتم صادقين).

أبنائها، ومن المستحيل أن ترى ما سيجري على ذريتها من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وغيرهم ثم تقف مكتوفة الأيدي متفرجة على ما سيحيط بهم من البلاء والنوائب، وعليه فمن المنطقي جدا انها ستكتب وصاياها التي تكفل خلاص ذريتها ونجاتهم من كيد عدوهم ومخططاته.

علما أن هذه الوصايا لها أهميتها من حيث إنها ليست صادرة عن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وحدها، لان المجالس التي كانت تعقد لكتابة مصحف فاطمة كانت تضم جبرائيل صلوات الله وسلامه عليه الذي هو رسول رب العالمين إليها، وتضم أيضا الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فلابد والحال هذه أن تكون الوصية التي تعطيها فاطمة ممضاة من قبل الله سبحانه بواسطة جبرائيل، وممضاة أيضا من قبل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الخليفة والإمام الشرعي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

فاطمة: (ولكن يا خالي توجد رواية في الكافي وغيره تقول: إن وصية فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كانت تتمحور حول إدارة بعض الأوقاف والأراضي التي كانت تحت تصرفها وملكها صلوات الله وسلامه عليها[1]، وهذا يخالف ما ذهبتم إليه).

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٧ ص٤٨: (...عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ألا أقرئك وصية فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت بلى قال: فأخرج حقا أو سفطا فأخرج منه كتابا فقرأه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت بحوائطها السبعة: العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، وما لام إبراهيم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فإن مضى علي فإلى الحسن فإن مضى الحسن فإلى الحسين فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب علي بن أبي طالب).

خالد: (إن إثبات هذه الوصية للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بخصوص حوائطها السبعة لا ينفي أن يكون عندها وصية أخرى فيها توجيهات وإرشادات وأوامر تتعلق بما سيجري على ذريتها إلى يوم القيامة، لان إثبات الشيء لا ينفي ما عداه كما هو معروف، فليس هنالك تعارض بين ما قلته أنا وبين ما تفضّلتِ به).

رد إشكال رؤية السيدة الزهراء لجبرائيل والحديث معه

محمد: (أرجوكم توقفوا ولا تكملوا حتى تجيبوني لأني أسمع الآن كلاما لم أسمعه من قبل! فكيف يعقل أن يتنزل جبرائيل وهو من أعظم ملائكة الله المقربين وحامل أخبار السماء إلى الأنبياء والمرسلين إلى السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهل هي نبية أو رسولة حتى ينزل عليها جبرائيل؟! وماذا نجني من هذه الروايات سوى سخرية المخالفين وتشنيعهم علينا أكثر مما يشنعون به علينا الآن؟!).

خالد: (عدم سماعك يا أخي العزيز بشيء لا يعني عدم صحته، وأنت وبسبب ابتعادك قبل هذه الحوارات عن روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم صرت تستهجن كل أمر لم تسمع به من قبل، وأنا أعذرك من هذه الناحية فقط، وان كان هذا الأمر لا يسوغ لك الإنكار والاستهجان لرواياتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بسبب عدم سماعك بها أو عدم تعقلك لها، لان دين الله لا يقاس بالعقول ولا يخضع للتشهي والميول.

والآن نأتي إلى استغرابك لنزول الملك جبرائيل على سيدة نساء العالمين، فأقول انه استغراب في غير محله، لان جبرائيل قد نزل على من هو أدنى رتبة

وكمالاً من السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فقد حكى القرآن الكريم نزوله على السيدة مريم العذراء(١).

والآية المباركة صريحة في إرسال الله سبحانه جبرائيل للسيدة مريم مع أنها ليست نبية ولا رسولة، والآية أيضا صريحة في كلام جبرائيل معها مباشرة ورؤيته رؤية العين، فإذا جاز لمريم العذراء أن ترى جبرائيل ولم يكن هنالك مانع عقلي أو شرعي جاز للسيدة فاطمة أن تراه أيضا لأنها أرفع درجة وكمالا، ولا ينبغي للعقل أن يمانع أيضا لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، والشّيء يشمله حكم مثله.

ولم يكن جبرائيل الوحيد الذي كلم مريم، فالقرآن يصرح بأنها تكلمت مع ملائكة آخرين بشروها بولادة عيسى وبشروها باصطفاء الله سبحانه لها على نساء العالمين(٢).

وهذه امرأة نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه تكلمها الملائكة وتبشرها بإسحاق

---

(١) : قال سبحانه في سورة مريم الآية رقم ١٧ ــ ١٩: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا).

(٢) قال سبحانه في سورة آل عمران الآية رقم ٤٢ ـ ٤٥: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

ويعقوب[(١)]، وقد ورد في بعض النصوص أن هؤلاء الرسل من الملائكة هم كل من جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[(٢)]، والكلام حول هذه الآية هو نفس الكلام السابق فتأمل.

ومن قرأ القرآن الكريم وآياته البينات يرى العجب العجاب في هذا الباب، فقد أوحى الله سبحانه إلى النحل[(٣)]، والى أم موسى[(٤)]، والى الحواريين[(٥)]، والى

---

(١) : كما في قوله تعالى في سورة هود الآية ٦٩ ـ ٧٣: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ... وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أهل الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

(٢) قال الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج٥ ص١٧٧: (واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: كانوا ثلاثة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل. الضحّاك: تسعة، السدّي: أحد عشر، وكانوا على صورة الغلمان الوضاء وجوههم).

(٣) قال تعالى في سورة النحل الآية رقم ٦٨ ـ ٦٩: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

(٤) قال تعالى في سورة طه الآية رقم ٣٦ ـ ٣٩: (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي). وقال سبحانه في سورة القصص الاية رقم ٧: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

(٥) قال سبحانه في سورة المائدة الآية رقم ١١١: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ).

السماوات[١]، والى الأرض[٢]. وكذلك أخبر القرآن بأن الملائكة تتنزل على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا[٣].

فلماذا لا نتعجب حينما يوحي الله إلى النحل أو إلى الأرض وهي خليط من تراب وحجر، أو يكلم الحواريين، ونتعجب حينما نقول بأن جبرائيل يكلم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وهي أعظم من الحواريين ومن النحل ومن أم موسى بل هي أعظم وأفضل من الأنبياء والرسل «فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

وأما خوفك من سخرية المخالفين لنا فهو خوف في غير محله، وليس لهم الحق في ذلك، وعليهم أن يرجعوا إلى كتبهم وصحاحهم ولينظروا إلى اعترافهم بأن مجموعة من الصحابة والتابعين كانت تكلمهم الملائكة، فقد أخرج البخاري في صحيحه: «حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وانه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب»[٤]،

---

(١) قال تعالى في سورة فصلت الآية رقم ١١ ـ ١٢: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

(٢) قال سبحانه في سورة الزلزلة الآية رقم ٢ ـ ٥: (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا).

(٣) قال سبحانه في سورة فصلت الآية رقم ٣٠: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

(٤) صحيح البخاري ج٤ ص١٤٩.

وقد نقل العيني عن الكرماني أن المحدثين: «يعني الملائكة تكلمهم»[١].

وكذلك ذكروا في ترجمة عمران بن الحصين أن الملائكة الحفظة كانت تكلمه[٢]، وان الملائكة كانت تسلم عليه[٣]، وغير هذا الكثير لمن تتبع أخبارهم).

هل كانت السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لا تعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم كي تحتاج إلى جبرائيل ليعلمها؟

محمد: (قد أقنعتني بهذا الجواب، ولكن عندي سؤال آخر، فالأخت فاطمة ذكرت أن هنالك مقامات دنيوية وأخروية تخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن حتى السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لتطلع عليها لولا جبرائيل، فهل يعقل هذا؟ وهل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أقل علما من جبرائيل حتى تحتاج إليه ليعلمها؟).

فاطمة: (أنا لم أذهب إلى ما ذهبت إليه من دون دليل، فعندنا رواية معروفة ومتسالمة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال للإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «يا علي لا يعرف الله تعالى إلا أنا وأنت ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وأنا»[٤].

---

(١) عمة القاري للعيني ج١٦ ص١٩٩.

(٢) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج٣ ص١٢٠٩: (عمران بن حصين... وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، يقول عنه أهل البصرة: إنه كان يرى الحفظة وكانت تكلِّمه حتى اكتوى).

(٣) قال ابن الأثير في أسد الغابة ج٤ ص١٣٨: (وكان في مرضه تسلِّم عليه الملائكة فاكتوى ففقد التسليم ثم عادت إليه).

(٤) صرح العالم النحرير محمد تقي المجلسي في كتابه روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج١٣ ص٢٧٣ ان هذا الحديث روي بطرق متكثرة.

وكذلك روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «لله حق لا يعلمه إلا أنا وعلي، وإن لي حقاً لا يعلمه إلا الله وعلي، ولعلي حق لا يعلمه إلا الله وأنا»[1].

والحديثان يدلان على ان للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وللإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حقاً أو منزلة لا يعلمها إلا الله سبحانه، وقد حجبت هذه المنازل حتى عن السيدة الزهراء وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان الحديث لم يذكرهم، ولكن هذه المنازل وان كانت غير معلومة إلا لله سبحانه، إلا انه يمكن لله سبحانه أن يختص السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لتطلع عليها بواسطة جبرائيل).

خالد: (والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لم تكن تأخذ من جبرائيل بوصفه جبرائيل، بل كانت تأخذ منه بوصفه مرسلاً من الله إلى السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهذا لا عيب فيه، ولا يلزم منه نقص، فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أعظم من السيدة الزهراء كان يأخذ من جبرائيل بوصفه المرسل الأمين من قبل الله سبحانه، وتوجد رواية صحيحة تدل على ان الذي أملى مصحف فاطمة عليها هو الله سبحانه بوحي منه عن طريق جبرائيل الأمين[2] وهذا غاية الفضل ومنتهى الكمال).

---

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص١٦٩. وورد في بعض المصادر هكذا: (إنّ للّه حقّاً لا يعلمه إلاّ أنا وهو، وإنّ لي حقّاً لا يعلمه إلاّ الله وهو، وإنّ لعليّ حقّاً لا يعلمه إلاّ الله وأنا) راجع العقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسين القمي ص١٨.

(٢) روى محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ص١٧٢ عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (... وان عندنا لمصحف فاطمة عليه السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها قال قلت هذا والله هو العلم...).

الدليل العشرون: وجه الاستدلال بمصحف فاطمة على أفضليتها عليها السلام

أسامة: (ألا ترحمنا اليوم يا محمد من إشكالاتك، فنحن إلى الآن لم نتقدم في البحث إلا قليلا، وقد كان الأحرى بك أن تستمع إلى البحث كاملاً ومن ثم تسجل ما عندك من أسئلة وتطلب الإجابات عليها).

خالد: (لا تغضب يا أسامة، ودع محمداً يسأل عما عنده، لان الغرض من هذا الحوار ـ إذا كنت تذكر ـ هو للإجابة عن الأسئلة والإشكالات التي تربك ذهنكم ولا تستطيعون حلها بمفردكم، ثم إني أتعجب من انتقادك لأخينا محمد وقد كنت مثله، وأنا أتذكر حينما كنا نجلس في حديقة المكتبة لا نستطيع التكلم لدقيقتين من دون أن تعترض وتشكل وتطلب الإجابات فسبحان مغير الأحوال من حال إلى حالّ).

محمد: (مرحبا بناصري).

أسامة: (آسف).

خالد: (والآن لنرجع إلى موضوع الحوار، وأخبروني ما هو وجه دلالة مصحف فاطمة على أفضلية السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها؟).

أسامة: (لقد وجدت اليوم رواية عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يقول فيها: «... ولقد أعطيت زوجتي مصحفا فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد خاصة من الله ورسوله»[(١)] وهو واضح في تفضيلها على جميع الخلق، إلا النبي وعلي صلوات الله وسلامه عليهما كما كررنا ذلك من قبل).

فاطمة: (لدي دليل أحب أن أعرضه لكم عن طريق نقاط عديدة تسهيلاً لفهمه، فأقول:

أولا: إن أعظم الناس أجراً وقدراً ومنزلةً عند الله سبحانه هم العلماء، وإن إحدى أهم أسباب تفاضل البشر بعضهم على بعض هو بالعلم، كما قال تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»[(٢)].

ثانيا: إن أشرف العلوم على الإطلاق هو علم التوحيد ومعرفة الخالق جل وعلا، وهذا العلم لا يأتي بنتائجه الرفيعة العظيمة من دون معرفة منازل ومراتب أهل البيت التي رتبهم الله فيها، لأنهم الطريق والسبيل إلى معرفة الله سبحانه.

ثالثا: إن في معرفتهم يرفع الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات درجات، كل بحسبه وبحسب سعة معرفته[(٣)].

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٢٢٠ الباب ٩ الحديث ٢.

(٢) سورة المجادلة الآية رقم ١١.

(٣) وقد جاء تصديق كل ذلك على لسان الروايات الشريفة، نختار منها ما عن المفضل أنه دخل على مولانا الصادق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقال له: (يا مفضل هل عرفت محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السنام الأعلى) راجع مستدرك ←

رابعــا: ان أعظـم النـاس معرفـة بمحمـد وأهـل بيتـه الأطهـار هـم الرسـل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعظم معرفة بالله سبحانه وبأنفسهم من بقية الرسل، لان أهل البيت أدرى بمن فيه وبما فيه، فيكونوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل من الرسل وارفع منزلة وأجرا، لذلك صارت درجاتهم في الجنة لا يبلغها بـالغ ولا يصل إليها طامح[(١)].

خامسا: ان في مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها علم بـبعض مقامـات وكمـالات النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليها، وعلم ببعض المراتـب الملكوتيـة التـي منحـت لـه بعـد رحيلـه مـن الـدنيا لـم يطلـع عليهـا أحـد مـن العـالمين حتـى الأنبيـاء والرسـل والملائكة[(٢)]، وقد أتحف الله السيدة الزهراء به وشرفها بمعرفتـه، فـازدادت كمـالا إلى كمالها وشرفا إلى شرفها[(٣)]، فعلت بذلك مرتبتها الكمالية على مراتـب الأنبيـاء

← سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٧ ص ١٨٠ ــ ١٨٢.

(١) لذلك ورد في زيارتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كمـا روي فـي عيـون أخبـار الرضـا للـشيخ الـصدوق ج٢ ص٣٠٧: (فبلغ الله بكم أشرف محل المكـرمين وأعلـى منـازل المقـربين وأرفـع درجـات أوصـياء المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنـي ولا فاضـل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبـار عنيـد ولا شـيطان مريـد ولا خلـق فيمـا بـين ذلـك شـهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه).

(٢) مر الكلام عن هذه النقطة في عنوان (على ماذا يحتوي مصحف فاطمة؟) فراجع.

(٣) لأنه وكما قلنا سابقا كلما عظمت معرفة الإنسان بالله سبحانه وبأهل البيت ازداد كمالا وشرفا عنـد الله سبحانه.

أضعافا مضاعفة، لأنها أصبح عندها من العلم ما ليس عند أحد من العالمين، فأصبحت بذلك أفضل العالمين.

سادسا: إن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أورثت هذا العلم إلى الأئمة من ولدها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فازدادوا بذلك فضلا، وزادت عليهم بأن كانت سببا لإيصال هذا العلم لهم، فلها ضعفان من الأجر والكمال).

خالد: (أمّا أنا فقد قرأت البارحة كلاماً مهماً للسيد الخميني حول رواية نزول جبرائيل عليها لمدة خمسة وسبعين يوما وسأنقله لكم بالنص: «وظاهر الرواية أنه كانت تحصل مراودة خلال هذه الخمسة و السبعين يوماً، أي إن هبوط جبرائيل وصعوده كان كثيراً، ولا أظن أنه قد ورد في حق أحد غير الطبقة الأولى من الأنبياء العظام مثل ما ورد في شأنها من أنّ جبرائيل الأمين وخلال مدة خمسة وسبعين يوماً كان يهبط عليها ويذكر لها القضايا التي ستقع في المستقبل وما سيجري على ذريتها، وكان الأمير يكتب ذلك، وكما كان أمير المؤمنين كاتباً لوحي رسول الله فقد كان كاتباً لوحي السيدة الصديقة خلال الخمسة والسبعين يوماً، وبالطبع فإن الوحي بمعنى الإتيان بالأحكام قد انتهى بموت الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

وإنّ مسألة مجيء جبرائيل لشخص ليست مسألة بسيطة، فلا يُظنّ أن جبرائيل قد هبط أو يمكن أن يهبط لكل فرد، فإن هذا يستلزم تناسباً ما بين روح ذلك الشخص الذي سيهبط عليه جبرائيل وبين مقام جبرائيل الذي هو الروح الأعظم...، وكان مثل هذا التناسب متحقّقاً بين جبرائيل الذي هو الروح الأعظم

وبين الأنبياء ذوي الدرجة الأولى مثل رسول الله وموسى وعيسى وإبراهيم وأمثالهم، ولم أرَ هذا قد حصل لكل الأفراد ولم يقع بعد ذلك لشخص آخر، بل إنني لم أرَ حتى في حق الأئمّة أن جبرائيل قد نزل عليهم بهذا الشكل، وكل ما شاهدته أنه نزل على الزهراء عليها السلام فقط، وبشكل متكرر خلال هذه الخمسة والسبعين يوماً وكان يحدّثها بما سيجري على ذريّتها...، وعلى كل حال فإنني أعد هذا الشرف وهذه الفضيلة أعظم من جميع الفضائل التي ذكروها للزهراء رغم إنها فضائل عظيمة، حيث إنه لم تقع مثل هذه الفضيلة لغير الأنبياء عليهم السلام بل إنها لم تقع لكل الأنبياء، بل للطبقة الرفيعة من الأنبياء عليهم السلام ولبعض الأولياء الذين هم في رتبتهم»[1]).

محمد: (لقد جذبت انتباهي مسألة نزول جبرائيل صلوات الله وسلامه عليه لهذه المدة الطويلة، وإيحاء الله سبحانه لها وإتحافها بشيء لم يعطه للأنبياء والرسل من قبلها، كل ذلك لمجرد شعور السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بالحزن الشديد على أبيها، وهذا يعكس لنا مدى مراعاة الله سبحانه لأحاسيس ومشاعر السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

والرواية التي في الكافي تظهر بأن الكون كله كان مشغولاً لمجرد أن السيدة الزهراء دخلها الحزن على فقد أبيها، وأن المستحيل يجب أن يبذل في سبيل تخفيف هذا الحزن واللوعة، بدليل أن أعلى سلطة في الملائكة وهو جبرائيل كلف بأن ينزل ليخفف عنها آلامها وحزنها، وهذا ما لم نعهده في الأنبياء

---

(١) صحيفة النور ج١٩ ص٢٧٨-٢٧٩.

السابقين والرسل الماضين، فهذا يعقوب النبي صلوات الله وسلامه عليه قد دخله الحزن الشديد على ابنه يوسف حتى كاد يهلك وقد ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم[١]، إلا أن جبرائيل لم ينزل عليه لمدة خمسة وسبعين يوما في محاولة منه لتخفيف ألمه وحزنه، وهذه الزيادة في الاهتمام تكشف عن الزيادة في الكمال والأفضلية).

خالد: (أحسنت الاستنتاج أخي العزيز محمد، وأحب أن أضيف إلى كلامك أن مدة الخمسة والسبعين المذكورة في الرواية هي مدة بقائها صلوات الله وسلامه عليها على قيد الحياة، ولو كانت السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد بقيت مئة عام لبقي جبرائيل ينزل عليها مئة عام ويحدثها، ولبقي الكون مشغولاً بحزنها ما دامت على قيد الحياة، وهذا ما لم يحصل مع أحد من الناس، أنبياءً كانوا أو أوصياء أو صحابة، جناً كانوا أو إنساً أو ملائكة).

توقف الجميع عن الكتابة فعرف خالد أن القوم قد أكملوا ما عندهم من كلام حول هذه المسألة، فكتب: (هل عندكم سؤال عن مصحف فاطمة قبل أن ننهي الكلام حوله؟).

هل نزل مصحف فاطمة من السماء؟

أسامة: (قد قرأت اليوم في أحد كتب المكتبة أن الله سبحانه أمر جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا مصحف فاطمة فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة

---

(١) قال سبحانه في سورة يوسف ٨٤ ــ ٨٥: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

الجمعة، وان فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلاً وغير مرسل، وأسماؤهم، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها وأشياء أخرى[1]، فهل هذا

---

(١) روى هذه الرواية محمد بن جرير الطبري (الشيعي) في دلائل الإمامة ص١٠٦: (حدثني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري قال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، قال: حدثني علي بن سليمان وجعفر بن محمد، عن علي بن أسباط، عن الحسين بن أبي العلاء وعلي ابن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مصحف فاطمة صلوات الله عليها، فقال: انزل عليها بعد موت أبيها. فقلت: ففيه شيء من القرآن؟ قال: ما فيه شيء من القرآن. قال: قلت: فصفه لي. قال: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين. قلت له: جعلت فداك صف لي ورقه. قال: ورقه من در أبيض قيل له: كن فكان. قلت: جعلت فداك، فما فيه؟ قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلا وغير مرسل، وأسماؤهم، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم، وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحدا واحدا، وفيه صفة كراتهم، وفيه صفة جميع من تردد في الأدوار من الأولين والآخرين. قال: قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم، وصفة أهل ←

صحيح؟ وهل فيه تعارض مع تلك الرواية التي مرت علينا في الكافي؟).

خالد: (هذه الرواية إن ثبتت فهي متعارضة مع رواية الشيخ الكليني الصحيحة السند، لان رواية الشيخ الكليني تقول إن جبرائيل هو الذي حدثها والإمام أمير المؤمنين يكتب، وهذه الرواية تقول إن المصحف أنزل عليها جاهزاً مجهزاً، وإن جبرائيل والإمام أمير المؤمنين لم يكن لهما دور في الموضوع أصلاً، وهذا تعارض واضح بين الروايتين.

ولكن الأمر كما يقولون هين، لان هذه الرواية التي تقول إن مصحف فاطمة قد نزل من السماء ضعيفة السند، وإذا تعارضت روايتان أحدهما صحيحة

← الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل، والزبور، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد. قال أبو جعفر عليه السلام: فلما أراد الله عز وجل أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياما حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا لها: السلام يقرئك السلام. ووضعوا المصحف في حجرها، فقالت لهم: الله السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعليكم يا رسل الله السلام. ثم عرجوا إلى السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه، حتى أتت على آخره. ولقد كانت صلوات الله عليها طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن، والإنس، والطير، والبهائم، والأنبياء، والملائكة. فقلت: جعلت فداك فلما مضت إلى من صار ذلك المصحف؟ فقال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلما مضى صار إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر. فقلت: إن هذا العلم كثير! فقال: يا أبا محمد، إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه).

والأخرى ضعيفة تقدم الصحيحة وتهمل الضعيفة كما هو مقرر ومعروف عند أهل هذا العلم.

وضعف الرواية القائلة بنزول مصحف فاطمة من السماء يرجع إلى عدة أسباب منها:

١: أن محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، اُختلف في توثيقه وتضعيفه، فمن وثقه اعتمد على ترحم الشيخ النجاشي عليه في رجاله[١]، ومن ضعفه اعتمد على أن مجرد الترحم لا يكفي في توثيق الراوي[٢].

٢: محمد بن أحمد بن حمدان لم أجد له ترجمة فهو مجهول، وعلى أقل التقادير فإنه مشترك بين مجموعة من الأشخاص كلهم ما بين ضعيف ومجهول.

٣: علي بن سليمان: وهو علي بن سليمان بن داود الرازي، وهو مجهول، إذ لا

---

(١) قال الشيخ النجاشي في فهرست أسماء مصنفي الشيعة ص٧٩ عند حديثه عن احمد بن محمد بن الربيع: (... قال أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى رحمه الله: قال أبي: قال أبو علي بن همام: حدثنا عبد الله بن العلاء قال: كان أحمد بن محمد بن الربيع عالما بالرجال).

(٢) من الذين لا يرون أن في الترحم توثيقا السيد الخوئي فقد قال في معجم رجال الحديث ج١ ص٧٤: (إن الترحم هو طلب الرحمة من الله تعالى، فهو دعاء مطلوب ومستحب في حق كل مؤمن، وقد أمرنا بطلب المغفرة لجميع المؤمنين وللوالدين بخصوصهما. وقد ترحم الصادق عليه السلام لكل من زار الحسين عليه السلام، بل إنه سلام الله عليه، قد ترحم لأشخاص خاصة معروفين بالفسق لما فيهم ما يقتضي ذلك، كالسيد إسماعيل الحميري وغيره، فكيف يكون ترحم الشيخ الصدوق أو محمد بن يعقوب وأمثالهما كاشفا عن حسن المترحم عليه؟ وهذا النجاشي قد ترحم على محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن البهلول، بعد ما ذكر أنه رأى شيوخه يضعفونه وأنه لأجل ذلك لم يرو عنه شيئا وتجنبه).

توجد له ترجمة في كتب الرجال، وقد اعترف السيد الخوئي بمجهولية هويته[١].

٤: جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، حيث ضعفه الشيخ النجاشي[٢]، وكذلك فعل ابن الغضائري[٣]، ولكن الشيخ الطوسي وثقه[٤]، وقد حكم أكثر أهل هذا الفن على تقديم قول النجاشي على قول الشيخ الطوسي حين التعارض[٥]، ولاسيما ان رأي الشيخ النجاشي معتضد بقول ابن الغضائري وقدحه المتقدم بجعفر بن محمد بن مالك الفزاري، ومعضود أيضا بتوقف العلامة الحلي وعدم قبول رواية الفزاري هذا[٦].

---

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٥ ص١٥٠: (...فإن علي بن سليمان مجهول).

(٢) قال الشيخ النجاشي في فهرست أماء مصنفي الشيعة ص١٢٢: (جعفر بن محمد بن مالك بن عيسى بن سابور، مولى أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، كوفي، أبو عبد الله، كان ضعيفا في الحديث، قال أحمد بن الحسين كان يضع الحديث وضعا ويروي عن المجاهيل، وسمعت من قال: كان أيضا فاسد المذهب والرواية، ولا أدري كيف روى عنه شيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همام، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الزراري رحمهما الله، وليس هذا موضع ذكره).

(٣) رجال ابن الغضائري لأحمد بن الحسن الغضائري ص٤٨: (جعْفَرُ بنُ مُحَمَّد بن مالك بن عِيْسى بن سابُوْر، مولى مالك ابن أسْماء بن خارِجة، الفَزَاريّ، أبُو عَبْد الله. كَذّابٌ، مَتْرُوكُ الحديث جُمْلةً، وفي مذهبه ارْتفاعٌ، ويَرْوي عن الضُعفاء والمجاهيْل، وكلُّ عُيُوب الضُعفاء مُجْتَمِعَةٌ فيه).

(٤) قال الشيخ الطوسي في رجاله ص٤١٨: (جعفر بن محمد بن مالك، كوفي، ثقة، ويضعفه قوم، روى في مولد القائم عليه السلام أعاجيب).

(٥) راجع الرسائل الرجالية لمحمد بن محمد إبراهيم الكلباسي ج٢ ص٣١٣ (التذييل الثاني عشر: في تعارض قول الشيخ النجاشي والشيخ الطوسي) فقد ذكر هنالك تصريحات كثير من العلماء في تقديم قول الشيخ النجاشي على الطوسي مع تبيان أسباب هذا التقديم.

(٦) قال العلامة الحلي في خلاصة الأقوال ص٣٣١: (والظاهر أنه هو هذا المشار إليه، فعندي في حديثه توقف، ولا أعمل بروايته).

٥: الحسين بن أبي العلاء: وقد اختلفوا في توثيقه وعدمه، فمنهم من زكاه، ومنهم من توقف في رواياته[١]، وقد صرح المازندراني أن من وثقه قد قبل قوله فيما لو لم يوجد له معارض[٢]، ورواية الشيخ الكليني الصحيحة السند معارضة لقوله بأن مصحف فاطمة قد نزل من السماء، فيرفض قوله وترد روايته عملاً بقول المازندراني.

٦: علي بن أبي حمزة البطائني، وهو أحد أعمدة الواقفة[٣]، وقد وردت أحاديث كثيرة في لعنه وذمه[٤]، وقد ضعفه ابن الغضائري ولعنه[٥]، وكذلك فعل علي بن الحسن بن فضال[٦]، ولكن البعض عمل بروايته[٧]. والشيخ الطوسي أعطى

---

(١) رجال ابن داود الحلي ص٧٩: (الحسين بن أبي العلاء الخفاف أبو علي الأعور، وقيل الخصاف وقيل مولى لبني عامر «كش» فيه نظر عندي لتهافت الأقوال فيه، وقد حكى سيدنا جمال الدين رحمه الله في «البشري» تزكيته، وأخواه علي وعبد الحميد رويا عنه عليه السلام وكان هو أوجههم).

(٢) منتهى المقال في أحوال الرجال للشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني ج٣ ص١٠ ــ ١٢: (وظاهر الأصحاب قبول قوله مع عدم المعارض).

(٣) فهرست أسماء مصنفي الشيعة للشيخ النجاشي ص٢٥٠: (وهو أحد عمد الواقفة).

(٤) نقل هذه الأحاديث الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٧٤٢ وما بعدها.

(٥) رجال ابن الغضائري ص٨٣: (عليُّ بنُ أبي حَمْزة لَعَنَهُ اللهُ أصلُ الوَقْفِ، وأشَدُّ الخَلقِ عَداوَةً لِلوَلِيِّ من بَعْدِ أبي إبْراهيْم ــ الإمام علي بن موسى الرضا ــ عليهما السلام).

(٦) قال العلامة الحلي في خلاصة الأقوال ص٣٦٣: (وقال أبو الحسن علي بن الحسن بن فضال: علي ابن أبي حمزة كذاب واقفي، متهم ملعون، وقد رويت عنه أحاديث كثيرة، وكتبت عنه تفسير القرآن كله من أوله إلى آخره إلا أني لا أستحل أن أروي عنه حديثا واحدا).

(٧) يقول السيد الخميني في كتاب البيع ج٢ ص٦٣١: (عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ، وهو ضعيف على المعروف، وقد نقل توثيقه عن بعض. وعن الشيخ في «العدّة»: عملت الطائفة بأخباره. وعن ابن ←

قاعدة عامة عمل بها العلماء من بعده، وفحوى هذه القاعدة هو أن الرواية التي يأتي بها البطائني وأمثاله من المنحرفين إذا كان لها شاهد موثوق أو قرينة تعضده فإنه يعمل بها، وأما إذا كانت هنالك رواية صحيحة أو موثقة تخالفه وجب طرح رواية ذلك المنحرف والأخذ بما صح عن طريق الثقات[١].

وتطبيقا لهذه القاعدة فإنه يجب علينا طرح رواية البطائني القاضية بنزول مصحف فاطمة من السماء لوجود رواية الكافي التي هي أصح منها سندا تقول بعدم نزوله.

إذن فالنتيجة التي نخرج بها هي أن رواية نزول مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من السماء هي رواية ضعيفة، ولا يمكن لها أن تعارض رواية الكافي الصحيحة.

نعم قد حاول بعض الباحثين التوفيق بين الروايتين بما احتمله من أن جبرائيل عليه السلام بعد أن أخبر السيدة الزهراء مشافهة بمحتوى مصحف فاطمة

الغضائريّ: أبوه أوثق منه. وهذه الأُمور وإن لم تثبت وثاقته مع تضعيف علماء الرجال وغيرهم إيّاه، لكن لا منافاة بين ضعفه والعمل برواياته؛ اتكالاً على قول شيخ الطائفة، وشهادته بعمل الطائفة برواياته، وعمل الأصحاب جابر للضعف من ناحيته. ولرواية كثير من المشايخ وأصحاب الإجماع عنه، كابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى ... وغيرهم ممّن يبلغون خمسين رجلاً).

(١) قال الشيخ الطوسي في العدة في أصول الفقه ج١ص١٥٠: (...وإذا كان الراوي من فرق الشيعة مثل الفطحية، والواقفة، والناووسية وغيرهم نظر فيما يرويه: فإن كان هناك قرينة تعضده، أو خبر آخر من جهة الموثوقين بهم، وجب العمل به. وإن كان هناك خبر آخر يخالفه من طريق الموثوقين، وجب إطراح ما اختصوا بروايته والعمل بما رواه الثقة. وإن كان ما رووه ليس هناك ما يخالفه، ولا يعرف من الطائفة العمل بخلافه، وجب أيضا العمل به إذا كان متحرجا في روايته موثوقا في أمانته، وإن كان مخطئا في أصل الاعتقاد).

قد أتى في إحدى المرات بالمصحف مكتوباً من السماء، أو أن الذي نزل من السماء كان متمّماً ومكملاً لما كتبه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه [(١)].

ولكن لا يخفى عليكم أن هذا الجمع بين الروايتين مما لا شاهد عليه لا من نفس الرواية ولا من رواية أخرى، فيصبح من قبيل الجمع التبرعي[(٢)]، إضافة إلى أ شروط التعارض هنا غير متحققة فلا تصل النوبة إلى محاولة الجمع[(٣)].

---

(١) قال السيد هاشم الهاشمي في كتابه حوار مع فضل الله حول الزهراء «ص١٤٩»: (ومع غض النظر عن ضعف سندها... فإنه لا منافاة بين كتابة أمير المؤمنين عليه السلام لما كان يمليه جبرائيل عليه السلام على الزهراء عليها السلام وبين نزول المصحف من السماء إليها، إذ لعله كان مكملا لما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام، أو لعله كان مطابقا لما كتبه أمير المؤمنين أنزل عليها إتحافا وإكراما لتقرأه بصورة مجموعة، وقد دلت صحيحة أبي عبيدة السابقة أن نزول جبرائيل عليها السلام كان متكررا خلال المدّة التي عاشتها الزهراء عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله والمحددة بخمسة وسبعين يوما، ولا مانع أن يكون جبرائيل عليه السلام قد أتى في إحدى المرات بالمصحف مكتوبا بعد الانتهاء من إخبارها مشافهة بمحتواه).

(٢) يقول الشيخ السبحاني في موسوعة طبقات الفقهاء «ج٢ ص٤٢٢»: (كان الأصل عند العلماء هو تقديم الجمع على الترجيح في تعارض الأخبار وعليه سار شيخنا الطوسي في كتابيه حتى اشتهر بأنّ الجمع أولى من الطرح، إلى أن جاء المحقّق البهبهاني فعين للجمع والترجيح ضابطة كلية، وهي انّ الجمع لو كان أمراً مقبولاً عند العقلاء وسائداً بينهم، فالجمع مقدَّم على الترجيح، كما هو الحال في العام والخاص والمطلق والمقيد.

وأمّا إذا لم يكن الجمع مقبولاً فهو من موارد الترجيح، وبذلك أثبت انّ الجمع التبرعي أي الجمع بلا شاهد لا دليل عليه، وقد كان لهذه الضابطة آثار مهمة في الاستنباط والتحقيق.

(٣) أوضح الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه أصول الفقه «ج٣ ص٢١١ ـ ٢١٢» شروط التعارض وهي سبعة نقتصر على ذكر الأول منها وهو: (ألا يكون أحد الدليلين أو كل منهما قطعيا، لأنه لو

←

أمصحف فاطمة من إملاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أم جبرائيل؟

فاطمة: (وجدت في كتاب بصائر الدرجات رواية تصرح بأن الذي كان يخبر السيدة الزهراء بالمصحف هو رسول الله وليس جبرائيل، والرواية عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه هذا نصها: «وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله وخط علي»[1] فهل بين هذه الرواية ورواية الكافي المصرحة بأن المملي هو جبرائيل أي تعارض؟).

خالد: (وهل حققتِ في رجال سندها؟).

فاطمة: (نعم ووجدت أن كلهم ثقات).

أسامة: (أنا قرأت اليوم هذه الرواية في بحار الأنوار، وقرأت أيضا روايات أخرى فيها تصريح بأن المملي للمصحف هو رسول الله وليس جبرائيل، وقد وقعت في الحيرة أيضا، ولكني اطمأننت حينما قرأت تعليق العلامة المجلسي على أحد هذه الأحاديث بقوله: «والمراد برسول الله جبرئيل عليه السلام»[2]).

محمد: (ولماذا هذا التعقيد، أليس رسول الله هو نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فهل سمعتم أحداً يسمي جبرائيل برسول الله).

→ كان أحدهما قطعيا فإنه يعلم منه كذب الآخر، والمعلوم كذبه لا يعارض غيره. وأما القطع بالمتنافيين ففي نفسه أمر مستحيل لا يقع) وهذا الشرط غير متحقق في روايتي الكافي ودلائل الإمامة، لان رواية دلائل الإمامة قد ثبت ضعفها بعكس رواية الكافي، وبإثبات صحة رواية الكافي يتم طرح رواية دلائل الإمامة ورد علمها إلى قائلها صلوات الله وسلامه عليه من دون تكذيب.

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص١٧٨.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٦ ص٤٢.

خالد: (نعم سمعنا، والقرآن خير شاهد على ذلك، لان القرآن الكريم وصف الملائكة بالرسل في أكثر من ستة مواضع كما في قوله تعالى:«الْحَمْدُ للَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً»[1]، هذا على العموم، وأما تسمية جبرائيل بأنه رسول الله فقد وردت في قصة مريم وتمثل جبرائيل لها بصورة بشر وخوفها منه إلى أن قال لها: «إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا»[2] فإطلاق لقب رسول الله على جبرائيل هو إطلاق متعارف عليه شرعا، فيصح حينئذ أن نجمع بين رواية الكافي وبين رواية بصائر الدرجات بأن كلتا الروايتين تتحدّث عن شخص واحد بعينه، وهو جبرائيل صلوات الله وسلامه عليه، إلا أن رواية الكافي قد ذكرت جبرائيل بالاسم، أما رواية البصائر فقد ذكرت جبرائيل بالصفة وانه رسول الله.

وبعبارة ثانية، فان رواية البصائر مجملة لان لفظ رسول الله مشترك بين النبي والملك، أما رواية الكافي فمبينة للفظ الرسول وان المراد منه هو جبرائيل خاصة).

من أدلة الإمام وجود مصحف فاطمة عنده

أسامة: (عندي سؤال يجول في خاطري منذ البارحة، وهو أين يمكن أن أجد مصحف فاطمة الذي نتحدث عنه الآن؟ فلو أني وجدته لتعلمت منه أشياء كثيرة، فأستطيع أن أعرف ماذا سيكون في المستقبل، ومن سيحكم، ومن سيثور، ومن سيقتل، ومن سيبقى، وأستطيع أن أقرأ منه معلومات وأصرح بها في القنوات الفضائية وفي الجرائد ومواقع الانترنت، وحينما تتحقق يعرف الناس صدقي

---

(١) سورة فاطر الاية رقم ١.

(٢) سورة مريم الآية رقم ١٩.

وأصبح رجلاً مشهوراً، بل ومليونيراً، لأني سأعرف من المصحف أن أزمة في المواد الغذائية مثلا أو مواد البناء ستحصل نتيجة الحرب الفلانية أو الفيضان الفلاني أو أي سبب كان، فأشتري وقت الرخص وأبيع حينما ترتفع الأسعار).

خالد: (الحمد لله أن مصحف فاطمة ليس بين يديك ولا تستطيع الوصول إليه، وإلا فستستعبد عباد الله وتستخدمه لأغراض دنيوية وفوائد شخصية، ولعل هذا هو السبب من كون المصحف عند الإمام المعصوم لا يطلع عليه غيره، حفاظاً عليه أولا ولكي لا يستغل في غير ما أنزل لأجله ثانياً).

فاطمة: (إن ما تقوله يا خالي العزيز من أن المصحف عند الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتوارثونه صحيح، وقد وردت روايات عديدة نصت جميعها على أن الإمام هو من يملك المصحف، فعن أبي بصير قال: «...سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما مات أبو جعفر عليه السلام حتى قبض مصحف فاطمة»[(١)].

وعن الحسن بن علي بن فضال عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه انه قال: «للإمام علامات... ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام»[(٢)].

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص١٧٨.

(٢) والرواية الكاملة في معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص١٠٣ هكذا: (حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال: للإمام علامات: أن يكون أعلم الناس وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد مختونا، ويكون مطهرا، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظل، وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعا صوته ←

وهذا الأمر إن دل على شيء فإنه يدل على عظمة هذا المصحف وعظمة محتواه).

قرنت السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بالأنبياء الذين ورث الأئمة منهم العلم

خالد: (أحسنتِ يا فاطمة، وربما نستطيع أن نكتشف عظمة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وعظمة علمها الذي أورثته للائمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من اقتران اسمها الشريف بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين ورث منهم أهل البيت علومهم ومعارفهم الإلهية، فقد ورد في زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبارة: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... السلام عليك يا وارث فاطمة بنت رسول الله...»[1].

بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدثا، ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يرى له بول ولا غائط لان الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، ويكون رائحته أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعا لله عز وجل، ويكون آخذ الناس بما يأمر به، وأكف الناس عما ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجابا حتى أنه لو دعا على صخرة لانشقت بنصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعا فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر، وإهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام).

(١) مقطع الزيارة في كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٣٧٦ هو كالتالي: (...السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم

وورد أيضا في زيارة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه عبارة: «... السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء»[(١)].

فاطمة: (قرأت أن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لديهم من آثار السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أشياء أخرى غير المصحف، كمغزلها وملاءتها، فهل هذه الأشياء مشمولة بفقرة الزيارة؟).

محمد: (إن أمركم يا أختي الفاضلة غريب، فما قيمة مغزل أو ملاءة وهي قطعة من قماش حتى تدخل في مواريث الأئمة وتشمل في عبارة «السلام عليك يا وارث فاطمة..»).

فاطمة: (قيمتها بآثارها التكوينية، فقد ورد في بعض الكتب أن ثمانين يهوديا أو أكثر أسلموا ببركة ملاءة السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها [(٢)]).

خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله. السلام عليك يا وارث علي وصي رسول الله، السلام عليك يا وارث الحسن الرضي، السلام عليك يا وارث فاطمة بنت رسول الله).

(١) المقطع من الزيارة في كامل الزيارات ص٥١٨ هكذا: (... السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله. السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين علي ولي الله، السلام عليك يا وارث فاطمة سيدة نساء العالمين...).

(٢) روى قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح ج٢ ص٥٣٨ هذه الرواية بما هو نصه: (ومنها: ما روي أن علياً عليه السلام استقرض شعيرا من يهودي، فاسترهنه شيئا فدفع إليه ملاءة فاطمة رهنا وكانت من الصوف فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت. فلما كانت الليلة دخلت زوجته

خالد: (هذه القصة التي تتكلم عنها فاطمة ضعيفة السند لان الراوندي قد ذكره في كتابه من دون إسناد، ومع ذلك فهي غير مستبعدة، لان لملابس المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سواء كانوا أئمة أو أنبياء آثاراً تكوينية، والقرآن والسنة يشهدان بهذه الحقيقة، فقصة قميص يوسف وتأثيره في رد بصر نبي الله يعقوب أشهر من أن نذكرها.

وقد ورد في صحاح المخالفين أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كفن فاطمة بنت أسد والدة الإمام أمير المؤمنين بقميصه الذي كان يلبسه واضطجع في قبرها وحينما سئل عن ذلك قال: «إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر»[1].

كما وورد عندهم أن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كن يغسلن جبة النبي الأعظم

البيت الذي فيه الملاءة لشغل فرأت نورا ساطعا أضاء به البيت، فانصرفت إلى زوجها وأخبرته بأنها رأت في ذلك البيت ضوءا عظيما، فتعجب زوجها اليهودي من ذلك وقد نسي أن في بيتهم ملاءة فاطمة فنهض مسرعا ودخل البيت فإذا ضياء الملاءة ينتشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر منير يلمع من قريب، فتعجب من ذلك، فأنعم النظر في موضع الملاءة فعلم أن ذلك النور من ملاءة فاطمة، فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه، وزوجته تعدو إلى أقربائها واستحضرهم دارهما، فاستجمع نيف وثمانون نفرا من اليهود، فرأوا ذلك، وأسلموا كلهم).

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج٤ ص١٨٩١: (قال أبو عمر: روى سعدان بن الوليد السابري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب، ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهوّن عليها).

صلى الله عليه وآله وسلم ليستشفي بمائها المرضى[١]، والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة، وعليه فلا يستبعد بل نجزم بوجود آثار عظيمة لمغزل السيدة الزهراء وملاءتها ولا نستبعد كونها مشمولة بفقرة «السلام عليك يا وارث فاطمة...»).

كانت السيدة الزهراء مرجعا للنساء في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

فاطمة: (كنت أنا وأمي نحضر مجالس العزاء النسائية في بلدتنا، وفي أحد الأيام حضرت في مجلس إحدى المرشدات فقالت: إن السيدة الزهراء كانت في حياة النبي حلقة وصل ما بين النبي الأعظم وما بين باقي المؤمنات، حيث كان يبلغها الأحكام الخاصة بالنساء وهي تخبر المؤمنات بذلك، وحينما انتهت المحاضرة خرجت هذه المرشدة سريعاً ولم أتمكن من سؤالها عن المصدر، إلا أني بحثت عن الرواية كثيراً إلى أن وجدتها في كتاب الكافي وبحثت عن سندها أيضا وهو صحيح يصح الاستشهاد به[٢].

(١) روى مسلم في صحيحه ج٦ ص١٤٠: (حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا خالد بن عبد الله عن عبد الملك عن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر وكان خال ولد عطاء قال أرسلتني أسماء إلى عبد الله ابن عمر... فرجعت إلى أسماء فخبرتها فقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها).

(٢) الكافي ج٣ ص١٠٥: (عَلِيٌّ عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَضَاءِ الْحَائِضِ الصَّلَاةَ ثُمَّ تَقْضِي الصَّوْمَ قَالَ لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ الصَّلَاةَ وعَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ عليها السلام وكَانَتْ تَأْمُرُ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنَاتِ).

وهـذا الأمـر إن دل علـى أمـر فإنـه يـدل علـى أهميـة وجودهـا ﷺ وأهمية دورها في تبليغ الرسالة ونـشر الأحكـام الـشرعية، ويثبـت بـذلك عـصمتها ﷺ من الخطأ؛ لان مسألة التبليغ للأحكـام مـن المـسائل الحـساسة للغايـة ولابد من أن تصل بـصورة كاملـة وأمينـة ومـن دون تغييـر أو تلاعـب أو سـهو أو نسيان، فلابد والحال هذه أن تكون الواسطة التي اختارها النبي الأعظـم ﷺ لإيصال الأحكام الشرعية متصفة بكل هذه الصفات وهي: عدم الخطأ وعدم السهو والنسيان وان تكون مأمونة في إيصال الحكم إلى متلقيه، وليس هذا إلا العصمة).

خالد: (أحسنتِ على النقل والاستنتاج، ويؤيد قولكم هذا عدة أشياء بعـضها قد مر علينا، فقد ذكرنا سابقا أن السيدة الزهراء كانت من أهـل الـذكر الـذين أمـر القرآن الكريم بـالرجوع إلـيهم حين الـسؤال وطلـب المعرفـة، وهـو يعنـي أن لهـا إحاطة تامة بكل أحكام الدين وشريعته أصولاً وفروعاً.

وقد مر علينا أيضا ان النبـي الأعظـم ﷺ أمـر بالتمـسك بهـا إذا افتقـد الإمام أمير المـؤمنين[١]، وكـذلك هـي مـن الثقلـين اللـذين أمرنـا الرسـول الأعظـم ﷺ بالتمسك بهما، والتمسك في كلا الحديثين يستلزم الإحاطـة التامـة مـن قبل السيدة الزهراء ﷺ بكل جزء من أجـزاء الـشريعة المقدسـة، ويـستلزم

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص١١٥ وما بعدها: (...صلى رسول الله صـلى الله عليـه وآلـه صـلاة الفجر، فلما انفتل من صلاته أقبل علينا بوجهه الكريم على الله عز وجل ثم قال: معاشـر النـاس مـن افتقـد الـشمس فليستمـسك بـالقمر، ومـن افتقـد القمـر فليستمـسك بـالزهرة، فمـن افتقـد الزهـرة فليستمسك بالفرقدين. ثم قال رسول الله صلى الله عليـه وآلـه: أنـا الـشمس، وعلـي القمـر، وفاطمـة الزهرة، والحسن والحسين الفرقدان. وكتاب الله لا يفترقان حتى يردا علي الحوض).

أيضا العصمة كي يكون المتمسك به مأمونا من الخطأ والسهو والنسيان، بل ومأموناً من تسلط الشيطان عليه بأي شكل من أشكال التسلط).

أسامة: (اليوم قد كتبت حديثا حينما كنت أبحث في المكتبة، ولكن حينما بحثت عن رجال سنده وجدت بأنه ضعيف، ولكن محتواه ومضمونه متوافق مع ما كتبتموه، فالحديث ينص على أنّ عليّاً وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما بحران من العلم عميقان[1]، فهل يمكن الأخذ بمثل هذا الحديث؟).

خالد: (إن تقييم الرواية وحجيتها يعتمد على عدة أشياء، منها صحة سندها وعدم صحته، ومنها وجود شواهد صحيحة لصدق الخبر أو كذبه، ومنها موافقته للأخبار الصحيحة أو عدم موافقته، وغير ذلك، وهذا الخبر الذي ذكره أسامة يمكن أن يقال عنه بأن القرائن تشهد على صدق صدوره عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وكل حديث شهدت القرائن بصدق صدوره عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يصح الأخذ به ويكون حجة «لقيام سيرة القدماء المتصلة بعصر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على حجية الأخبار الضعيفة السند إذا احتفت بقرائن الصدور»[2]).

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص٦٥: (حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمد الأصبهاني، عن سليمان بن داود المنقري قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله عز وجل: «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» قال: علي وفاطمة عليهما السلام بحران من العلم، عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه. «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين عليهما السلام).

(٢) العبارة بين قوسين مأخوذة من كتاب قواعد الحديث لمحي الدين الموسوي الغريفي ص١١٩، ←

محمد: (وما هي القرائن التي احتفت بهذا الخبر وشهدت بصحة صدوره عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟).

خالد: (القرينة هنا هي موافقته للأخبار المجمع على صحتها أو تواترها، كحديث الثقلين وحديث كونها من أهل الذكر الذين أمرنا بالرجوع إليهم وغير ذلك مما ذكرناه سابقا، فلو لم تكن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بحراً من العلم لما أمرنا بالتمسك بها والرجوع إليها في كل صغيرة وكبيرة من أمور ديننا ودنيانا، لان

→ ولأهمية المطلب المذكور هنا ننقله بالنص للفائدة والاطلاع فقد قال في تلك الصفحة وما بعدها: (وعليه فلا إشكال في حجية الحديث المطمأن بصدوره عن المعصوم عليه السلام من أجل شهرة العمل به، أو غيرها مما أورث الاطمئنان. ولذا استدل الشيخ المامقاني على كفاية الشهرة الحاصلة بعد زمن الشيخ الطوسي: بأن العبرة بالوثوق، والاطمئنان الحاصل منها، كما سبق. وعلى فرض النقاش في حجية الاطمئنان كما فعله البعض، فلا مناص من الالتزام بحجيته هنا، لقيام سيرة القدماء المتصلة بعصر المعصومين عليهم السلام على حجية الأخبار الضعيفة السند إذا احتفت بقرائن الصدور.

وقد عملوا بها لذلك، ومن المستبعد جداً أن تكون تلك القرائن مفيدة للقطع بصدور جميع تلك الأخبار المحفوفة بها، وإنما أفادت الاطمئنان بصدورها. ولذا حكم الكليني، والصدوق بصحة جميع الأخبار المثبتة في كتابيهما.

فالاطمئنان حجة في محل البحث. وليس من المجازفة دعوى الاطمئنان في عصرنا الحاضر بصدور الحديث الذي تسالم جميع الفقهاء على العمل به، والاستناد إليه، وإن كان ضعيف السند، كالنبوي الشريف «على اليد ما أخذت حتى تؤدي» حيث استند إليه الفقهاء في كثير من الفتاوى، وأثبتوه في عدة مباحث من الفقه، وبسطوا القول فيه عند البحث عن ضمان اليد.

فبناء على أن الوثوق هو الاطمئنان، وانه حجة مطلقاً، أو في محل البحث خاصة يثبت حجية الخبر الذي حصل الوثوق بصدوره عن المعصوم عليه السلام من تلك الشهرة، أو غيرها).

احتياجات الناس المعرفية في أصول الدين وفروعه غير متناهية ولا تتوقف عند حد وهي متجددة بتجدد الزمان وتطاول الأيام ومثل هذا الأمر يحتاج إلى علم لا حد له وبحر ليس له قعر).

محمد: (وما فائدة هذا العلم إذا لم يكن بين أيدينا شيءٌ منه)؟.

خالد: (عدم وجوده بين أيدينا لا يقلل من قيمته وأهميته، لأن علمها موجود ومحفوظ عند الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتوارثونه واحدا بعد واحد، وإذا استفاد منه الأئمة خلال حياتهم فإننا نكون قد استفدنا منه بالتبع، وهذه فائدة عظيمة حتى وان كانت غير مباشرة)،

فاطمة: (الخلل ليس في علمها صلوات الله وسلامه عليها حتى تقول انه لا فائدة منه ما دام انه غير موجود بين أيدينا، بل الخلل والذنب والتقصير يجب أن تلقيه على من منع الناس من الاستفادة من هذا البحر من العلم، وحال دون وصوله للناس، وسفك دمها الطاهر وحرم الأمة من هذا الينبوع الصافي، وألجأهم إلى اعتماد الإسرائيليات والأخبار المكذوبة عن أبي هريرة وغيره من الخوارج والنواصب التي ملأت أخبارهم ورواياتهم كتب الحديث والرواية، فالجريمة كل الجريمة هي أن تستبدل الأمة علم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها الذي هو عين علم أبيها صلى الله عليه وآله وسلم بعلم تفوح منه رائحة الشيطان ودسائس أتباعه، فهم في ذلك كبني إسرائيل حينما استبدلوا المن والسلوى بثوم مصر وبصلها فخاطبهم القرآن الكريم بقوله: «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ

الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»[(١)].

سكت الجميع برهة من الزمن، فكتب خالد: (سنكتفي اليوم؛ لان الوقت قد تأخر ونترك الكلام ليوم غد فإن كان عندكم إضافة أضفناها وإن لم يكن عندكم شيء فأنا اقترح أن نتكلم عن مسألة حضورها وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند الميت ساعة الاحتضار، فهل انتم موافقون؟).

فأجاب الجميع بالموافقة، فكتب خالد: (ولا تنسوا أن عليكم غدا الذهاب إلى المكتبة والبحث كي يتوزع الجهد وتكبر ثمرة البحث باختلاف الرؤى والأفكار).

ودع المجتمعون بعضهم بعضا على أمل اللقاء ليلة غد إن شاء الله.

قضى أسامة ومحمد نهارهما بلعب كرة القدم والتسكع مع الأصحاب والضحك، وفي خلال ذلك كان أسامة يخبر أصدقاءه عما كان يدور في جلسات الحوار التي يشارك بها مع محمد، حتى صار كثير منهم يتوق للمشاركة معهم في الجلسات، ولكن أسامة رفض هذه الفكرة لعلمه بأن خالداً لا يرغب في توسيع أطراف الحوار، ولان الباقين لم يحضروا جلسات البحث منذ البداية وهذا يعني انه قد غاب عنهم كثير من الأمور والقواعد التي صارت مسلمة عند المتحاورين الأربعة، وحضور عدد إضافي معناه إعادة الكلام في تلك المواضيع مرة أخرى وهذا يؤخر الحاضرين ويشتت الحوار، ولكنه وعدهم بأن يشرح لهم كل ما يدور في جلسات الحوار وإذا كان أي واحد منهم سؤال فانه يجيب عليه وإذا لم يكن

(١) سورة البقرة الآية رقم ٦١.

عنده جواب فانه يسأل خالداً ومن ثم يرجع لهم جوابه.

رجع خالد ومحمد إلى بيتيهما وقد تواعدا أن يذهبا إلى المكتبة عصرا ليبحثا عما أوصاهما به خالد.

حل المساء، واجتمع الجميع، وبعد السؤال عن الحول والأحوال كتب خالد: (هل لدى أحد منكم سؤال قبل أن ننهي البحث عن موضوع مصحف فاطمة وعلمها صلوات الله وسلامه عليها؟).

هل كانت عائشة أعلم من السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها؟

فكتبت فاطمة: (كما تعرفون أن لكل رسالة تخرج يوجد أستاذ يشرف عليها، وظيفته مساعدة الطالب أو انتقاد المادة المقدمة من قبله، واليوم وحينما كنت أشرح للأستاذة المشرفة على رسالتي عن علم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وما توصلت إليه من نتائج قاطعني أستاذ كان واقفا بقربها وهو من المخالفين وقال: «إن التاريخ يخالف ما توصلتِ اليه، فقد اشتهر أن عائشة بنت أبي بكر كانت أفقه النساء وأعلمهن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان الأكابر من الصحابة يأتونها ويسألونها عن الفقه والعلم[1]، وقد كان من خصائصها أنها أعلم نساء النبي

(١) روى الدارمي في سننه ج٢ ص٣٤٣: (حدثنا عبد الله بن سعيد ثنا عقبة بن خالد عن الأعمش عن مسلم قال سألنا مسروقا كانت عائشة تحسن الفرائض قال والذي لا إله غيره لقد رأيت الأكابر من أصحاب محمد يسألونها عن الفرائض).

وروى أبو بكر بن الخلال في كتابه السنة ج٢ ص٤٧٥ الحديث رقم ٧٥٠: (أخبرنا أبو بكر المروذي قال سمعت أبا عبد الله... وكان الأكابر من أصحاب محمد عليه السلام يسألونها يعني عن الفقه والعلم مثل أبي موسى الأشعري وغيره).

صلى الله عليه وآله وسلم[(١)]، بل هي أعلم النساء على الإطلاق[(٢)]».

فلما أكمل هذا الأستاذ كلامه قالت لي الأستاذة المشرفة: «يجب أن تأخذي كلام الأستاذ على محمل الجد، فإما أن تؤيديه أو تناقشيه، واعرضي عليَّ النتيجة بعد غد».

فودعتها وانصرفت، وقد حاولت طوال النهار أن أجد جواباً لكني لم أفلح، لأن رأسي يؤلمني بسبب الأسلوب الهجومي والصوت العالي الذي كان يصدر من ذلك الأستاذ، وكأنه كان يتقصد إسماع الآخرين ولفت أنظار من حوله من الطلاب والأساتذة).

خالد: (لا عليكِ منه، فكلامه ليس له اعتبار علمي، والواقع يكذبه، والتاريخ الذي يستشهد به هو تاريخ مزور، تم صياغته على وفق رؤى الحكام ومشتهياتهم، وبما أن الحكام كانوا بأجمعهم مناوئين ومعادين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمن الطبيعي أن ينزلوا قدر الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، لأنها زوجة ووالدة أقوى المنافسين والمعارض لتلك الحكومات التي كتبت لنا أحداث التاريخ وتفاصيله.

ومن الطبيعي أيضا أن يرفعوا قدر عائشة عليها لأنها ابنة أول من اختطف حق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وولايتهم، وسن هذا لمن هو بعده، فلا عجب بعد

(١) روى المخالفون لإثبات هذه الفضيلة الكاذبة حديثا مرسلا، فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير ج٢٣ ص١٨٤: (... عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو جمع على نساء هذه الأمة فيهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كان علم عائشة أكثر من علمهن).

(٢) هذا هو مفاد قول الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٤٠ أما نص كلامه فهو كالتالي: (ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقا، امرأة أعلم منها).

هذا أن يتكلم هذا الأستاذ بهذا الكلام، لأنه أحد ضحايا هذا التاريخ الظالم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والغاصب لمنازلهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها).

فاطمة: (وهل عندك جواب على كلامه يا خالي؟).

خالد: (نعم عندي جواب، فالتاريخ الذي يتحدث عنه هذا الأستاذ مثلما ألّه عائشة، وصنع لها صورة أسطورية، هو نفسه التاريخ الذي كذب وحطم هذه الصورة الأسطورية، وهو الذي نقل لنا كثيراً من أحوال وأخبار عائشة التي تؤكد عدم علميتها لأبسط أحكام الدين وعقائده، وهو الذي نقل لنا اعترافاتها وبلسانها وهي تصور نفسها بأنها امرأة لا تمتلك ذلك البعد المعرفي والعلمي، وبحسب عبارتها امرأة «سفيهة»).

محمد: (لا أظنك يا صديقي إلا متحاملا على عائشة، لأن كلامك كله من غير أدلة، ثم كيف يعقل أن تصف عائشة نفسها بأنها سفيهة، إن كلامك عجيب وغريب!).

خالد: (أنا أعطيك الحق أيضاً يا محمد، فأنت ضحية أخرى من ضحايا التاريخ، لأن مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا والى اليوم تبث في عقول الأطفال والكبار مفردات وأخبار هذا التاريخ المزور الكاذب، وتفهمهم بأنه هو التاريخ الحقيقي الذي لا يقبل النقاش، وان كل من يناقشه أو يحاول استيضاحه فإنه كافر خارج عن ربقة الإسلام.

والآن أعود إلى إثبات جهل عائشة بأبسط أحكام وعقائد الإسلام، فضلاً عن التي أكبر من ذلك وأشد تعقيداً، فقد اعترف ابن تيمية في أحد كتبه بأن

عائشة لم تكن تعلم بأن الله سبحانه له قدرة الاطلاع على ما يكتمه الإنسان في نفسه ويخفيه في قلبه[١]، مع أن ذلك من بديهيات عقائد الإسلام ومبادئه، وقد تحدث القرآن في كثير من آياته عن علم الله سبحانه بالضمائر وما تسره الأنفس وتخفيه القلوب، فأين كانت عائشة عن كل هذه الآيات يا ترى؟!.

وكانت عائشة أيضا لا تعلم أن الموتى يعذبون في قبورهم، حتى علمت ذلك من اليهوديتين[٢].

وكذلك لم تكن عائشة تعرف كيف تغسل دم الحيض الذي يقع على ملابسها، لأنها كانت تبلله بريقها وتفركه[٣].

ولا يخفى عليكم ما في هذا الأمر من المحذورات، وواحدة من هذه المحذورات هي أن ريقها غير مطهر، ولا يرفع النجاسة، فإذا صلت في ذلك الثوب لا تقبل صلاتها، فكم صلاة يا ترى صلتها عائشة بهذه الملابس النجسة؟!

---

(١) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٣ ص١٦: (فَهَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ يَعْلَمُ اللَّهُ كُلَّ مَا يَكْتُمُ النَّاسُ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ» وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ذَلِكَ).

(٢) روى مسلم في صحيحه ج٢ ص٩٢: (عن عائشة قالت دخلت علي عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا ان أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال صدقتا انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم قالت فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر).

(٣) روى البخاري في صحيحه ج١ ص٨٠: (عن مجاهد قالت عائشة ما كان لإحدانا إلا ثوب واحد تحيض فيه فإذا أصابه شيء من دم قالت بريقها فقصعته بظفرها).

والعجيب انه لماذا لم تكن تسأل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن الكيفية الصحيحة لغسل هذا الثوب النجس؟! وهو يدخل عليها ويخرج كل ساعة أو أكثر كما يزعمون، هذه أسئلة تحتاج إلى جواب من الذين يدافعون عن عائشة ويقولون بعلميتها.

وكذلك لم تكن عائشة تعرف حكم المسح على الخفين في الوضوء فكانت تأمر من يسألها عن ذلك بأن يسأل غيرها من الصحابة[1]، فهل بعد كل هذا شك في أن عائشة لم تكن أعلم النساء وأفقههن؟!

وأما مسألة اعتراف عائشة بأن فيها سفها وقلة معرفة وحرصاً على اللعب واللهو في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فأشهر من أن يستدل عليه، ويمكنكم مراجعة مسند أحمد بن حنبل وسترون اعترافها بالسفاهة[2]، ويمكنكم مراجعة كنز العمال لترون بأنها كانت لا تحسن ولا تعرف أن تغسل وجه صبي من الصبيان[3]،

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستذكار ج١ ص٢٢٠: (قال أبو عمر احتج بعض من لم ير المسح في الحضر من أصحابنا بحديث شريح بن هانئ «أنه سأل عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين فقالت له سل عليا فإنه كان يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» وليس في الحديث أكثر من جهل عائشة المسح على الخفين وليس من جهل شيئا كمن علمه).

(٢) روي في مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٧٤: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن إسحاق قال حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال سمعت عائشة تقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفى دولتي لم أظلم فيه أحدا فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي).

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣ ص٢٧٢: (عن عائشة قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه ←

وأما حرصها على اللعب واللهو واتخاذها الدمى لتلعب بهن فمذكور في مصادر عديدة[١]، وقد اعترفت أيضا بأنها لم تكن في شبابها تقرأ كثيرا من القرآن[٢]، وقد وصفتها إحدى النساء اللاتي عشن معها زمناً طويلاً بوصف ينم عن الإهمال وقلة المبالاة والاكتراث لما يدور حولها حتى صيرتها تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله[٣].

فامرأة بهذا الوصف وبهذا الشأن والمنزلة كيف أصبحت في ليلة وضحاها

وسلم أن أغسل وجه أسامة بن زيد يوما وهو صبي وما ولدت ولا أعرف كيف يغسل الصبيان! فأخذته فغسلته غسلا ليس بذاك، فأخذه فجعل يغسل وجهه ويقول: لقد أحسن بنا إذ لم يكن جارية، ولو كنت جارية لحليتك وأعطيتك).

(١) روى البخاري في صحيحه ج٧ ص١٠٢: (... عن عائشة قالت كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن منه فيسر بهن إلي فيلعبن معي).

وروى أبو داود في سننه ج٢ ص٤٦٣: (عن عائشة قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه).

(٢) صحيح البخاري ج٣ ص١٥٧: (...وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرآن... ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري...).

(٣) المصدر السابق ص١٤٧: (...وقالت بريرة إن رأيت عليها امرا أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله...).

أفضل نساء النبي علماً وأفضل النساء فقهاً على الإطلاق؟! إن هذا لشيء عجيب)؟!

سكت الجميع وتوقفوا عن الكتابة فعلم خالد أن الموضوع قد استوفى وأخذ استحقاقه فكتب: (إذا لم يكن عندكم سؤال إضافي انتقلنا إلى الموضوع الذي اتفقنا عليه البارحة، فهل تذكرونه؟ وهل ذهبتم إلى المكتبة لجمع ما تستطيعون جمعه؟).

فاطمة: (الموضوع الذي اتفقنا عليه هو حضور السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وبقية المعصومين عند الميت ساعة الاحتضار، وقد ذهبت إلى المكتبة وبحثت، وحينما رجعت إلى البيت بحثت أيضا على الانترنت وفي مكتبة أهل البيت والشاملة).

خالد: (مجهود مبارك يا فاطمة. وأنت يا أسامة ويا محمد ماذا فعلتما؟).

أسامة: (ذهبنا اليوم عصراً وقد جمعنا قدراً لا بأس به من المعلومات، ولكن محمداً (قد أكل رأسي) وسبب لي الصداع من كثرة أسئلته وإشكالاته، فما إن نمر برواية أو قول حتى يعترض، وقد مللت، فلم يسكت عني حتى هددته بأن أخرج من المكتبة وأتركه وحده، وتوعدته بأن لا آتي معه بعد اليوم، فتركني حينها وإلا ما كان ليسكت لولا تهديدي ووعيدي إياه).

محمد: (ماذا أفعل فالأفكار برأسي كثيرة، وكلها بحاجة إلى جواب).

خالد: (لا بأس بأن تكون عندك أسئلة كثيرة، ولكن يجب أن تتعلم شيئاً مهماً، وهو أن المكتبة مكان للقراءة وجمع الأقوال وتسجيل الإشكالات والأسئلة والملاحظات فقط، وهنا وفي أثناء حوارنا يمكنك البحث والسؤال عن حل

لأسئلتك وإشكالاتك، فلا تضيع وقتك ووقت زميلك أسامة بمحاولة إيجاد الأجوبة، واستغل وقتك بالبحث والمطالعة، وإذا كان عندك أسئلة فانتظر الليل واسألنا ولسوف لن نبخل عليك بالجواب، وسنتحمل جميع إشكالاتك كعادتنا).

محمد: (حسنا سأفعل ذلك في الأيام القادمة إن شاء الله).

خالد: (والآن أخبرونا ماذا وجدتم أثناء في بحثكم؟، ولتكن فاطمة أول من يتكلم، فتفضلي يا فاطمة).

تواتر أحاديث حضور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حال الاحتضار

فاطمة: (الشيء المهم الذي وجدته هو اعتراف جملة من علماء المذهب الكبار بشهرة واستفاضة روايات حضور السيدة الزهراء وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند الميت حال الاحتضار، منهم العلامة المجلسي في كتابه البحار[1].

وقد تعدى بعض الأعلام من الحكم بالاستفاضة والشهرة إلى الحكم بتواتر هذه الأخبار، منهم الشيخ المفيد في كتابه أوائل المقالات[2].

---

(١) قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج٦ ص٢٠٠ ــ ٢٠١: (اعلم أن حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملا على ما صدر عنهم عليهم السلام).

(٢) قال الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في أوائل المقالات ص٧٣: (القول في رؤية المحتضرين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة، وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة عليهم السلام).

وقد صرح الحسن بن سليمان الحلي بإجماع علماء الإمامية على رواية هذه الأحاديث وعدم شكهم ولا ارتيابهم برؤية المحتضر لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [١].

وقد رد أبو الهدى الكلباسي في سماء المقال على من رد أحاديث رؤية المحتضر للأئمة الأطهار بحجة انها أخبار آحاد بأن لا يعول عليه ولا يصغى إليه لبلوغ تلك الأحاديث حد التواتر المعنوي [٢].

وبهذه الشهادات نقطع بصدور هذه الأحاديث عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

الرد على من حاول تضعيف أحاديث حضور المعصومين عند المحتضر

خالد: (أحسنتِ يا فاطمة، فإن بهذه المعلومة تثبت هذه الفضيلة العظيمة للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، ويندفع قول من حاول تضعيف هذه الروايات، بحجة أنّ كثيراً منها ورد عن الراوي سهل بن زياد الضعيف.

لأن الخبر إذا تواتر أو استفاض أو اشتهر وحصل الاطمئنان بصدوره عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإنه لا يهم حينئذ أن يكون أحد رواته مقدوحا فيه أو

---

(١) قال الحسن بن سليمان الحلي في كتابه المحتضر ص٥٣: (وكيف يقع الشكّ في مثل هذه الأحاديث المجمع عليها التي يروونها عن الأئمّة «صلوات الله عليهم» جماعة علماء الإماميّة؟ لا يشكّون ولا يرتابون في رؤية المحتضر لهم «عليهم السلام» حقيقة ولا يجوز حملها على المجاز وإلاّ لجاز حمل كثير من الأمور الشرعيّة المنقولة على هوى الأنفس والتجوّز وفيه التشريع).

(٢) قال ابو الهدى الكلباسي في كتابه سماء المقال في علم الرجال: (وما يجاب عنه: بأن ما دل على أنه يرى نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم أجمعين، من باب أخبار الآحاد، فلا يعول عليه، لا ينبغي أن يصغى إليه، لظهور بلوغه حد التواتر المعنوي الذي ينبغي القطع بالصدور).

ضعيفا، لان العبرة كما قلنا سابقا هو في الاطمئنان بصحة صدوره عن المعصوم وليس العبرة بصحة إسناده وعدمها.

فكم من حديث ضعيف عمل به علماء الطائفة لأنهم اطمأنوا لصحة صدوره عن المعصوم فجبر عملهم بهذا الحديث ضعف سنده[١]، وكم من حديث صحيح السند أعرض عنه علماء الطائفة، فكان إعراضهم موجبا لتركه على رغم صحة سنده[٢]).

محمد: (هذا أول إشكال قد أجيب عليه من دون أن أسأل، لأني قد نظرت إلى بعض أسانيد الأحاديث التي تكلمت عن حضور السيدة الزهراء وبقية المعصومين عند الميت حين احتضاره فوجدت بعض الأسانيد ضعيفة، وقد سألت أسامة عنها فغضب مني وقام من قربي وجلس في مكان آخر).

---

(١) يقول السيد الكلبيكاني في كتابه الدر المنضود في أحكام الحدود ج١ ص٣٣١: (...لكن لا يخفى أن الروايات المذكورة ليست معمولا بها بل قد أعرض عنها المشهور، والرواية إذا كانت كذلك تسقط عن حد الاعتبار، وإن كان هناك أيضا بحث مبنائي فذهب بعض إلى أنه لا وجه لرفع اليد عن الرواية المعتبرة بسبب إعراض المشهور عنها، لكن المبنى المعروف المحقق عند كثير وعندنا هو سقوطها بذلك عن الاعتبار، وقد اشتهر أنه كلما ازدادت صحة ازدادت وهناً بإعراض المشهور، وكلما ازدادت ضعفاً ازدادت قوة بعملهم).

(٢) قال الشيخ محمد تقي الآملي في كتابه مصباح الهداية في شرح العروة الوثقى ج٦ ص١٠٦: (والخبر المسند بالسند الصحيح يسقط عن الحجية بالإعراض بل كلما كان أصح من حيث السند يصير بالإعراض عنه أهون).

وقال الشيخ علي پناه الإشتهاري في مدارك العروة الوثقى ج٥ ص٢٠٥: (أنّ الخبر كلَّما ازداد صحّة ازداد ضعفا إذا أعرض عنه الأصحاب).

الدليل الحادي والعشرون: وجه الاستدلال بهذه الأحاديث على أفضلية السيدة الزهراء عليها السلام

خالد: (من منكم يستطيع أن يخبرنا عن كيفية الاستفادة من هذا الحديث لتفضيل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن هو دون منزلتهم؟).

أسامة: (الأمر بسيط، لأننا قد تعلمنا الطريقة من الأبحاث السابقة، فأفضليتها صلوات الله وسلامه عليها تكمن في انفرادها وعدم مشاركة أحد من الأنبياء ولا غيرهم في هذه المرتبة، والانفراد في هذا الشرف دليل على الأفضلية وعلو الرتبة والأشرفية، أليس استدلالي هذا صحيحا؟).

خالد: (نعم صحيح).

محمد: (لكن بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يشاركونها في هذا أيضا، وهذا يعني أنها لا تنفرد بهذا الأمر).

فاطمة: (إن اشتراك بقية المعصومين للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لا يضرها

شيئاً، لان الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما أثبتنا سابقا أفضل من الأنبياء، فيكون المؤدى واحداً، وهو أنها صلوات الله وسلامه عليها من ضمن مجموعة من الأشخاص هم أفضل من بقية البشر، فتكون النتيجة انها أفضل من بقية البشر، وهو المطلوب).

خالد: (وأحب أن أضيف أمراً آخر، وهو أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كلهم نور واحد وطينة واحدة فما يثبت لأحدهم يثبت للجميع من باب أولى، وما يثبت للجميع يثبت للواحد منهم أيضا، واشتراكهم في فضيلة معينة لا يضر، لأن كلهم واحد وواحدهم هو الكل).

محمد: (لم أفهم، كيف يصير الكل واحدا والواحد هو الكل؟).

خالد: (لأقرب لك المطلب بمثال محسوس، فكلنا قد رأى الغيمة، وكلنا قد رأى قطرات المطر النازلة منها، فالغيمة في الواقع ليست هي الا مجموعة من قطرات المطر، وقطرات المطر ليست الا تلكم الغيمة.

وبعبارة أخرى فالغيمة هي عبارة عن قطرات من المطر مجتمعة مع بعضها، وقطرات المطر عبارة عن غيمة تفرقت إلى أجزاء مختلفة.

ولو حللنا كل قطرة لوجدناها متشابهة مع بقية القطرات الأخرى وتحمل كل خواصها وصفاتها، وما يثبت لإحدى تلكم القطرات من الصفات والخواص يثبت أيضا لبقية القطرات الأخرى، والعكس صحيح أيضا، فما يثبت للجميع يثبت أيضا للقطرة الواحدة، فهل صار الأمر واضحا عندك أو أزيد في توضيحه؟).

محمد: (نعم، صار واضحاً).

إمكان رؤية الأحياء للأموات، والمحتضر أولى بذلك

محمد: (أريد أن أسأل سؤالاً آخر، وأنا وإن كنت أعرف ردة فعلكم إلا أني سأسأل، لأني سأموت إذا لم أعرف، وسؤالي هو: ان عقلي لا يتقبل حضور الأئمة والنبي والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأني رأيت عدة من المحتضرين كجدي وجارنا أبا حسين فلم أرَ أو أحس بأنه قد حضر عندهما أحد).

فكتب خالد: (إن عدم إحساسك بما يراه المحتضر ناشئ عن وجود حجاب الدنيا على عينيك وانكشاف هذا الحجاب عن عيني الإنسان المحتضر، فالإنسان ما دام في الحياة الدنيا فإنه محجوب عنه رؤية الملائكة وباقي الموجودات المرتبطة بعالم الآخرة، ولكنه في ساعة الاحتضار يبدأ بمشاهدة ما لم يكن يراه، فيرى الملائكة الذين كانوا يكتبون أعماله، ويرى ملك الموت وأعوانه، ويرى أعماله السيئة أو الحسنة ماثلة أمامه، وقد ورد في القرآن الكريم التصريح بوجود غطاء على أعين الأحياء يمنعهم من رؤية العالم الآخر وموجوداته، فإذا جاءت سكرة الموت كشف عن الإنسان هذا الغطاء وصار بصره حديداً[(١)].

وينبغي أن تعلم أنّ رؤية الميت وعدم رؤيته لا دخل لها بحكم العقل حتى تقول إن عقلي لا يتقبل حضور الأئمة والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند المحتضر، فهذه أمور لا تثبت بحكم العقل[(٢)]، ولا مجال لإثباتها أو إنكارها إلا

---

(١) قال سبحانه في سورة ق الآية ١٩ ــ ٢٢: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ... فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

(٢) ومثلما أن العقل لا يثبتها كذلك العقل لا يمنع من أن يرى المحتضر ملك الموت وأعوانه والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وباقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

عن طريق النصوص الشرعية، فإن دلت النصوص الشرعية على حصول ذلك آمنا به، وإن منعت عنه منعنا عنه أيضا.

وبما ان النصوص الشرعية قد تواترت ـ كما عرفنا ذلك قبل قليل ـ في حضور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند المحتضر فعلينا التسليم والإيمان به، لان بإنكاره نكون قد أنكرنا حديثهم، ورددنا على الأئمة قولهم، وهو باب من أبواب الكفر والعياذ بالله[1]).

فاطمة: (قرأت اليوم في كتاب الأمالي للشيخ الصدوق أعلى الله مقامه أن السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليها لما حان وقت ولادتها للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أرسل الله سبحانه لها أربع نسوة، سارة ومريم وآسيا بنت مزاحم وكلثوم أخت موسى بن عمران[2]، وهذه النسوة الأربع كلهن قد فارقن الحياة الدنيا ومتن، ومع

---

(١) روى محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ص٥٤١: (... عن سعيد بن غزوان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول والله لو آمنوا بالله وحده وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم لم يسلموا لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الآية «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا») .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص٦٩٠ ــ ٦٩١: (...فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا، ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئا. فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك، فبينا هي كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، ←

ذلك فقد رأتهن السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليها.

فإذا كان الله سبحانه قادراً على أن يري الأحياء بعض الأموات، فانه قادر أيضا على أن يجعل الإنسان المحتضر يرى ملك الموت وأعوانه والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية المعصومين ومنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، بل إن مسألة الاحتضار أسهل لان الحجاب بينه وبين العالم الآخر مرفوع).

كيف يحضر النبي والأئمة والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أماكن شتى وفي وقت واحد؟

أسامة: (أنا لا أنكر حضور النبي وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما دامت الروايات قد نطقت بذلك، وما دمنا قد أمرنا بالتسليم لأقوال وروايات المعصومين الصحيحة، ولكني كنت أفكر انه كيف يمكن للنبي والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن يحضروا في عدة أماكن من الدنيا في وقت واحد، فكلنا يعلم أن في اللحظة الواحدة يوجد عشرات أو مئات الأشخاص يموتون، فإذا قلنا ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها يحضرون كل هؤلاء فهذا يعني أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سيكونون في العراق وفي نفس الوقت في أفريقيا وفي اليابان وأمريكا والصين والهند وغير ذلك من الأماكن، وهذا مستحيل بحكم العقل، أليس كذلك؟).

خالد: (ان عدم إمكان حضور الجسم الواحد في أكثر من مكان واحد إن

← بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها...).

سلمنا به فهو في عالم الدنيا، فالقوانين الدنيوية لا تمكن الجسم الواحد من أن يحضر في أكثر من مكان واحد، اما في القوانين الأخروية وقوانين ما وراء المادة فإن الأمر يتغير حتماً، والمحتضر كما بينا سابقا يدخل حال احتضاره في قوانين الآخرة وقوانين ما وراء المادة، فيمكن حينئذ أن يرى عدة محتضرين النبي والأئمة في نفس الوقت وفي أماكن مختلفة من العالم.

ومثلما يجوز أن يحضر ملك الموت عند آلاف الأشخاص المحتضرين في وقت واحد وأماكن متعددة، ومثلما يمكن للشيطان أن يحضر عند آلاف الناس ساعة الاحتضار لإغوائهم وصدهم عند الموت عن التوبة، كذلك يمكن لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن يحضروا عند آلاف المحتضرين في وقت واحد وبأماكن متعددة بتعدد المحتضرين.

إذ ليسوا بأقل مرتبة ومنزلة عند الله سبحانه من ملك الموت أو الشيطان لعنه الله، فالذي أعطى ملك الموت والشيطان هذه القدرة، قادر أيضا على أن يعطي آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هذه القدرة أيضاً، بل وبحسب النصوص الشريفة إن الله سبحانه قد أعطاهم من المراتب والمزايا ما لم يعطِ مثلها لأحد من العالمين، كما ورد في الزيارة الجامعة: «آتاكم اللَّه ما لم يؤت أحداً من العالمين»).

فاطمة: (أحسنت يا خالي فأمثلتك واضحة جداً، وأحب أن أضيف على كلامك، أن الشيطان لعنه الله حتى على وفق القوانين المادية الدنيوية أيضا له قابلية الحضور للوسوسة والإضلال عند ملايين الناس في وقت واحد وأماكن مختلفة، فلماذا لا نستغرب أن يكون للشيطان وهو أرذل عباد الله وأعصاهم هذه القابلية

ونستغرب ان تعطى هذه القابلية للنبي الأعظم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم أعظم الموجودات منزلة وأكملهم شأنا).

أسامة: (الشيطان أو ملك الموت إنما أعطي هذه القابلية لأنه مخلوق بكيفية خاصة لها قابلية الحضور عند الملايين في وقت واحد، فكيف نقيس عليه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم لم يخلقوا مما خلق منه ملك الموت أو الشيطان لعنه الله؟!).

خالد: (نحن استدللنا بهذين الموجودين ـ ملك الموت والشيطان لعنه الله ـ على إمكان أن يكون للموجود الواحد حضور متعدد في زمن واحد، من باب تقريب المطلب للذهن ليس إلا، وقلنا إذا جاز أن يعطي الله سبحانه هذه القابلية لملك الموت الذي هو أدنى من أهل البيت مرتبة وكمالا، بل لعدو الله وعدو الأنبياء الشيطان لعنه الله، فلماذا نستكثرها على أهل البيت ونتعجب من اتصافهم بها، وإلا فإن الروايات الشريفة لوحدها كافية لإثبات هذا الأمر، ومن شاء فليؤمن بهذه الروايات ومن شاء فليكفر بها.

ثم إن خلق ملك الموت والشيطان لعنه الله بكيفية خاصة لا يمنع من أن يعطي الله سبحانه لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس هذه الكيفية الخاصة بعد خروجهم من عالم الدنيا وقوانين المادة، لان الله سبحانه على كل شيء قدير).

أحضورهم حضور حقيقي أم مجازي؟

أسامة: (ولماذا نصر على أن حضورهم عند الميت حقيقي، بمعنى أنهم يأتون إلى الميت فعلا بأجسادهم وحقيقتهم؟، ولماذا لا نقول بأن حضورهم

مجازي، وإن معنى رؤية المحتضر لهم هو العلم بثمرة ولايتهم بعلامات يجدها في نفسه لا يرتاب معها، دون رؤية البصر لأعيانهم ومشاهدة النواظر لأجسادهم.

والقرآن الكريم أطلق لفظ الرؤية على العلم بثمرة الأعمال في أكثر من آية، كما في قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ»(١) وإنما أراد سبحانه بالرؤية ههنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين الذي لا يشوبه ارتياب.

وحتى لا تتسرعوا في رد كلامي أحب أن أخبركم أن هذا القول ليس قولي، لأني قد بحثت ووجدت أن ثلاثة من علماء الطائفة يقولون به وهم كل من:

١: الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه(٢).

---

(١) سورة الزلزلة الآية رقم ٧ ـ ٨.

(٢) قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات ص٧٤: (القول في رؤية المحتضرين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة، وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة عليهم السلام ... غير أني أقول فيه إن معنى رؤية المحتضر لهما ـ عليهما السلام ـ هو العلم بثمرة ولايتهما، أو الشك فيهما والعداوة لهما، أو التقصير في حقوقهما على اليقين بعلامات يجدها في نفسه وأمارات ومشاهدة أحوال ومعاينة مدركات لا يرتاب معها بما ذكرناه، دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتصال الشعاع، وقد قال الله ـ عز وجل ـ: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»، وإنما أراد ـ جل شانه ـ بالرؤية هيهنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين الذي لا يشوبه ارتياب. وقال سبحانه: «فمن كان يرجوا لقاء ربه فإن أجل الله لآت». ولقاء الله تعالى هو لقاء جزائه على الأعمال وعلى هذا القول محققو النظر من الإمامية، وقد خالفهم فيه جماعة من حشويتهم، وزعموا أن المحتضر يرى نبيه ووليه ببصره كما يشاهد المرئيات وإنهما يحضران مكانه ويجاورانه بأجسامهما في المكان).

٢: السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه[(١)].

٣: الشيخ الطبرسي رضوان الله تعالى عليه[(٢)]).

خالد: (بالمناسبة الآن قد تذكرت بأني أخذت في العام الماضي دروساً في علم الكلام، وفي أحد الدروس أثير مبحث إمكان أو استحالة أن يكون للجسم حضور متعدد في زمن واحد، وقد تعرض أستاذنا إلى هذا المبحث بشكل تفصيلي، وفي الأثناء ناقش روايات حضورهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند المحتضرين، وقد كتبت الدرس في كراس سأجلبه لكم خلال ثوانٍ وأنقل لكم أهم الأقوال في المسألة، عن إذنكم وسأعود خلال لحظة).

---

(١) قال الشريف المرتضى في رسائله ج٣ ص١٣٣ ـ ١٣٤: (مسألة: عن المحتضر هل يشاهد في تلك الحال جسم الإمام نفسه أم غير ذلك؟ الجواب: قد روت الشيعة الإمامية أن كل محتضر يرى قبل موته أمير المؤمنين عليه السلام... وإذا صحت هذه الرواية، فالمعنى: أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايته عليه السلام وانحرافه عنه، لأن المحتضر قد روي أنه إذا عاين الموت وقاربه، أري في تلك الحال ما يدله على أنه من أهل الجنة أو من أهل النار... وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن أمير المؤمنين عليه السلام جسم، فكيف يشاهده كل محتضر، والجسم لا يجوز أن يكون في الحال الواحدة في جهات مختلفة. ولهذا قال المحصلون: إن ملك الموت الذي يقبض الأرواح لا يجوز أن يكون واحدا لأنه جسم والجسم لا يصح أن يكون في الأماكن الكثيرة، وتأولوا قوله تعالى «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم» أنه أراد بملك الموت الجنس دون الشخص الواحد، كما قال الله تعالى «وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها» وإنما أراد جنس الملائكة).

(٢) قال الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان ج٣ ص٢٣٧: (فالمراد برؤيتهم في تلك الحال: العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم، على اليقين، بعلامات يجدونها من نفوسهم، ومشاهدة أحوال يدركونها. كما قد روي أن الإنسان إذا عاين الموت، أري في تلك الحالة ما يدله على أنه من أهل الجنة، أو من أهل النار).

ذهب خالد إلى مكتبته الشخصية وبحث في مجموعة من الأوراق والدفاتر حتى وجد ضالته ومن ثم عاد ليكمل جلسة الحوار، وبعد أن قلب في الأوراق قليلا وقرأ بعض رؤوس السطور كتب: (توجد عدة ردود على كلام الشيخ المفيد والسيد المرتضى أعلى الله مقامهما وأنا سأذكر هذه الردود على شكل نقاط ليسهل فهمها وترتيبها:

أولا: إن تأويلهما لا شاهد عليه من القرآن والسنة النبوية

فقد أشكل الشيخ الحسن بن سليمان الحلي في كتابه المحتضر على رأي الشيخ المفيد بأن إنكاره للرؤية البصرية وتأويلها بالعلم بثمرة ولايتهما أو عداوتهما هو شيء لم يستند فيه الشيخ المفيد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل إن السنة النبوية جاءت على خلاف رأيه[(١)].

وهذا القول من الشيخ الحسن بن سليمان الحلي وإن جاء كرد على كلام الشيخ المفيد الا أنه يمكن أن يكون رداً على كلام السيد المرتضى والشيخ

---

(١) قال الشيخ الحسن بن سليمان الحلي في كتابه المحتضر ص١٦: (فيقال له: أهذا الذي أنكرت من رؤية البصر لأجسادهما بعينهما عليهما السلام وقلت: إنّه ليس المراد بل المراد العلم بثمرة ولايتهما أو عداوتهما، هل هو شيء استندت فيه إلى برهان من الكتاب أو السنّة يجب التسليم له والانقياد له والاعتماد عليه؟! كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال ومن أخذ دينه من الكتاب والسنّة زالت الجبال ولم يزل. أوَ أخذته من غيرهما؟ فإذا وجدنا هذا التأويل لا يوافق الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام، الصريحة الصحيحة، من أنّ الأموات يرون الأموات والأحياء بعد الموت، وكذلك الأحياء يرونهم حقيقة في اليقظة والنوم، ويرون أهاليهم وما يسرّهم فيهم وما يغمّهم).

الطبرسي أعلى الله مقامهما أيضا.

أسامة: (كيف تقولون إن الشيخ المفيد ليس لديه دليل قرآني وقد استدل بآيتين من القرآن على إمكان استعمال الرؤية في رؤية ثمرة الأعمال، الأولى هي قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شَراً يَرَهُ»[1]، والثانية هي قوله تعالى: «مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّه فَإِنَّ أَجَلَ اللَّه لآَت»[2]؟).

خالد: (إن قياس الرؤية في الآيتين على الرؤية في أحاديث حضورهم عند المحتضر قياس مع الفارق، لان الرؤية في الآيتين لابد من تأويلهما وعدم حملهما على الظاهر لأنهما قد تعلقتا بأمر لا يمكن رؤيته بحاسة البصر، فالعمل ليس جسما حتى يمكن رؤيته بحاسة البصر، وكذلك ذات الباري عز وجل، فلذلك ساغ التأويل وجاز، اما الرؤية المقصودة في أحاديث الاحتضار فإنها متعلقة بذوات قابلة للرؤية، فلا يلزمنا التأويل ما دام هنالك مجال للأخذ بظاهر اللفظ وحمله على الحقيقة).

أسامة: (وكيف تقولون إن السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه لا شاهد على كلامه وقد قدم دليلا على كلامه حينما قال: «والجسم لا يجوز أن يكون في الحال الواحدة في جهات مختلفة» وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان؟).

خالد: (إن بعض الظواهر قد اعتاد الإنسان على رؤيتها فظن بأن هذا الذي اعتاد على رؤيته قانون لا يمكن خرقه أو انفكاكه، فقد اعتاد مثلا على أن تكون

---

(١) سورة الزلزلة الآية رقم ٧ ـ ٨.

(٢) سورة العنكبوت الآية رقم ٥.

النار حارقة، أو أن جسما ضخما لا يمكن نقله من بلد إلى آخر إلا بعد أيام أو ساعات طويلة من الجهد والتعب، متناسيا أن هذه القوانين والأسباب والعلل هي من صنع الله وتدبيره وأن بإمكان الله سبحانه أن يوجد ما يشاء مما يشاء وان يحول بين هذه القوانين وبين آثارها وخصائصها، كما حال بين نبي الله إبراهيم وبين النار التي ألقاه فيها النمرود[(١)]، أو كما سخر لوصي سليمان الأسباب فجاء بعرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه[(٢)]، وهذا الأمر نفسه ينطبق على ما قدمه السيد المرتضى من دليل، فإن الجسم وإن كان من خواصه وصفاته أن لا يتواجد في وقت واحد في أكثر من مكان، إلا ان الله سبحانه قادر على أن يحول دون ذلك، ويوجد في الجسم هذه القابلية، فليس هذا بأعظم من جعل النار المحرقة بردا وسلاما، والشك في هذا الأمر شك بقدرة الله سبحانه «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(٣)].

(١) قال تعالى في سورة الأنبياء الآية رقم ٦٨ ـ ٦٩: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ).

(٢) قال تعالى في سورة النمل الآية رقم ٣٩ ـ ٤٠: (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ).

(٣) قال الحسن بن سليمان الحلي في كتابه المحتضر ص١٧: (ولو سُئِلَ المنكر لرؤية المحتضر لهما ـ أي للنبي وعلي ـ صلّى الله عليهما عند موته عياناً: هل يقدر الله سبحانه أن يُري المحتضرين الحجج صلوات الله عليهم عند الممات وبعده كما أقدر النائم أن يرى من يراه في أبعد البلاد في حياة المرئي، وبعد موته، على صورته وقالبه الذي كان يعرفه به، وربّما أكل معه وشرب وتحدّثا بما قد يفيد العلم أو لا يقدر؟ لا سبيل إلى إنكار القدرة، فإذا جاز وقوعها فلا يجوز تأويله والعدول عن الظاهر من غير ضرورة ولا امتناع).

إضافة إلى ذلك فإن مبحث عدم جواز أن يكون الجسم في الحال الواحدة في جهات مختلفة هو خاص بالأجسام الطبيعية المادية، أما الأجسام اللطيفة والأرواح المجردة فلا تندرج تحت هذه القاعدة، وهذه القاعدة اكتشفت بعد زمن السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه حتى صارت اليوم من الواضحات[(١)].

ثانيا: انهما انفردا في تأويل هذه الأخبار خلافا لعامة علماء المذهب

وكتب خالد أيضا: (والذي يهون الخطب أن الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطبرسي رضوان الله تعالى عليه تبعا لهما قد انفردا في هذا التأويل، وقد صرح السيد نعمة الله الجزائري ان أحدا من العلماء الذين جاؤوا من بعد الشيخ المفيد والسيد

---

(١) قال السيد محمد علي القاضي في تعليقته على الأنوار النعمانية وعلى ما نقله عنه أحمد الرحماني الهمداني في كتابه الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ص٤٣٧: (والدليل العقلي الذي أوجب لسيدنا علم الهدى، وشيخه الأعظم، شيخنا المفيد، أن ذهبا إلى تأويل الدلائل النقلية الواردة عن أئمتنا: فهو بالنظر إلى الأجسام الطبيعية المادية ومكانها دليل تام لا شك فيه بحسب الظاهر، فإن من الواضح أن حضور الجسم الواحد في آن واحد وحالة واحدة في أمكنة متعددة وجهات مختلفة غير ممكن، ولكن لما لم يتحقق في زمن السيد رحمه الله هذه المباحث على نحو التحليل العلمي، لذا ذهب السيد رحمه الله إلى ذلك التأويل، وأما اليوم فقد حقق في محله أن حضورهم عليهم السلام عند المحتضر لا ينحصر أن يكون في مكان الأجسام الطبيعية كما يتخيل في بادي النظر حتى يرد ذلك الأشكال العقلي، بل من الممكن أن يكون حضورهم في مكان الأجسام اللطيفة أو مكان الأرواح المجردة. ولهم عليهم السلام بحسب نفوسهم القدسية القدرة والاستعداد بالتصرف في جميع الأمكنة من أمكنة الأجسام الكثيفة واللطيفة والأرواح الأدنى والوسطى والعليا، وإحاطة التصرف في عالم الملك والملكوت بإذن الله تعالى وإقداره. نعم، إن كان المكان منحصرا إلى مكان الجسم المادي فقط فيرد حينئذ ذلك الإشكال العقلي).

المرتضى لم ينكر حضورهم الحقيقي، أو قال بالتأويل الذي ذهب إليه المفيد وتلميذه المرتضى[(١)].

وكلمات العلماء كثيرة في رفض التأويل الذي ذهب إليه هذان العلمان، منها ما ذكره العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه[(٢)]، وما ذكره الحسن بن سليمان الحلي الذي ألف كتابا خاصا لرد هذا التأويل أسماه «المحتضر[(٣)]»، وما ذكره الفيض الكاشاني[(٤)]، وغيرهم الكثير ممن يطول ذكرهم.

أسامة: (إن الشيخ المفيد صرح بأنه ليس الوحيد الذي يذهب إلى تأويل هذه الأحاديث، وان محققي النظر من الإمامية في عصره هم أيضا على نفس قوله

---

(١) قال السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية ج٤ ص٢١٠ ط. تبريز: (ولم يذهب أحد من الأصحاب إلى تأويل هذا ولا إلى إنكاره. نعم، ذهب سيدنا الأجل علم الهدى ــ تغمده الله برحمته ــ إلى تأويله... والعجب منه كيف ارتكب تأويل هذه الأخبار الكثيرة مع أن بعضها من جهة صراحته في المطلوب غير قابل للتأويل لهذا الدليل العقلي).

(٢) قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج٦ ص٢٠٢ بعد ان ذكر خمسة أوجه خامسها للسيد المرتضى: (ولا يخفى أن الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات رد للأخبار، وطعن في الآثار).

(٣) قال الشيخ الحسن بن سليمان الحلي في المحتضر ص١٧: (هبك علمت أن شرط الرؤية في هذا العالم اتصال الشعاع من الرائي إلى المرئي فمن أين لك أن هذا الحكم يجري بعد الموت في عالم البقاء؟! والله سبحانه يقول: «وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً »، ويقول: «وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ»، وقد جاء في الحديث عنهم عليهم السلام: «لا تقدر عظمة الله تعالى على عقلك فتهلك، فقدرته سبحانه بلا كيف ولا يحيط بها العلم»...).

(٤) قال الفيض الكاشاني في علم اليقين ج٢ ص٨٥٦: (إن هذه الرؤية إنما تكون في النشأة البرزخية لا الحسية، وإن ذلك حقيقة لا تجوز فيه).

وتأويله، فلا يصبح تأويله حينئذ شاذاً ولا منحصرا به وبالسيد المرتضى كما تزعمون).

خالد: (إن الشهرة التي ادعاها الشيخ المفيد أعلى الله مقامه لم نرَ لها شاهدا في كتب القدماء رضوان الله تعالى عليهم، وبما انه لم يذكر لها شواهد ولا أسماء للقائلين بها، فتبقى مجرد شهرة منقولة وليست شهرة محصلة، كما يقولون.

وحتى لو سلمنا بوجود شهرة كهذه في عصره رضوان الله تعالى عليه فإنها اليوم غير مهمة، لان هذه الشهرة قد تبدلت بعد عصره وانقلبت إلى خلاف رأيه رضوان الله تعالى عليه، فأصبح المشهور عدم قبول تأويله، والمشهور اليوم يحمل هذه الأحاديث على ظاهرها من دون مجاز أو تأويل، فتنقلب بذلك حجية الشهرة إلى ما يقوله المتأخرون، وهذا أمر كثيرا ما يحصل، فالقدماء مثلا كانوا يطبقون على القول بنجاسة ماء البئر بمجرد ملاقاة النجاسة، اما اليوم فإجماع كلمة علماء الطائفة على ان ماء البئر حكمه حكم الماء الجاري لا ينجس إلا بالتغير[(١)].

إذن فتبدل الحكم بتبدل الزمان وتطور الفكر وتبلور البحث جائز بل هو كثير الوقوع، والشهرة التي تكلم عنها الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه مشمولة بهذه القاعدة).

---

(١) قال السيد اليزدي في العروة الوثقى ج١ ص٩٦: (ماء البئر النابع بمنزلة الجاري لا ينجس إلا بالتغير، سواء كان بقدر الكر أو أقل، وإذا تغير ثم زال تغيره من قبل نفسه طهر، لأن له مادة، ونزح المقدرات في صورة عدم التغير مستحب، وأما إذا لم يكن له مادة نابعة فيعتبر في عدم تنجسه الكرية، وإن سمي بئرا، كالآبار التي يجتمع فيها ماء المطر ولا نبع لها).

ثالثا: ألفاظ الأحاديث صريحة بالحضور الحقيقي دون المجازي

وكتب خالد أيضا: (والعجب من الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه كيف ذهب إلى تأويل هذه الروايات الشريفة مع أن ألفاظها صريحة في الحضور الحقيقي ولا تقبل التأويل، ولنا على ذلك عدة شواهد منها:

الشاهد الأول

رواية يوسف بن ظبيان قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟ قلت: يقولون: في حواصل طيور خضر. فقال: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة من ملائكة الله عز وجل المقربين، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد وللنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة والولاية لأهل البيت عليهم السلام شهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقربون معهم، وإن اعتقل لسانه فإن نبيه عليه السلام يعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به، وشهد على شهادة النبي صلى الله عليه وآله علي وفاطمة والحسن والحسين. على جماعتهم من الله أفضل الصلاة والسلام. ومن حضر معهم من الملائكة، فإذا قبض الله روحه إليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته في الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»[١].

---

(١) راجع الأمالي للشيخ الطوسي ص٤١٩.

وهذه الرواية صريحة لا تقبل التأويل كما صرح به الشيخ الحسن بن سليمان الحلي بقوله: «فقوله عليه السلام: «إذا كان ذلك أتاه رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ومعهم ملائكة الله المقرّبون عليهم السلام، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة لله بالتوحيد، وللنبيّ بالنبوّة، ولأهل البيت بالولاية، شهد على ذلك رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ومن حضر معهم من الملائكة «صلوات الله عليهم أجمعين»، صريح بحضورهم عنده على الحقيقة؛ لسماعهم قوله وشهادتهم على إقراره واعترافه دون المجاز، ولا يجوز العدول عن هذا الظاهر من الحديث وتأوّله بشيء لم يدلّ عليه الحديث ولا غيره من الأحاديث، ولو جاز هذا التأويل والعدول لجاز تأويل كلّ ما جاء عنهم عليهم السلام من أسرارهم التي أمروا أهل ولايتهم باحتمالها وأن لا ينكروها لعدم احتمال عقولهم لها»[1].

الشاهد الثاني

ومنها ما عن أبي حمزة الثمالي قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما يصنع بأحدنا عند الموت؟ قال: أما والله يا أبا حمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منا إلا أن يبلغ نفسه ههنا ــ ثم أهوى بيده إلى نحره ــ ألا أبشرك يا أبا حمزة؟ فقلت: بلى جعلت فداك، فقال: إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه، يقعد عند رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تعرفني؟ أنا رسول الله هلم إلينا، فما أمامك خير لك مما خلفت، أما ما كنت تخاف فقد أمنته، وأما ما كنت ترجو فقد هجمت عليه، أيتها الروح أخرجي

---

(١) راجع المحتضر للحسن بن سليمان الحلي ص٢٢.

إلى روح الله ورضوانه، ويقول له علي عليه السلام: مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قال: يا أبا حمزة؟ ألا أخبرك بذلك من كتاب الله؟ قول الله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

وفي الرواية ألفاظ صريحة بالرؤية على الحقيقة لا تقبل التأويل كقعودهما صلوات الله وسلامه عليهما عند رأس المحتضر وغير ذلك، فهذا لا ينسجم كليا مع ما تأوله الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه.

الشاهد الثالث

ومنها ما عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه انه قال: «إن المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين، والمتخذ لعلي بعد محمد إمامه الذي يحتذي مثاله، وسيده الذي يصدق أقواله ويصوب أفعاله ويطيعه بطاعته من يندبه من أطائب ذريته لأمور الدين وسياسته، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يرد ونزل به من قضائه ما لا يصد، وحضره ملك الموت وأعوانه وجد عند رأسه محمدا رسول الله، ومن جانب آخر عليا سيد الوصيين، وعند رجليه من جانب الحسن سبط سيد النبيين، ومن جانب آخر الحسين سيد الشهداء أجمعين... ينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن أعينهم ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثوابا لشدة المحنة عليهم... فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على ملك الموت فيقول: يا ملك الموت استوص بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومؤثرنا، فيقول

له ملك الموت: يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما أعد الله له في الجنان، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: لينظر إلى العلو فينظر إلى ما لا يحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب»(١).

وهذه الرواية أيضا صريحة في حضورهم العيني وليس التأويلي، لان بها ألفاظا صريحة كقعودهم أو وقوفهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جهات مختلفة وانحاء شتى، وكلامهم معه وكلامه معهم ومع ملك الموت كل هذا وغيره لا ينسجم إلا مع الرؤية على نحو الحقيقة لا المجاز.

الشاهد الرابع

ومن الروايات المؤيدة لحضورهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند الإنسان المحتضر على نحو الحقيقة ما رواه مسمع بن عبد الملك عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: «يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام... أفما تذكر ما صنع به، قلت: نعم، قال: فتجزع، قلت: اي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويؤمنون إذا آمنا، أما انك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الام الشفيقة على ولدها...»(٢).

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٦ ص١٧٤.

(٢) الرواية بكاملها موجودة في كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٠٥ الباب ٣٢ ثواب من بكى على الحسين بن علي عليهما السلام.

ووحدة الملاك في هذه الرواية تثبت بوضوح أن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يحضرون عند من يحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم حتى وإن كانوا بالعشرات او المئات وحتى وإن كان موتهم في نفس اللحظة وفي إنحاء مختلفة من العالم، ولم أطّلع على من تأول هذه الرواية وحملها على غير ظاهرها.

الشاهد الخامس

ويؤيد حضورهم الحقيقي عند المحتضر ما أفتى به جملة من مراجع الدين العظام بإمكان حضور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما وبقية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مجالس عزاء سيد الشهداء الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه[1] على كثرتها واختلاف أماكنها وإقامتها في وقت واحد.

---

(١) منهم السيد الخوئي رضوان الله تعالى عليه في كتابه صراط النجاة ج٣ ص٣٢١ السؤال رقم ١٠٠٠: (ترشد بعض الروايات إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء «عليها السلام» يحضرون مآتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام فما رأي مولانا الكريم، وعلى فرض الورود فهل يشمل حضور بقية الأئمة «عليهم السلام»؟ ـ فأجاب السيد ـ الخوئي: هذا أمر ممكن، وبعض الروايات دلت عليه، والله العالم).

ومنهم الميرزا التبريزي في تعليقته على كتاب صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات للسيد الخوئي ج٣ ص٤٣٩: (س١٢٦٣: هل يجوز الاعتقاد بأن الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام تحضر بنفسها في مجالس النساء في آن واحد، في مجالس متعددة بنفسها ودمها ولحمها؟ - الجواب ـ: الحضور بصورتها النورية في أمكنة متعددة في زمان واحد، لا مانع منه، فإن صورتها النورية خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسما عنصريا ليحتاج إلى الزمان والمكان، والله العالم).

رابعا: الروايات الأخرى تؤيد الحضور العيني ولا مؤيد لتأويل الشيخ المفيد

وكتب خالد أيضا: (وحضورهم الحقيقي العيني مؤيد أيضا بروايتين معتبرتين عن الإمام الرضا عليه السلام قال فيهما: «من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»[1].

ومعلوم أن هنالك ملايين أو مليارات من الناس قد زاروا الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه من حين استشهاده والى يوم القيامة ووفق الحديث انه سيحضر في تلك المواقف الثلاثة مع كل واحد من زائريه على حدة ليخلصه ويستنقذه من أهوالها، فمن له القدرة على أن يحضر مع مليارات من الناس في وقت واحد بإذن الله سبحانه وإقداره، له القدرة أيضا ان يحضر مع آلاف المحتضرين في وقت واحد بإذن الله سبحانه وإقداره.

ومؤيد أيضا بالرواية عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه وقوله لمحمد ابن علي النيسابوري: (...عرف أصحابك وأقرأهم مني السلام وقل لهم: إني ومن يجري مجراي من الأئمة لابد لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كنتم، فاتقوا الله في أنفسكم).

وهذا أيضا كسابقه فإن من أعطاه الله سبحانه القدرة على أن يحضر آلاف الجنائز في وقت واحد وفي بلدان متفرقة قادر أيضا أن يحضر آلاف المحتضرين في وقت واحد وأماكن شتى.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص١٨٣،

وجدير بالذكر أن هاتين الروايتين ـ رواية الكاظم والرضا صلوات الله وسلامه عليهما ـ لم أرَ أحداً من العلماء قد حملها على غير ظاهرها أو أوّلها على النحو الذي أول به الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطبرسي رضوان الله تعالى عليهم، بل حملوها على ظاهرها ولم يفسروا الحضور بغير معناه الحقيقي.

فهذه أربعة ردود على رأي الشيخين المفيد والطبرسي والسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليهم وأترك بقية الردود لأنها صعبة وتحتاج إلى خلفية ومعرفة بالمصطلحات الفلسفية والكلامية).

خامسا: نؤمن بالحضور العيني ولكن لا نقطع بالكيفية

وكتب خالد أيضا: (وقبل أن أنهي هذا المطلب أود أن أقول: إنه إلى الآن قد ثبت لدينا بأن النبي الأعظم والإمام أمير المؤمنين والسيدة الزهراء وباقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يحضرون عند الميت ساعة احتضاره وإن حضورهم يكون حضورا عينيا وليس مجازيا، أما كيفية حضورهم فغير معلومة لدينا، ولا يجب علينا الفحص عنها وعن تفاصيلها[1]، لان عالمنا المادي يختلف من حيث

---

(١) وأفضل ما قيل في هذا المجال هو ما جاد به العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في بحار الأنوار ج٦ ص٢٠١: (وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملا على ما صدر عنهم عليهم السلام).

وقال في ص٢٠٢: (والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها، وعدم التعرض لخصوصياتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام كما مر في الأخبار التي أوردناها في باب التسليم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

القوانين والإمكانيات عن عالم البرزخ والقيامة، فعالم الدنيا على ما فيه من عجائب التدبير والقوانين التي تحير العقول إلا انه أخس العوالم من حيث الإمكانات والقدرة، وعليه فلن نستطيع ونحن أبناء هذا العالم فهم ذلك العالم وقوانينه وحيثياته وكيف تسير الأمور فيه، فينتج من هذا كله ان الأيمان بما جاء في الروايات واجب وتفسير كيفيته موكولة إلى قائليه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عملا بالأحاديث الشريفة[1].

والآن أترك لكم الكلام فإذا كان عندكم ملاحظة أو تعليق على ما ذكرت فتفضلوا، وان لم يكن عندكم تعليق انتقلنا إلى سؤال آخر).

ما هي فوائد حضورهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند المحتضر؟

محمد: (لقد انقدح في ذهني إشكال، وهو: لماذا هذا الإصرار العظيم على حضورهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند الموتى ساعة احتضارهم؟ ولماذا لا يترك الميت على حاله ومن ثم يأخذ جزاءه يوم القيامة فان كان صالحا فإلى الجنة وإن كان مسيئا فإلى النار وبئس المصير؟).

خالد: (أنت يا محمد تقول هذا القول لأنك الآن جالس على كرسيك مستريح منعم بأنواع النعم، فأنت بين أم ترعاك وتقوم على تلبية احتياجاتك، فإذا

---

(١) روى الشيخ محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ص٤٢: (...عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال إن حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به الا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت قلوبكم فردوه إلينا) والأحاديث في هذا المعنى مستفيضة.

جعت أشبعتك، وإذا مرضت سهرت على رعايتك وتطبيبك، وبين أب مشفق لا تتمنى أمنية إلا وسعى في تحقيقها لك، ولا تسمع الا ما يريحك، ولا ترى الا ما يريحك، ولا تجلس إلا على ما يريحك، فأنت سيد نفسك، والكل بخدمتك.

ولكن هذا الوضع كله سيتغير في عالم الآخرة، والموت هو أول مراحل هذه الحياة الطويلة الأبدية، والاحتضار أول منزلة من منازل الموت، وهو بمثابة باب يطل منه الإنسان على عالم الآخرة وعجائبه، وفي الاحتضار يرى الإنسان ما لم يكن يراه في عالم الدنيا، ويسمع ما لم يكن يسمعه فيها، فيرى أعماله ماثلة أمامه، فان كان مؤمنا يراها بالصورة الحسنة، وان كان مسيئا يراها بصورة بشعة مرعبة.

ويرى الملائكة حافين به وقد نزلوا لقبض روحه، وبأيديهم حراب من نار وأغلال وأشياء مرعبة لو رآها أهل الدنيا لماتوا من رعبهم.

ويرى أيضا الشياطين تحوم حوله من كل جهة يريدون أن يسلبوا منه إيمانه ويخوفوه لقاء ربه، ويحببوا إليه الكفر ويكرهوا له الإيمان[1]، وكيف لا يفعلون ذلك وهذه آخر فرصة لديهم للنيل من هذا الإنسان المسجى، فان هم استطاعوا ان يشككوه في أصل من أصول دينه فقد كفر وخسر خسراناً عظيماً، وفازوا هم وأضافوا إلى زمرتهم مسكينا آخر.

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٣ ص١٢٤: (عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به إبليس من شيطانه أن يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يموت. وفي رواية أخرى قال: فلقنه كلمات الفرج والشهادتين وتسمي له الإقرار بالأئمة عليهم السلام واحدا بعد واحد حتى ينقطع عنه الكلام).

والمحتضر فوق كل هذه الشدائد العظام والمحن الجسام يدير بعينيه إلى أهله وأولاده وأمواله، فهو ما بين خائف لما سيقع على أهله وعياله وما سينزل بهم بعد رحيله، وبين متحسر على نفسه وقلة عمله، فهو محبوس اللسان قد منع عن الأكل والشرب والكلام، فلا وصية يستطيع ولا حسرة تنفعه.

كل هذا والإنسان بعد في حالة الاحتضار، أما مرحلة الموت فلا يعلم بصعوبتها ولا آلامها الا الله سبحانه، فقد روي ان الموت بالنسبة لبعض الأشخاص كلدغ الافاعي ولسع العقارب، ولبعض الموتى هو أشد من النشر بالمناشير، أو كمن يربط من يديه ورجليه ويرمى بالحجارة والصخور من كل جانب وعلى كل أعضائه، أو كمن يوضع في الطريق وتدوس على رأسه وبدنه العربات والسيارات[1].

فالمحتضر وكما ترون في معركة وجهاد، وهم وغم، وخوف ورعب لا يعلمه إلا الله سبحانه، وهو بأمس الحاجة إلى من يؤمن خوفه ويسكن روعته، ويبعد عنه كيد الشيطان وأتباعه، ويحفظ له عقائده وإيمانه بربه، ويوصي ملك

---

(١) روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٤٨: (...عن الحسن بن علي عن أبيه الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال: قيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت قال: للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد قيل: فإن قوما يقولون: انه أشد نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالأحجار وتدوير قطب الأرحية على الأحداق قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين الا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشد من هذا الأمر عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا).

الموت وأعوانه بالرحمة له والشفقة عليه والتخفيف عنه، ويبشره بأن الموت هو قنطرة وجسر إلى الآخرة والنعيم ورضوان من الله أكبر[١]، وهذا ما يقوم به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وباقي الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه هي فائدة حضورهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند المؤمن[٢].

---

(١) روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار ص٢٩٠: (عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: دخل علي بن محمد عليهما السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت فقال له: يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا ابن رسول الله. قال: فذاك الموت هو ذلك الحمام وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كل غم وهم وأذى، ووصلت إلى كل سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسبيله).

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٣ ص١٢٨: (...عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وآله لأنا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينك فانظر قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهما السلام فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهما السلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينه فينظر فينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته أرجعي إلى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب فادخلي في عبادي ـ يعني محمدا وأهل بيته ـ وادخلي جنتي فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي).

وروى الشيخ الكليني أيضا في نفس المصدر ص١٣٣: (...عن عقبة أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام ←

أما حضورهم عند الكافر والمعاند والناصب لهم العداوة والمخالف لهم فإن الأمر بالعكس، فإنه يراهم ليزداد سوءا إلى السوء الذي هو فيه، وليعلم ان الذي قد كان يكذب به هو الحق، وأن لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سلطانا ومنزلة وولاية حتى على ملك الموت وأعوانه، وان لهم القدرة على أن ينفعوه لو كان ممن آمن وصدق واتبع، فتعظم حسرته ويزداد همه، ويدعو بالويل والثبور ويطلب الرجوع إلى عالم الدنيا ليؤمن ويتبع الحق فيمنع من ذلك، وعندئذ يوصي النبي الأعظم وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ملك الموت بان لا يرأف به ولا يرحمه ولا يشفق عليه، لأنه كان في الدنيا لا يشفق على أهل البيت ولا شيعتهم ولا يرحمهم ولا يرأف بحالهم، واليوم هو أول أيام الجزاء «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، ومن ورائهم عذاب عظيم).

أليس في هذه الأحاديث تشجيع للإنسان على عدم العمل؟

محمد: (عندي سؤال آخر: ألا ترون أن في هذه الأحاديث تشجيعاً للناس على عدم العمل وأداء العبادات والاتكال على تولي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحبهم؟ لأنك تقول إن كل من يحبهم يراهم وكل من يتولاهم يراهم وكل من يراهم يوصون به ملك الموت ويشفعون له عند الله في تخفيف الموت والذهاب إلى الجنة).

يقول: إن الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى، قلت: جعلت فداك وما يرى؟ قال: يرى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله أبشر ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه تحب أن أنفعك اليوم، قال: قلت له: أيكون أحد من الناس يرى هذا ثم يرجع إلى الدنيا؟ قال: قال: لا...).

خالد: (أنت لم تقرأ جميع الأحاديث التي وردت في مسألة حضورهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند الميت قبل قبض روحه، لأنك لو قرأتها كاملة لانحل هذا الإشكال عندك، فالشيخ الصدوق قد روى عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قوله: «... من أحبنا فليعمل بعملنا وليستعن بالورع، فإنه أفضل ما يستعان به في أمر الدنيا والآخرة... تمسكوا بما أمركم الله به فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحب إلا أن يحضره رسول الله وما عند الله خير وأبقى، وتأتيه البشارة من الله عز وجل فتقر عينه ويحب لقاء الله»[1].

فالرواية كما ترى تؤكد على عدم كفاية المحبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين للنجاة من عذاب الله سبحانه، بل إن المحبة مشروطة بالعمل وبالتمسك بما أمر الله سبحانه من الواجبات والكف عن النواهي).

فاطمة: (وتوجد رواية أخرى إضافة إلى التي ذكرتها يا خالي العزيز وردت في كتاب المحاسن عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال لسدير الصيرفي: «والذي بعث محمدا بالنبوة وعجل روحه إلى الجنة ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور أو تبين له الندامة والحسرة إلا أن يعاين ما قال الله عز وجل في كتابه: «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ» وأتاه ملك الموت يقبض روحه فينادى روحه فتخرج من جسده، فأما المؤمن فما يحس بخروجها وذلك قول الله تبارك وتعالى « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي » ثم قال: ذلك لمن كان ورعاً مواسياً لإخوانه وصولاً لهم،

(١) راجع الخصال للشيخ الصدوق ص٦١٤.

وإن كان غير ورع ولا وصول لإخوانه قيل له: ما منعك من الورع والمواساة لإخوانك؟ أنت ممن انتحل المحبة بلسانه ولم يصدق ذلك بفعل، وإذا لقى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه لقيهما معرضين، مقطبين في وجهه، غير شافعين له...»[1].

ومن هذه الرواية يتضح أن مجرد تولي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحبهم لا يكفي للنجاة من العذاب الإلهي، وان من لم يكن ورعاً عاملاً مواسياً لإخوانه حضره رسول الله وأهل البيت وهم عليه ساخطون معاتبون معرضون، وبهذا ينتفي إشكال الأخ محمد)[2].

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١ ص١٧٧.

(٢) وهنالك روايات أخرى كثيرة أكدت على مسألة العمل وعدم الاكتفاء بإدعاء الولاية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومحبتهم منها ما عن جابر بن عبد الله عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال له: (يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحب عليا وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا؟ فلو قال: إني أحب رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئا، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعا فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع).

خالد: (أحسنتم جميعاً، والآن اسمحوا لي بالذهاب وتأجيل البحث إلى الغد، فإن كان عندكم أسئلة أجبنا عليها، وان لم يكن عندكم شيء انتقلنا إلى مسألة استشهادها صلوات الله وسلامه عليها وكيفية الاستدلال بها على أفضليتها، فلا تنسوا البحث في المكتبة وبذل الجهد ليكون بحثنا ذا قيمة وفائدة).

ودع الأصدقاء بعضهم بعضا وذهب كل واحد منهم إلى سبيله.

الحارس على باب المنزل

ذهب أسامة للنوم سريعا، وفي صباح اليوم التالي استيقظ على صوت أمه وهي تناديه، نزل من غرفته وهو يفرك عينيه، بادرته والدته بالقول: (أخرج سريعاً وافتح الباب فالظاهر أن هنالك رجلاً على الباب).

خرج أسامة من دون أن يرتب شعره أو يغسل وجهه، وآثار النوم واضحة على وجهه، فتح الباب من دون ان يدقق في وجه الرجل الواقف على الباب وقال: (تفضل يا عم هل من خدمة؟).

فسمع صوتا ليس بغريب عنه وهو يقول: (أنت ثانية، لو أعلم أن هذا بيتكم لما طرقت الباب، مع السلامة).

أدار الرجل بوجهه وانصرف حتى قبل أن يكمل كلامه. انتبه أسامة من سكر نومه فجأة وأسرع وراء الرجل وهو يقول: (لحظة يا عم، هل أستطيع مساعدتك؟ فقط انتظر رجاءً).

أدار الرجل برأسه نحو أسامة وإذا به حارس المكتبة، تفاجأ أسامة للوهلة

الأولى ولكنه تبسم بوجه الحارس وقال: (أهلا بك يا عم تفضل إلى البيت شرفتنا).

كان الحارس يعلو وجهه الهم، والتعب ظاهر على حركات جسده، فأجاب بقوله: (أنا لم أطرق الباب لأدخل، فقط كنت أسأل عن بيت للإيجار، فقلت في نفسي لعلكم تعلمون ان كان في شارعكم بيت للإيجار أم لا).

أخذ أسامة بيد الحارس وجذبه قائلا: (بالله عليك يا عم فلندخل الآن إلى البيت وسأغسل وجهي وأغير ملابسي ومن ثم نخرج لنبحث معاً).

رفض الحارس أول الأمر ولكنه رضخ لتوسلات أسامة وإصراره، وقبل على ان يجلس في الحديقة بينما يكمل أسامة تجهيز نفسه، فقبل أسامة ودخل وإياه إلى الحديقة وأجلسه على الأرجوحة في الظلال.

دخل أسامة ليتجهز بسرعة، وبعد عشر دقائق رجع إلى الحديقة حاملاً معه كأساً من العصير وقطعتين من الكيك، ولكنه شاهد الحارس من بعيد ينظر إلى أشجار الحديقة ويحرك رأسه يميناً وشمالاً كهيئة الغضبان، وبين الحين والآخر يحرك يده اليمنى كالمستهزئ.

وصل أسامة ووضع العصير أمام الحارس وما كاد يجلس حتى انفجر الحارس بالكلام قائلا: (هل تسمون هذه حديقة؟ كيف تطيب أنفسكم بالجلوس في هذه الفوضى؟ ألا ترون هذه الحشائش الضارة وهي عالقة على سيقان الأشجار، وهذه الغصون الطويلة، وهذه الحشرات الناعمة على الأوراق؟ حديقتكم تحتضر يا أستاذ، وهذه الأشجار المسكينة تعاني حتى الموت).

قال الحارس هذه الكلمات ثم سكت وأنزل رأسه إلى الأرض وجذب

حسرة كأنه تذكر شيئاً مؤلماً، فأراد أسامة أن يخفف عنه فقال: (كل ما تقوله صحيح، فأنا وأبي ليس لنا الخبرة ولا الوقت لإصلاح الحديقة وترتيبها، وسنحاول ذلك في الأيام القليلة القادمة، والآن تفضل واشرب هذا العصير لتروي عطشك ويزول تعبك).

رفع الحارس رأسه وفي عينيه دمعة حبيسة تأبى الخروج، وأخذ الكوب من دون أن ينظر إلى أسامة وارتشف من الكأس رشفة لكنه عاد منكساً رأسه مرة أخرى وتنهد بقوة، فقال له أسامة: (ما بك يا عم؟ هل أستطيع مساعدتك؟ أخبرني وعُدَّني كولدك الصغير، وإني أقسم أن أبذل قصارى جهدي لخدمتك).

رفع الحارس رأسه ونظر إلى أسامة وابتسم، وكانت هذه المرة الأولى التي يبتسم فيها لأسامة وقال: (أتعلم كان لي تجاهك موقفٌ سلبيٌّ وكنت أرى بأنك ولد شرير، ولكن كلامك هذا وحسن خلقك جعلني أغير رأيي فيك، وأنا الآن أعتقد بأنك ولد صالح، ولكن ماذا يمكنك أن تعمل فالقضية أكبر منك ومني).

ابتسم أسامة وقال: (أشكر حسن ظنك يا عم، وصدقني أنا لست بشرير، وبالنسبة للموضوع الذي يؤلمك أخبرني به ولن تندم، فلعل سني صغير ولكني واسع الحيلة وأستطيع أن أنجز ما لا يستطيع إنجازه كثير من الرجال).

فقال الحارس وهو يسرح بفكره بعيداً: (كنت شاباً في الخامسة والعشرين من عمري حينما تزوجت، ولم تمض سنتان حتى رزقنا بفتاة، كنت أعمل نجارا، وكانت حياتي مستقرة جداً، وأحوالي المادية جيدة جداً، وما هي إلا سنتان أخيرتان حتى رزقنا بفتاة ثانية ومن بعدها فتاة ثالثة أخرى، كنت راضياً بما قسم لي

الله سبحانه، وسعيدا بوجود هذه الفتيات، فقد كنَّ أغلى ما في حياتي ووجودي.

الا ان الحياة لا تسير على وفق ما يخطط له الإنسان ويريده، فبدأت الضغوطات تشتد علي من كل اتجاه وبالخصوص من والدتي رحمها الله كي أتزوج مرة أخرى عسى أن أرزق بولد ذكر، يحمل اسمي، وأشد به ظهري حينما يكبر سني، كنت أرفض هذه الفكرة بشدة وأقاوم أشد المقاومة، لأني لم أكن أرى ضرورة لهذه الخطوة، هذا أولا.

وثانيا كنت أقول لهم: من يقول إن المرأة الثانية ستنجب لي ذكراً، ثم إن الله سبحانه إذا أراد أن يرزقني بذكر فبإمكانه أن يرزقني من زوجتي هذه، وكم من مرة حاولت أن أفهم أولئك المصرين على زواجي الثاني بهذه الأمور ولكن بلا جدوى.

استمرت مشاكلي ومعاناتي إلى أن بلغت حداً اضطرتني إلى الرحيل من بيت أهلي، فاستأجرت بيتا في محلة أخرى عسى أن يكون البعد عنهم علاجاً لمشكلتي، وما هي إلا عدة أشهر حتى توفيت والدتي، وبدأت بعدها معاناة أخرى من معاناتي، فإخوتي وأخواتي ألقوا لوم موتها علي، وكل عذرهم أنها ماتت بسبب رفضك للزواج وخروجك من البيت.

فنشبت بيني وبينهم حرب ضروس، كنت انا الخاسر فيها، لأنهم جمع وأنا واحد، ولأنهم لا يتورعون عن الكذب والاتهام وأنا لم أكن أقبل بأن يخرج من فمي تهمة أو إساءة بحقهم، فمنعوني إرث أبي وأمي، واغتصبوا كل حقوقي، وقد بلغ مقدار حربهم أن ذهبوا إلى صاحب الدكان الذي كنت أعمل به فهددوه حتى

أخرجني منه بحجة انه لا يريد المشاكل، فأحسست بعدها أن الأرض قد ضاقت علي بما رحبت، وان البقاء في هذا البلد قد صار مستحيلاً، فشددت الرحال أنا وزوجتي وبناتي الثلاثة، وانتقلنا إلى بلد آخر.

استطعت خلال مدّة قصيرة أن أجد عملاً وأن أؤجر بيتاً للسكنى، وبدأت أموري تسير بشكل أفضل، وما هي إلا سنة إلا ورزقنا الله سبحانه بولد ذكر أسميناه علياً، فمسح عن حياتنا الكدورة التي غطتها لمدّة طويلة، فكان كلما يكبر تكبر معه فرحتنا، وقد أخذ من قلوبنا كلنا مأخذاً عظيماً، فقد كنا نضحك إذا ضحك ونمرض إذا مرض، لأنه كان يمتلك تأثيراً خاصاً في كل من يحيط به وبالخصوص أخواته البنات، فلم تكن الواحدة منهن تأكل أو تنام حتى يأكل أخوها علي وينام.

واستمرت حياتنا بالتطور نحو الأحسن فالأحسن حتى استطعنا أن نشتري بيتاً، وصرت صاحب دكان مستقل، وكبر الأولاد وذهب بعضهم إلى المدرسة، وانتقلنا من حسن إلى أحسن، حتى تيقنت بأن الأمور ستبقى هكذا إلى آخر العمر، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن).

أكمل الحارس كلماته هذه وأجهش بالبكاء، كان يبكي بحرقة وألم، حاول أسامة أن يخفف عنه، ولكنه أصر على أن يكمل كلامه فقال: (رجعت إلى البيت في يوم من الأيام، فوجدت أم علي تبكي بصوت عال، فهرعت مسرعا إلى الغرفة لأرى الخبر، سألتها فلم تجب، سألتها ثانية واستحلفتها، فقالت كنت في البيت أعمل كالمعتاد، وكان علي معي، طرقت الباب فقلت لعلي: افتح الباب وانظر من

الطارق، فتح الباب ثم رجع مسرعا وهو يقول: هنالك رجل يريدك يا أمي، خرجت وإذا برجل طاعن بالسن، يحمل بيده عصا طويلة يتوكأ عليها، فطلب طعاماً ليأكل، رجعت لآتي له بطعام، وفي الأثناء سمعته يتكلم مع علي بكلام لم أفهمه بسبب بعدي عنهما، وما هي إلا دقائق حتى رجعت إليه ومعي كمية من الطعام، ولكني تفاجأت بأنه قد ذهب.

أدخلت علياً إلى البيت ودخلت، فسألته: أين ذهب الرجل؟ فقال: ذهب من هناك وأشار بيده نحو المسجد، فقلت له: وماذا كان يقول لك؟ فقال: أخبرني بأني سأموت، وقال لي إنك من أبناء الآخرة وليس من أبناء الدنيا، فقلت له: اُسكت ما هذا الكلام؟ وكيف تكذب؟ فحلف بالله انه لمن الصادقين، وان هذا هو الذي جرى بينه وبين ذلك السائل، فصعقت حينها وتألمت وقلت في نفسي ماذا لو كان هذا صحيحاً، وأخذت أتصور كيف ستكون حياتي فيما لو حدث أي مكروه على ولدي، وها أنا أبكِ منذ ذلك الحين.

فضحكت أنا وقلت لها: وهل هذا الرجل هو ملك الموت حتى يعلم من هو من أبناء الآخرة ومن هو من أبناء الدنيا؟! فهذه المسائل لا يعلمها إلا الله سبحانه، ومن المحتوم أنّ علياً قد سمع الكلام بشكل خاطئ، وبقيت أتكلم معها حتى سكتت عن البكاء وهدأت.

مرت أيام وأم علي تتذكر كلام ذلك السائل وتبكي، فإذا رأتني سكتت ومسحت دموعها، وكم من مرة حاولت منعها فلم أفلح، ولكن الزمن كان كفيلا بإنسائها الأمر، فكلما مر شهر نسيت ذلك الرجل السائل أكثر، وبدأت تتيقن بأن

الأمر كان مجرد توهم من قبل ولدنا علي.

وبعد مرور سنة تقريباً خرج علي مع أخته الكبيرة ليشتري من البقال الذي في رأس الشارع، فاشترى لنفسه قطعتين من الحلوى المدورة، فقال لأخته سأبقي واحدة لأمي وآكل الثانية.

وضع القطعة الأولى في فمه ومن ثم ركض نحو البيت ليعطي الثانية لوالدته، وبينما هو يركض تعثر بحجر كان على الأرض، فدخلت قطعة الحلوى التي كانت في فمه في المجرى التنفسي ولم يعد يستطيع التنفس، فلا صوته يخرج ليستغيث ولا نفس يصله ليعيش، وما ان وصلت إليه أخته ورأته بهذه الحال حتى هرعت إلى أمها تستنجدها وتستصرخها، فخرجت أمه مشدوهة صارخة تركض نحوه بخطوات متعثرة ولكنها وصلت بعد فوات الأوان، كان علي مرمياً على وجهه لا يتحرك ولا يتنفس وقد تبدل لون وجهه من شدة الاختناق).

كان الحارس يتكلم وعيناه كأنهما غيمة وكأن دموعه المطر، ثم أكمل كلامه قائلاً: (ليت ان الأمر توقف عند هذا الحد، فأخته قد نقلت لأمه كلماته الأخيرة، وانه كان يركض ليوصل لها الحلوى التي أذخرها لها، وكيف انه كان يركض بلهفة، وهذا كان يزيد من حرقة قلبها عليه وتحسرها لفراقه، وما ان اكتملت أيام عزائه حتى رقدت والدته في الفراش لا يعرف لها دواء، وبقينا ننتقل بها من طبيب إلى آخر، إلى أن اكتشفنا أن كبدها قد أصيب بمرض خبيث من أثر الصدمة وهول المصيبة.

بقيت تعاني سنتين ونصفاً بعنا خلالها البيت الذي نسكن فيه لغرض توفير

مبالغ الدواء ومستلزمات العلاج لها، وتركت العمل وجلست أرعاها وأرعى بقية بناتي، لان أخوتي وأخواتي وعلى رغم كل هذه المآسي كانوا كالمتفرج بل كالشامت بما يجري علي، وفي ليلة شتاء عاصف خرجت روح زوجتي والتحقت ببارئها، فاسودت الدنيا بعيني وصرت بفقدها وفقد ولدي علي مكسور الجناحين.

فقررت بعدها أن أرحل عن هذه البلدة التي نحن فيها إلى مكان آخر، لأن كل شبر فيها كان يذكرني ويذكر بناتي بأمهم وأخيهم علي، ويذكرنا بالآلام التي عشناها، فانتقلت إلى بلدتكم هذه، وعملت بأجرة يومية ولسنوات عديدة، كيما أستطيع إطعام وتربية بناتي الثلاثة، ولم أستطع بعد أم علي ان أشتري بيتا، بل ولم أشبع من طعام إلى يومي هذا، وكل ما أتقاضاه يذهب إلى الإيجار وكسوة وإطعام بناتي الثلاثة اللاتي لم تتزوج أي واحدة منهن إلى الآن.

والآن وبعد أن كبر سني ودق عظمي لم أعد أستطيع العمل في النجارة كالسابق، وقامت أمينة المكتبة جزاها الله خيرا بتوظيفي كحارس في المكتبة لأنها جارتنا وتعلم بوضعنا الصعب، واليوم صاحب البيت قرر بيعه فأخبرني أن أبحث عن مكان آخر، وهأنا ومنذ أسبوع أبحث عن بيت للإيجار ولكن من دون جدوى).

حاول أسامة ان يخفف عن الحارس ألمه قائلاً: (رحم الله ولدكم عليّاً وأمه، وان شاء الله ستنتهي هذه المعاناة عن قريب، وكلنا أولادك وأهلك، ومسألة البيت سهلة إن شاء الله وسأجد لك ما يريحك ويناسبك إن شاء الله، وما عليك الآن يا عم إلا أن تذهب إلى البيت وترتاح وتترك الباقي علي، وسأبحث لك عن بيت في

شارعنا وبقية الشوارع المحيطة بنا، وسأخبركم حينما أجد ما يناسبكم إن شاء الله).

فأجابه الحارس: (الأحسن ان أبقى معك ونبحث معاً).

فقال له أسامة: (أنت تعبان يا عم وتحتاج إلى راحة، والأفضل ان تذهب للبيت وترتاح، وصدقني سوف لن أقصر في البحث، وسأبحث وكأنك معي، اطمئن، وإذا كنت مصراً على فعل شيء فأتمنى ان تصلي صلاة الاستغاثة بالسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وتقرأ زيارة عاشوراء بنية تسهيل أمرك وإيجاد ما يريحك).

اقتنع الحارس بالذهاب إلى البيت لأنه كان بحاجة إلى الراحة فعلاً، وبحاجة إلى أن يشكو أمره لله سبحانه ويتوسل بالأسباب التي وضعها الله سبحانه لخلقه[1]،

(١) قال سبحانه في سورة المائدة الآية رقم ٣٥: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). ويقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: (ومن يستشفع بأهل الشفاعة الذين ذكرهم الله في مثل قوله: «ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وقوله: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى». أو يسأل الله بجاههم ويقسمه بحقهم الذي جعله لهم عليه بمثل قوله مطلقا: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون». قوله: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا». أو يعظمهم ويظهر حبهم بزيارة قبورهم وتقبيلها والتبرك بتربتهم بما أنهم آيات الله وشعائره تمسكا بمثل قوله تعالى: «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب». وآية القربى وغير ذلك من كتاب وسنة. فهو في جميع ذلك يبتغي بهم إلى الله الوسيلة وقد قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة» فشرع به ابتغاء الوسيلة وجعلهم بما شرع من حبهم وتعزيزهم وتعظيمهم وسائل إليه، ولا معنى لإيجاب حب شيء وتعظيمه وتحريم آثار ذلك فلا مانع من التقرب إلى الله بحبهم وتعظيم أمرهم وما لذلك من الآثار إذا كان على وجه التوسل والاستشفاع من غير أن يعطوا استقلال التأثير والعبادة البتة).

ولأن الحماس الذي أبداه أسامة في كلامه جعله يطمئن، فخرج من بيت أسامة إلى بيته مباشرة، وخرج معه أسامة وافترقا ليذهب كل واحد منهما إلى وجهته.

رجع أسامة إلى البيت حال سماعه أذان الظهر ليصلي ويرتاح لأن رجليه قد تعبتا من كثرة المشي، ولان الجوع قد غلبه، وفي الأثناء أخبر أمه بقصة الحارس وما جرى عليه من المصائب وما يعيشه من ظرف صعب ووضع مادي حرج، فقالت له أمه: (ولماذا لم تخبرني قبل أن تخرج، فجارنا أبو عادل يريد أن يذهب إلى لندن بعد شهرين لإكمال دراسته، ويريد أن يأخذ معه زوجته وطفليه، وبما انه صديق أبيك فقد أخبره بأن يبحث عن شخص من أقربائه يكون أمينا ليجلسه في البيت حال غيابه ليرعى له البيت ويحافظ عليه، ولو ان أباك تدخل وتكلم معه فانه سيقبل ببقاء الحارس في البيت طول مدة غيابه، ولكن يجب ان نطمئن من وثاقته وأمانته، لأنه سيأتي عن طريقنا وأي تصرف سيتصرفه سيكون محسوباً علينا).

فأجابها أسامة والسرور يغمره: (لا أصدق هذا، والله يا أماه ستدخلين الجنة إذا أتممتِ هذا الموضوع واستطعتِ أن تقنعي والدي بأن يكلم أبا عادل، وأما أمانته ووثاقته فأنا أضمنها، وباستطاعتكِ سؤال أمينة المكتبة فهي جيرانه منذ زمن طويل، أرجوكِ يا أمي ساعديه).

فقالت أمه: (سأتكلم مع أبيك حال حضوره للمنزل وسأحثه على أن يذهب إلى أبي عادل بعد العشاء وسنرى).

جاء الليل ووصل أبو أسامة إلى داره، وارتاح وصلى وتعشى، ففاتحته أم أسامة بموضوع الحارس وترجته بالذهاب إلى أبي عادل لمفاتحته بالموضوع،

فذهب أبو أسامة والتقى بأبي عادل وبعد السلام والسؤال عن الأحوال أخبره بقصة الحارس وحاجته إلى مكان للسكن وترجاه بأن يسكن في بيته إلى حين عودته من سفره، فقال أبو عادل: (في الحقيقة طلبك على العين والرأس، وأنا بحكم علاقتي بك لا أستطيع ان أرد لك طلباً، ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أترك صاحبكم يسكن في البيت لأسباب خاصة كثيرة، ولكن عندي مشتمل صغير في الحديقة وله مسلك مستقل إلى الخارج وبإمكانهم البقاء فيه حتى في أثناء وجودي وبإمكانه من الغد الانتقال إليه، ولكن بشرط أن يحافظ على البيت في غيابي ويحافظ على الحديقة ويرعاها كي لا تموت الأشجار حال غيابي).

رجع أبو أسامة إلى البيت وأخبرهم بما قاله أبو عادل، ففرح أسامة أشد الفرح، لان الله سبحانه سهل لهذا الرجل المسكين أمر السكن وكفاه مؤونة الإيجار ببركة التوسل بالسيدة الزهراء وباقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقرر أن ينطلق إليه صباحاً ليزف له البشرى.

نظر أسامة إلى الساعة فرآها قريبة من التاسعة، فاستأذن أباه وأمه وصعد إلى غرفته ليبدأ والباقون حوارهم المعتاد.

الدليل الثاني والعشرون: استشهادها عليها السلام في سبيل الله سبحانه

اجتمع الأصدقاء، وبعد السؤال عن الأحوال والأخبار كتب خالد: (هل لديكم سؤال حول مسألة حضورها صلوات الله وسلامه عليها عند الأموات ساعة الاحتضار أو ننتقل إلى بحث جديد؟).

فأجاب الجميع بالنفي، فقال خالد: (حسناً، الآن أخبروني ماذا وجدتم في مسألة استشهادها صلوات الله وسلامه عليها؟).

فاطمة: (وجدت أن الإجماع قائم عند علماء الشيعة على أنها صلوات الله وسلامه عليها ماتت شهيدة، وقد عدّ شيخ الطائفة الطوسي رضوان الله تعالى عليه أن خبر استشهادها على يد عمر بن الخطاب مما اشتهر ولا خلاف فيه بين الشيعة، وحكم على روايات استشهادها بالاستفاضة[١].

(١) قال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه في تلخيص الشافي ج٣ ص١٥٦: (ومما أنكر عليه ــ أي على عمر بن الخطاب ــ ضربهم لفاطمة عليها السلام. وقد روي أنهم ضربوها بالسياط. والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة: أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمي السقط محسنا، والرواية بذلك مشهورة عندهم. وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين ←

اما المولى محمد باقر المجلسي رضوان الله تعالى عليه فقد حكم على أخبار استشهادها بالتواتر، ولكنه أرجع سبب استشهادها إلى ضرب قنفذ غلام عمر ـ بأمره ـ الباب على بطن فاطمة، فكسر جنبها، وأسقط لذلك جنينا كان سماه رسول الله محسنا، وذلك في معرض تعليقه على حديث عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهما قال فيه: «ان فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة»[1].

وقد علق المولى محمد صالح المازندراني رضوان الله تعالى عليه على هذا الحديث أيضا قائلا: «والشهيد من قتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعا، ثم اتسع فأطلق على كل من قتل منهم ظلما كفاطمة عليها السلام إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل فسقط حملها فماتت لذلك»[2].

كما أن الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ذكر في كتابه الاختصاص أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بقيت بعد استشهاد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوما مريضة بسبب

التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته. وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأنا قد بينا الرواية الواردة من جهة العامة، من طريق البلاذري، وغيره ورواية الشيعة مستفيضة به، لا يختلفون في ذلك).

(١) وقال العلامة المجلسي قدس الله روحه في تعليقه على الخبر السابق: (ثم إن هذا الخبر يدل على أن فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة، وهو من المتواترات. وكان سبب ذلك: أنهم لما غصبوا الخلافة، وبايعهم أكثر الناس بعثوا إلى أمير المؤمنين ليحضر للبيعة، فأبى. فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدخول عليه قهرا، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنفذ غلام عمر الباب على بطن فاطمة، فكسر جنبها، وأسقط لذلك جنينا كان سماه رسول الله محسنا. فمرضت لذلك، وتوفيت صلوات الله عليها في ذلك المرض).

(٢) شرح أصول الكافي ج٧ ص ٢١٣.

ضرب عمر بن الخطاب لها[١]).

محمد: (كل الذي قدمته الأخت فاطمة هو أقوال للعلماء لا غير، فأين الروايات؟ لأننا اعتدنا على الاستدلال بالأحاديث أولا وكلام العلماء يأتي بالمرتبة الثانية).

خالد: (مثلما أن الرواية حجة في إثبات الحدث التاريخي كذلك الإجماع والشهرة والاستفاضة حجة أيضا، وقد ذكرنا سابقاً أن الإجماع مصدر من مصادر التشريع عند الإمامية، وان القول المجمع عليه يمتلك من القوة والشرعية مثل ما للرواية الصحيحة من القوة والشرعية، وبالخصوص اذا كان القول المجمع عليه ممتداً لقرون طويلة منذ زمن الأئمة وإلى يومنا هذا، فمثل هذا الإجماع يكون وبلا أدنى شك كاشفاً عن رأي المعصوم قطعاً.

وعليه فلو فرضنا اننا لا نملك رواية في هذا الشأن فإن إجماع الطائفة كافٍ لإثبات استشهادها وما جرى عليها من الويلات والطامات على أيدي زعماء السلطة وكبار الصحابة.

الا اننا ومع هذا الإجماع القوي توجد عندنا روايات تحكي فصول الجريمة وتروي عظيم الفاجعة، وبهذا التقريب للمسالة تصبح مسألة استشهادها صلوات الله وسلامه عليها وما جرى عليها من ضروريات المذهب الحق[٢]، ومنكرها خارج عن طريقة

(١) قال الشيخ المفيد في الاختصاص ص١٨٥: (فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوما مريضة مما ضربها عمر).

(٢) لان دليلها الروايات المستفيضة من طرق الشيعة والمخالفين على حد سواء، وإجماع الطائفة الإمامية منذ زمن استشهادها صلوات الله وسلامه عليها والى يوم الناس هذا كما سيأتي لاحقا.

المذهب الاثني عشري[١]).

فاطمة: (يظهر أن الأخ محمداً لم يركز جيداً في كلامي، لأني في الأثناء نقلت رواية قد نقلها الشيخ الكليني في الكافي: «عن محمد بن يحيى[٢]، عن العمركي بن علي[٣]، عن علي بن جعفر[٤] عن أخيه أبي الحسن ـ الإمام الكاظم ـ عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة...»[٥]، وهي رواية صحيحة، وقد صرح المولى محمد تقي المجلسي بصحتها[٦]).

محمد: (عندي سؤالان أحدهما للأخ خالد والآخر لأختنا فاطمة، والأول هو: من أين علمت أن أحداث استشهاد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تمتد من زمن

---

(١) لذلك عدّ المرجع الميرزا جواد التبريزي إنكار السيد محمد حسين فضل الله لكسر ضلع السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها واستشهادها على يد عمر بن الخطاب وإسقاط جنينها وغير ذلك عدّه خروجا عن المسلمات وضروريات المذهب الحق وان قائلها خارج طريقة المذهب الاثني عشري. (راجع كتاب الحوزة العلمية تدين الانحراف القسم الثالث وثيقة رقم ١٢)

(٢) وهو محمد بن يحيى أبو جعفر العطار أحد مشايخ الكليني، قال عنه النجاشي في رجاله ص٣٥٣: (محمد بن يحيى أبو جعفر العطار القمي، شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين، كثير الحديث) ووثاقته متفق عليها.

(٣) وهو كما ترجم له النجاشي في رجاله ص٣٠٣ بقوله: (العمركي بن علي أبو محمد البوفكي وبوفك قرية من قرى نيشابور. شيخ من أصحابنا، ثقة، روى عنه شيوخ أصحابنا).

(٤) قال الشيخ الطوسي في الفهرست ص١٥١: (علي بن جعفر، أخو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، جليل القدر، ثقة).

(٥) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٤٥٨، باب مولد الزهراء عليها السلام الحديث رقم ٢.

(٦) راجع روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج٥ ص٣٤٢.

الأئمة والى يومنا هذا، وعلى فرض امتدادها فمن أين علمت ان ذلك كاشف عن رأي المعصوم؟

والسؤال الثاني: ان الذي قدمته لنا الأخت فاطمة هو مجرد إثبات شهادتها صلوات الله وسلامه عليها، أما كيفية الشهادة وعلى يدي من استشهدت فهذا ما لم تذكره لنا الرواية الصحيحة التي استدلت بها أختنا فاطمة).

خالد: (عن طريق التتبع علمت أن خبر استشهادها والظلم الذي وقع عليها ممتد من زمن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والى يوم الناس هذا ، فكتب الشيعة والمخالفين طفحت واستفاضت بهذا الأمر منذ صدر الإسلام الأول والى اليوم.

فجميع الكتب الشيعية التي عنيت بأخبار السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وكل من ترجم لها، وألف كتاباً فيها، أطبقت كلمتهم تقريباً أو تحقيقاً، على أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وبعد استشهاد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، ضرب الظالمون خدها، حتى احمرت عينها، وتناثر قرطها، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج.

ولم يكن هذا حال المؤلفين والمصنفين وحدهم، فشعراء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد أخذوا هذه القضايا والرزايا ونظموها في أشعارهم ومراثيهم، وأرسلوها إرسال المسلمات، ابتداءً من الكميت والسيد الحميري، ودعبل الخزاعي، والنميري، والسلامي والى عصرنا الحالي[1]، هذا فيما يخص اشتهار ما

---

(١) هذا الرد مستفاد من قول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه جنة المأوى ص٧٨ ــ ٨١ حيث يقول: (طفحت واستفاضت كتب الشيعة، من صدر الإسلام والقرن الأول، مثل كتاب سليم ←

جرى على السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها منذ زمن الأئمة الأطهار والى وقتنا هذا.

أما كون هذه الشهرة والاستفاضة كاشفة عن رأي المعصوم ورضاه،[١] فلأن السلوك الاجتماعي الذي يمارسه العقلاء بما هم عقلاء في عصر النبي أو الإمام ان سكت عنه المعصوم ولم يردع فذلك دليل على الإمضاء والمشروعية.

لأن المعصوم من واجبه تربية الأمة وتعليمها وعدم القبول بأي انحراف فقهي أو عقائدي تمارسه الأمة على مستوى عقلائها أو متشرعيها.

وعليه فحينما نرى المحدثين والعلماء والشعراء قد أجمعت كلمتهم على ان

← ابن قيس، ومن بعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده بل وإلى يومنا هذا، كل كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمة، وأبيهم الآية الكبرى، وأمهم الصديقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، وكل من ترجم لهم، وألف كتابا فيهم، وأطبقت كلمتهم تقريبا أو تحقيقا في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة، أنها بعد رحلة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الظالمون وجهها، ولطموا خدها، حتى احمرت عينها وتناثر قرطها، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج. ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ونظموها في أشعارهم ومراثيهم، وأرسلوها إرسال المسلمات: منهم الكميت والسيد الحميري، ودعبل الخزاعي، والنميري، والسلامي، وديك الجن، ومن بعدهم، ومن قبلهم إلى هذا العصر. وتوسع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر، والرابع عشر، الذي نحن فيه، كالخطي، والكعبي، والكوازين، وآل السيد مهدي الحليين، وغيرهم ممن يعسر تعدادهم، ويفوق الحصر جمعهم وآحادهم. وكل تلك الفجائع والفظائع، وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة، ومن موجبات الوحشة والدهشة، ولكن يمكن للعقل أن يجوزها، وللأذهان والوجدان أن تستسيغها، وللأفكار أن تقبلها، وتهضمها، ولاسيما وأن القوم قد اقترفوا في قضية الخلافة، وغصب المنصب الإلهي من أهله ما يعد أعظم وأفظع).

(١) ولو من طريق عدم الردع فيما يمكنه الردع عنه مع اطلاعه عليه.

السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد استشهدت وظلمت وضربت وماتت وهي مكسورة الضلع، فلابد ان يكون المعصوم عالماً بإجماع هؤلاء العقلاء والمتشرعة، وعلمه بأقوالهم وأفعالهم وما يعتقدونه، وسكوته عنهم وعدم ردعهم وزجرهم عن هذه الأقوال والاعتقادات كاف لإثبات رضاه بما يقولون، وإمضائه لما يعتقدون، وإلا لو لم يكن راضياً لردعهم وزجرهم عملاً بوظيفته الشرعية كإمام.

طبعا كل هذا الكلام فيما لو لم يكن هنالك روايات عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحكي عظيم الفاجعة وأليم المصاب، لكن مصنفات علماء الشيعة رضوان الله تعالى عليهم احتفظت لنا بعشرات بل بمئات الروايات التي نقلت تلك المأساة بجميع تفاصيلها، وبكل حيثياتها وملابساتها، وأنا أنصحك بأن تقرأ كتاب «الهجوم على بيت فاطمة»[1]، وهو كتاب موجود على صفحات الانترنت، وبإمكان أي واحد ان يحمله ويقرأه، فقد ذكر فيه المؤلف قصة استشهادها من عشرات المصادر للمخالفين، وبإقرار عشرات من علمائهم، كما ونقل فيه استفاضة أحاديث وروايات استشهادها وما جرى عليها منذ العصر الأول والى يومنا هذا).

فاطمة: (وأما عن السؤال المتعلق بي فقد أجاب عنه خالي العزيز، وبإمكانك أن ترجع إلى الكتاب المذكور لترى عشرات الروايات المتعلقة بهذا الأمر).

خالد: (ما لنا لا نسمع اليوم لأسامة صوتاً؟! فهل هو معنا أم أنه يغط في نوم عميق؟).

أسامة: (أنا متابع للحوار اطمئن أخي خالد، لكن لم تكن لدي فرصة

---

(١) لمؤلفه عبد الزهراء مهدي.

للكلام، فمحمد ما شاء الله يخرج من إشكال ويدخل في إشكال آخر).

خالد: (وهل لديك إضافات أخرى على ما قلته انا وقالته فاطمة؟).

أسامة: (على رغم انشغالي اليوم، وعلى رغم أني لم أستطع الذهاب إلى المكتبة، إلا أني استخرجت بعض الأوراق التي كنت قد دوّنتها أيام كنا نتناقش أنا وأنت مع ذلك الأستاذ في الدورة الصيفية في المسجد، فقد كنت دونت حينها ان كثيراً من الزيارات المروية عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد ذكرت أنها شهيدة، منها ما ذكره الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه في كتابه من لا يحضره الفقيه[1].

وكذلك فعل العلامة المجلسي في البحار[2]، اما رواية المزار فقد ذكر فيها تفاصيل أخرى فوق وصفها بالشهادة فقد ذكرت مسألة منع السيدة الزهراء من الإرث ودفعها عن حقها ورد شهادتها وغير ذلك[3].

---

(١) ج ٢ ص٥٧٣ زيارة لها صلوات الله وسلامه عليها نتقل منها محل الشاهد: (السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية...).

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٩٩ ص٢٢٠ الباب التاسع زيارتهم عليهم السلام في أيام الأسبوع والصلاة عليهم مفصلا: (اللهم صل على السيدة المفقودة، والكريمة المحمودة، والشهيدة العالية).

(٣) ذكر الشيخ المفيد في المزار ص ١٧٩ مختصر زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها قال: (فإذا أردت زيارتها فقف بالروضة وقل: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يا سيدة نساء العالمين أيتها البتول الشهيدة الطاهرة، لعن الله مانعك إرثك ودافعك عن حقك والراد عليك قولك لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم صلى الله عليك وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمة الراشدين وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته).

ومن هذه الزيارات يتضح بأن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكتفوا بإمضاء ما كان يقوله الشعراء من ذكر استشهاد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ومظلوميتها، وما كانت تعتقده عموم الشيعة علماؤها وعوامها في هذه المسالة، ولم يكتفوا أيضا بالتصريح بهذه المأساة عن طريق الروايات الكثيرة، حتى أودعوا ذلك اللقب وما جرى عليها من المآسي في بطون الزيارات.

ولعل تكرار ذكر هذه المآسي في الزيارات الشريفة يرجع إلى ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أرادوا ان تخلد هذه المأساة وتذكر على كل لسان، لان الزيارات كما تعلمون عبارة عن كلمات تردد من قبل ملايين الناس وبأوقات متعددة من السنة، وبهذا التكرار المليوني تخلد المأساة وتبقى تعيش في أذهان وأسماع ووجدان الموالين على امتداد الزمان واختلاف المكان).

خالد: (أحسنت أخي أسامة، تعليقك مهم للغاية).

وجه الاستدلال باستشهادها على أفضليتها على الأنبياء والرسل وباقي العالمين

محمد: (هل تعتقدون أن مجرد استشهادها صلوات الله وسلامه عليها يجعلها أفضل من الأنبياء والمرسلين؟ وبعبارة أخرى ان كون الإنسان شهيداً لا يجعله أفضل من الأنبياء والمرسلين، لان هنالك كماً هائلاً من الأنبياء والمرسلين استشهدوا في سبيل الله سبحانه، ويمكن للمخالفين أيضا أن يقولوا بأن كثيراً من الصحابة والصحابيات استشهدوا أيضا على يد المشركين في ساحات المعركة وخارجها، فهي من حيث كونها شهيدة كغيرها من الشهداء ليس إلا).

خالد: (هذا الاعتراض يرد لو كان كل الشهداء على مرتبة واحدة في الفضل والكمال، ولكن إجماع المسلمين قائم على ان درجات الشهداء تختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنة[1].

فمنزلة النبي الشهيد تختلف قطعاً عن منزلة الشهيد الذي هو من عوام الناس البسطاء، ومنزلة الشهيد العالم أو الفقيه تختلف عند الله عن منزلة الشهيد الجاهل، ومنزلة الشهيد الذي يقتل في سبيل الله بين يدي إمام معصوم كشهداء معركة الجمل وصفين والنهروان ومعركة عاشوراء ليست كمنزلة من يقتل دون ماله، فان كليهما شهيد في حسابات الشريعة وقوانينها لكن من الظلم الفادح ان نقيس من يموت من أجل قضية إسلامية كبرى بشخص يموت وهو يدافع عن درهمين من أمواله.

فإذا عرفنا أن درجات الشهداء تختلف عرفنا أيضا ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في أعلى هذه الدرجات، لأن درجة كل شهيد تتناسب مع مرتبته الكمالية، فكلما ترقى الإنسان في مراتب الكمال كلما كانت درجة شهادته الكمالية أرقى وأرقى، وبما أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وكما ثبت سابقا وبأدلة كثيرة هي أكمل وأعظم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتكون منزلة ومرتبة شهادتها صلوات الله وسلامه عليها أعظم من منزلة ومراتب جميع الأنبياء الذين استشهدوا.

---

(١) قال المبارك فوري في تحفة الأحوذي ج٥ ص٢٢٦: (إن الشهداء يتفاضلون وليسوا في مرتبة واحدة...). وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٢ ص٢٢٣: (وقد جعل الله تعالى الجنة درجات، وللمجاهدين منها مائة درجة كما جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالشهداء ليسوا في منزلة واحدة بل يتفاوتون في منازلهم).

وكذلك هي أعظم من بقية الأنبياء الذين لم يستشهدوا، لأنها صلوات الله وسلامه عليها وبالأدلة السابقة أعظم منهم من دون كونها شهيدة، فإذا أضفنا إليها مرتبة الشهادة فإنها تكون حينئذ أعظم وأعظم).

أسامة: (أرجو المعذرة فوالدي يناديني، والظاهر ان ضيوفاً قد جاؤوا إلى منزلنا، سأراكم غدا ان شاء الله).

خالد: (حسنا ونحن أيضا سننهي الموضوع ونتوقف، ومن كان عنده سؤال فليؤجله إلى الجلسة القادمة، وإذا لم يكن عندكم سؤال تكلمنا حول موضوع شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها يوم القيامة).

ودع الأصدقاء بعضهم بعضا على أمل اللقاء غدا إن شاء الله سبحانه.

دموع الفرح

أصبح الصباح، وتناول أسامة فطوره على عجل، ومن ثم انطلق نحو المكتبة ليرى الحارس، وليبحث عما اتفقوا عليه البارحة في جلسة الحوار، ولكنه لم يرَ الحارس يجلس عند باب المكتبة كالمعتاد، فدخل وسأل أمينة المكتبة عنه، فأخبرته بأن الحارس في الحديقة الخلفية للمكتبة، ذهب أسامة إلى الحديقة الخلفية فرأى الحارس من بعيد وهو يقلم أشجار الحديقة الخلفية، توجه نحوه، وما ان رآه الحارس متوجها نحوه حتى ابتسم ابتسامة خفيفة، وصل أسامة إليه وسلم عليه، وجلسا على مقعد قريب وأخبره بما جرى ليلة الأمس، وان أبا عادل وافق على ان يسكنوا في بيت الضيوف ولمدة غير محددة ومن دون إيجار، ولكن

بشرط ان يحافظ على بيتهم في غيابهم ويعتني بالحديقة.

كان الحارس يستمع وهو مطرق برأسه، فلما أكمل أسامة كلامه رفع إليه رأسه وقطرات من الدمع تنزل من عينيه على خديه، فقال أسامة: (ما الخبر يا عم؟ هل أزعجك هذا الخبر؟).

فقال الحارس وهو يبتسم: (كلا يا بني انها دموع الفرح، وإني لأشكر جهودك وجهود عائلتك الكريمة، وأشكر الله سبحانه على تهيئة هذا المسكن لي، فقد عانيت ما عانيت وهو أعلم بذلك، وأشكر السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها التي لم تخيب رجائي وقبلت استشفاعي وتوسلي بها، فالحمد لله على ما أسبغ علي من نعمه الظاهرة والباطنة).

أسامة: (الحمد لله، وأنت يا عم هيئ اليوم أغراضك وأمتعتك، وسننقلها إلى البيت الجديد غداً إن شاء الله تعالى، ولا تحمل هماً ولا غماً، وسأتفق مع أصدقائي لنحضر إلى بيتكم لحمل الأغراض ونقلها، وسنقوم نحن بتنظيف البيت الجديد وترتيب الاغراض فيه، وما عليك إلا أن تجلس وتنظر إلينا وتوجهنا).

شكر الحارس سعي أسامة وجهوده واتفقا على موعد الغد وودع كل منهما الآخر، ثم اتجه أسامة إلى داخل المكتبة ليبحث ويتهيأ لجلسة الليلة.

عاد أسامة مرة أخرى إلى قاعة المكتبة فوجد محمداً جالساً على كرسي يطالع كتاباً، فلما رآه محمد قام عن كرسيه وجاءه مسلماً، وبعد السلام قال له: (تفضل بقربي).

فأجابه أسامة: (شكراً فمن الأفضل أن يجلس كل منا بجانب مختلف حتى

لا يضيع وقتنا بكثرة الكلام، لأنك كثير الأسئلة، فيضيع هكذا وقتي ووقتك).

محمد: (حسنا، اجلس حيثما تحب، وسوف نذهب معاً إلى البيت حين العودة فلا تنسَ).

ذهب أسامة إلى رفوف المكتبة ليبحث عن ضالته، وكلما مر من رف أخذ بيده كتاباً عسى أن يجد فيه معلومة نافعة، فجمع بيده مجموعة من الكتب ثم أخذ زاوية من زوايا المكتبة فجلس يطالع فيها ما جمع.

الدليل الثالث والعشرون: شفاعتها لمحبيها ونصرتها لأوليائها يوم القيامة

مضى الوقت سريعاً كعادته، وجاءت الساعة التاسعة مساءً، واجتمع الأصدقاء على طاولة الحوار، وبعد السؤال عن الحال والأحوال، كتب خالد: (أخبرونا يا شباب ماذا فعلتم اليوم؟ وهل ذهبتم إلى المكتبة؟).

أسامة: (نعم ذهبت وكان محمد أيضا في المكتبة).

خالد: (إذن أخبرونا ماذا وجدتم عن موضوع شفاعة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها؟).

فاطمة: (هل تسمح لي يا خالي ان أبدأ أنا؟).

خالد: (كل مرة تقريبا أنت التي تبدئين، فدعينا الآن نستمع إلى أخوينا أولا).

أسامة: (أنا وجدت رواية صحيحة السند تتحدث عن شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها يوم القيامة، وهذه الرواية قد مرت علينا في أول البحث، وهي الرواية الأولى التي ابتدأنا بها جلسات حوارنا، والتي كانت تتحدث عن بدء خلق نور فاطمة

ﷺ، والرواية التي رواها الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده عن النبي الأعظم ﷺ جاء في آخرها قوله ﷺ: «... فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه أحب الله عز وجل أن يخرجها[1] من صلبي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل. فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام. قلت: منه السلام وإليه يعود السلام. قال: يا محمد إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة فأخذتها وضممتها إلى صدري. قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كلها. ففلقتها فرأيت نورا ساطعا ففزعت منه فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور المنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء "المنصورة" وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني نصر فاطمة لمحبيها»[2].

والشاهد هو في تسميتها ﷺ بالمنصورة، وما بينته الرواية من سبب لهذه التسمية، وبأنها فطمت شيعتها من النار وإنها ستنصر شيعتها يوم القيامة، وليست الشفاعة إلا هذا).

---

(١) أي يخرج فاطمة ﷺ.

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص٣٩٦.

شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها أعظم من شفاعة الأنبياء والرسل باستثناء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم

خالد: (أحسنت أخي أسامة فهذه الرواية صحيحة وقد أثبتنا سابقاً صحتها، ولكن ألا ترى بأن الرواية تتحدث عن شفاعتها بشكل مطلق، وعليه فليس في إثبات كونها شفيعة فضلٌ، لان الروايات تحدثت عن ان كافة المؤمنين لهم شفاعة يوم القيامة، وعليه فنحن نحتاج في إثبات سعة شفاعتها وعظمتها إلى أدلة إضافية).

اختلاف الشفاعة بحسب منزلة الإنسان وشأنه الكمالي

أسامة: (سبحان الله!، كنت أشعر بأن هنالك من سيسأل هذا السؤال، ولكني لم أتوقع ان السائل سيكون خالد!، فقد كنت أتوقع أن يسأل محمد عن هذا الأمر، وقد أعددت جواباً مسبقا لهذه المسألة، والجواب نجده في نفس روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الروايات الشريفة ان الشفاعة تختلف من حيث السعة والضيق باختلاف إيمان الشفيع وكماله، فكلما عظمت منزلة المؤمن الكمالية وعظم إيمانه زادت سعة شفاعته، وبما ان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد ثبتت أفضليتها على الأنبياء والرسل بأدلة كثيرة قدمناها سابقا، فإن شفاعتها ستكون أوسع من شفاعة جميع المؤمنين والأنبياء والرسل باستثناء نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[1]).

محمد: (أنا قرأت اليوم كثيراً من الأحاديث، فلم أجد بأن الشفاعة تختلف بحسب منزلة الشفيع وإيمانه، فمن أين لك هذا الرأي؟).

---

(١) سيأتي قريبا ان شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها متساوية مع شفاعة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

أدلة روائية وعقلية على اختلاف الشفاعة بحسب كمال الشفيع وشأنيته

خالد: (ان عدم قراءتك لهذه الأحاديث لا يدل على عدم وجودها، وكون الشفاعة تختلف بحسب منزلة الشفيع وإيمانه ليس رأيا بل هي أمور أقرتها الروايات الشريفة، وسأكتب لكم عدة أحاديث.

فمنها ما روته الشيعة عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: «فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله»[١].

وقد روى أهل السنة عن النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليهما قريباً من هذا الحديث[٢]، وقد ورد في أحاديث أخرى ان من المؤمنين من يشفع لمثل ربيعة ومضر[٣]، ومنهم من يشفع لثلاثين نفساً[٤]، ومنهم من يشفع لسبعين من أهل بيته

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨ ص٤٣.

(٢) قال الطبراني في المعجم الكبير ج٨ ص٢٧٥: (حدثنا أحمد بن موسى الجوهري البغدادي ثنا الحسن بن حريث المروزي ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن حكى عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ... ويشفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله).

(٣) ربيعة ومضر قبيلتان عربيتان صار يضرب بهما المثل في كثرة الافراد المنتمين لهما.

(٤) روى المجلسي في البحار ج٨ ص٥٨ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (...والشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة، وفي المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين شفاعة من يشفع لثلاثين إنسانا...).

وروى الترمذي في سننه ج٤ ص٤٦: (حدثنا الحسين بن حريث، أخبرنا الفضل بن موسى عن زكريا ابن أبي زائدة، عن عطية، عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة) . ثم علق الترمذي على الحديث بقوله: (هذا حديث حسن).

وهم الشهداء[1].

وإضافة إلى كل هذا فإني أرى أن مسألة اختلاف المؤمنين في سعة الشفاعة وضيقها هي مسألة بديهية، اذ ليس من الإنصاف ان تتساوى شفاعة المؤمن العادي بالمؤمن العالم أو المؤمن الشهيد، كما انه ليس من الإنصاف أن تتساوى شفاعة العلماء مع شفاعة الأوصياء أو الأنبياء، فتأمل يا أخي محمد لتصل إلى الحقيقة حتى من دون روايات، فالذوق السليم دال على ما قلت قبل الروايات الشريفة أو معها).

شفاعة السيدة الزهراء متكافئة ومساوية لشفاعة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

فاطمة: (ونستطيع أن نعرف عظمة وسعة شفاعة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بطريقة ثانية غير الطريقة التي استعرضها خالي العزيز، ولكنها تؤيد ما قاله، فإجماع الشيعة منعقد على ان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أوسع الناس شفاعة بعد النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليهما.

وإجماع الشيعة منعقد أيضا على أن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كفؤ للإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومساوية له في كل شيء إلا ما خرج بالدليل. فينتج حينئذ وجوب ان تكون شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها مساوية لشفاعته صلوات الله وسلامه عليه[2].

---

(١) روي في سنن أبي داود لسليمان بن الاشعث السجستاني ج١ ص٥٦٧: (حدثنا أحمد بن صالح، ثنا يحيى بن حسان، ثنا الوليد بن رباح الذماري، حدثني عمي نمران بن عتبة الذماري، قال: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت: أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته).

(٢) لوجود النص القائل بتكافؤ كمالاتها صلوات الله وسلامه عليها مع كمالاته صلوات الله وسلامه عليه، ولعدم وجود المخصص النافي لتساوي كلتا الشفاعتين، فتأمل.

وبما أن شفاعة الإمام أمير المؤمنين هي أعظم الشفاعات وأوسعها بعد الشفاعة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتكون شفاعة السيدة الزهراء أعظم الشفاعات وأوسعها أيضا).

تساوي شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها مع شفاعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

خالد: (أحسنتِ التحليل، ويمكن لنا إن ننطلق أكثر ونتوسع أكثر فنجعل سعة شفاعة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بمقدار سعة شفاعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بالتوضيح الآتي الذي سأستعرضه من خلال نقاط لتسهيل فهم الدليل.

أولاً: أجمعت كلمة أئمة مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلماء التشيع وبلا مخالف أن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه هو نفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما نصت عليه الآية المباركة: « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ »[1] والقرآن الكريم ينص في هذه الآية على كون النبي الأعظم والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما نفساً واحدة. وهذا لا خلاف فيه بين الإمامية.

ثانيا: ان إثبات كونهما نفساً واحدة ينتج عنه ان كل ما ثبت لأحدهما من الكمالات والمراتب العالية السامية يثبت للآخر من باب التطابق التام بين النفسين وعدم الاختلاف، اللهم إلا ما خرج بالدليل، كمرتبة النبوة والخاتمية التي دل

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٦١.

الدليل على اختصاصها بشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعدم اشتراك الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه معه في هذه المرتبة.

ثالثا: اذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يشارك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في كل مراتب الكمال وفي كل الامتيازات الممنوحة له من قبل الله سبحانه، فانه ولابد يشاركه في مرتبة الشفاعة العظمى التي خص الله بها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه نفسه، ولا يوجد لدينا دليل على عدم دخول الإمام أمير المؤمنين في هذه المرتبة، واذا لم يوجد لدينا دليل نافٍ فنحكم وفقا للأصل وهو اشتراكهما في كل كمال الا ما دل الدليل على اختصاص أحدهما بأمر معين.

رابعا: اذا ثبت اشتراك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه في مرتبة الشفاعة العظمى، فإنه يثبت اشتراك السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها معهما في نفس المرتبة، لأنها متساوية مع الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في كل مراتبه الكمالية، إلا ما خرج بالدليل، ولا دليل هنا على خروجها صلوات الله وسلامه عليها فنحكم وفقا بالأصل وهو الاشتراك في مقام الشفاعة العظمى).

فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلابد أن تكون لها نفس مرتبته في الشفاعة

فاطمة: (هذه التفاتة جيدة يا خالي، وربما يؤيد كلامك الروايات الواردة في كون السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بضعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والبضعة هي القطعة والجزء من الشيء.

والجزء لابد وان يأخذ أحكام الكل، فما يثبت للكل يثبت للجزء أيضا من باب وحدة السنخية فيما بينهما، إلا ما يثبت بالدليل اختصاصه وخروجه عن هذه القاعدة.

وعليه فإذا ثبت للكل الذي هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مقام معنوي او كمالياً معيناً فان هذا المقام لابد وأن يكون ثابتا للجزء الذي هو السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، ومقام الشفاعة العظمى داخل في هذا الباب، فثبوته للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يكفي لدخول السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها فيه، لأنها بضعة منه، وحكم الجزء تابع لحكم الكل كما أوضحنا، إلا ان يوجد دليل ينفي دخولها على نحو القطع، وبما ان هذا الدليل غير متوفر ــ بحسب اطلاعي ــ فتبقى القاعدة على عمومها ويكون دخول السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في مقام الشفاعة العظمى قطعياً).

عدم وجود ما يخصص هذه الأدلة

محمد: (أفهم من كلامكم أن هذه الأدلة التي قدمتموها عن مشاركة السيدة الزهراء والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الشفاعة العظمى مبنية على فرض عدم وجود دليل يخصص هذا المقام بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويخرج عنه الآخرين، فهل هذا الذي فهمته صحيح؟).

فكتب خالد: (نعم صحيح ما فهمت).

محمد: (أنا الآن أقدم لكم رواية عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يصرح فيها ان

مقام الشفاعة العظمى لا يكون إلا لشخص واحد وهذا الشخص هو النبي ولا أحد يشاركه في هذا المقام، فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنّة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة»[1]، فهذا الحديث ينسف جميع الأدلة التي قدمتموها، أخبروني ما رأيكم بهذه القنبلة؟).

خالد: (أضحكتني والله يا محمد، والظاهر ان هذه القنبلة التي أطلقتها علينا فيها غاز الضحك).

محمد: (ولماذا الضحك؟ فأنت أردت دليلاً يخصص وقد أتيت لكم به).

خالد: (إن دليلك الذي قدمته باطل من عدة وجوه:

١: منها ان الرواية وردت من طرق أهل السنة ورجالهم وهي ليست حجة علينا قطعاً.

٢: ومنها انه ليس في الرواية إشارة من قريب ولا من بعيد إلى مسألة الشفاعة واختصاصها بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فالرواية تتحدث عن منزلة في الجنة تختص بشخص واحد تسمى بمنزلة الوسيلة، وهذه المنزلة لا تكون الا لشخص واحد، ونحن نتكلم عن وجود أو عدم وجود دليل يخصص منزلة الشفاعة بشخص واحد، فدليلك أجنبي عن المقام.

٣: ومنها ان منازل الجنة ومنها منزلة الوسيلة تأتي في مرتبة متأخرة عن الشفاعة، لان الشفاعة في مواقف القيامة والحساب، ومنازل الجنة تأتي حينما

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص١٦٨.

ينتهي الحساب ويذهب كل إنسان إلى مكانه من النار أو الجنة.

وعليه فالرواية تتحدث عن أمر أجنبي عن الموضوع الذي نتحدث نحن عنه).

محمد: (على أقل التقادير انا حاولت ان آتي بدليل يخصص سعة شفاعة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، ولكنك والأخوة لم تأتونا إلى الآن برواية تثبت سعة شفاعتها).

روايات تؤيد سعة شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها

خالد: (قولك باننا لم نأتِ برواية تثبت سعة شفاعتها مجانب للصواب، ألا ترى أن الأدلة التي قدمناها قائمة بجميعها على وجود الرواية، بل ووجود الآية القرآنية (أنفسنا وأنفسكم).

وإضافة إلى هذه الروايات والآية توجد روايات أخرى مؤيدة لسعة شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها وسأذكر لك الآن واحدة منها، فقد روى الشيخ الصدوق قائلا: «حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليه يقول: لفاطمة عليها السلام، وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبا فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة، وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق

وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عز وجل، صدقت يا فاطمة، إني سميتك فاطمة، وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعك، وليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني، ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمنا فخذي بيده وأدخليه الجنة»[(١)].

محمد: (أليس في سند الرواية «محمد بن سنان» وهو ضعيف؟ فكيف تستدل برواية ضعيفة؟).

خالد: (إن محمد بن سنان مختلف في توثيقه وتضعيفه، فربما وثق وربما ضعف، وحتى من ضعفه فقد ضعفه في الروايات التي ينفرد برواياتها، ولا يعضدها دليل صحيح آخر، وهذه الرواية موافقة للأدلة التي قدمناها وموافقة للروايات الصحيحة التي استعرضناها في ضمن أدلتنا المتقدمة.

وعليه فتصبح رواية محمد بن سنان مقبولة حتى على رأي الذين ذهبوا إلى ضعفه لموافقتها لما هو قطعي وصحيح، ولأن العبرة كما ذكرنا مرارا وتكرارا هي في الاطمئنان بصحة الصدور، وموافقة الرواية لما هو مجمع أو مشهور عند علماء الشيعة الإمامية، وأنا لم أرَ من علماء المذهب قديماً وحديثاً من شكك في هذه الرواية وأمثالها، وعدم نقاشها والتشكيك فيها يدل على تلقيها من قبلهم بالقبول[(٢)].

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه ج١ ص١٧٩.

(٢) ان مسألة عدم تضعيف العلماء لرواية معينة ودلالة ذلك على تلقيهم لها بالقبول، هي ليست من المسائل المقطوع فيها عند جميع العلماء أعلى الله مقامهم، ولا هي قاعدة كلية في علم الحديث ←

ما هي فائدة الشفاعة؟

سكت الجميع لبرهة من الوقت فعرف خالد أن هذا المحور من الموضوع قد أخذ استحقاقه ولابد أن ينتقلوا إلى محور آخر، فكتب: (طيب، أخبرونا ماذا وجدتم أيضا عن شفاعتها صلوات الله وسلامه عليها؟).

محمد: (ممكن أعرف ما هي فائدة الشفاعة؟ أو بمعنى آخر لماذا لا يغفر الله سبحانه ذنوب من يريد أن تشملهم الشفاعة مباشرة من دون ان يضطرهم ويضطر الشفعاء إلى الشفاعة؟).

خالد: (**أولا**: ان هذه المسائل من مختصات الله سبحانه ومن شؤونه القدسية، ولا دخل للعباد فيها، فالله سبحانه من حقه كمالك للكون أن يجعل شفعاء أو لا يجعل، فإذا أراد أن يجعل فليس من حقنا أن نقول: لماذا جعلت شفعاء؟

ثانيا: ان الله سبحانه أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها، فكل شيء في الكون يجري وفق الأسباب والمسببات، فالله سبحانه يستطيع أن يقول لشجرة البرتقال أو التفاح أثمري فتثمر بقدرة الله سبحانه، إلا أن هذا الأمر لا يحصل، بسبب ان الله قد قدر وأراد أن تخرج ثمرة التفاح أو البرتقال عبر مرورها بعالم الأسباب، فالفلاح يحرث الأرض وينظفها ويبذر البذور ويسقيها ويحميها من كل ما يفسدها ثم تمر

← والرواية، ولكنها يمكن أن تكون مؤيدة لغيرها من القواعد، ويستدل بها لا على نحو الاستقلال، وهذا هو قصدنا من إيرادها هنا، ولذلك لم نجعلها دليلاً مستقلاً وإنما وضعناها مع أدلة أخرى لتكون مؤيدة لها وداعمه.

على النبتة أيام وربما سنوات حتى تثمر.

ومسألة غفران الذنوب والتجاوز عن العصاة لا تخرج عن هذا القانون، فالله سبحانه قادر على أن يغفرها ويتجاوز عنها مباشرة، إلا أنه سبحانه أخضعها لقانون الأسباب والمسببات، فجعل للغفران أسباباً متعددة، منها الشفاعة.

ثالثاً: ان للشفاعة ثلاثة أطراف هي: المشفوع إليه وهو الله سبحانه، والمشفوع له وهو المكلف العاصي المراد أن تشمله الشفاعة، والشفيع أو الشافع وهو الواسطة ما بين الشافع والمشفوع له. وفائدة الشفاعة قد تكون لله وقد تكون للشفيع وقد تكون للمشفوع له.

فأما فائدة الشفاعة بالنسبة لله سبحانه فإنها منتفية، لأن الله سبحانه لا يحتاج إلى شيء وهو غني عن العالم سماؤه وأرضه وكل ما فيه، كما قال في كتابه: «وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ»[1] وقوله تعالى: «هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ»[2].

وأما فائدة الشفاعة بالنسبة للمشفوع له فواضحة جدا، لان المذنبين في ذلك اليوم الرهيب بحاجة إلى من يحمل عنهم سيئة واحدة يخفف عنهم ثقلها وتبعتها، وبحاجة إلى من يكون لهم عوناً في تخطيهم لتبعات الذنوب وعقبات يوم القيامة.

وأما فائدة الشفاعة بالنسبة للشافع الذي هو وسيط بين الله الغني وبين عبده العاصي فلإظهار شأنه وعظمته ورفيع مقامه عند الله سبحانه).

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٣٣.

(٢) سورة يوسف الآية رقم ٦٨.

محمد: (كل ما قلته واضح إلا الفقرة الأخيرة وهي ان فائدة الشفاعة بالنسبة للشفيع هي لإظهار فضله وعظمته عند الله سبحانه فكيف يكون هذا الأمر؟).

خالد: (لو كانت لك حاجات عظيمة عند ملك من الملوك، أو كانت لك جرائم تستحق العقاب عليها عند ذلك الملك، وجاء شخص وتوسط لك عند ذلك الملك ورفع عنك العقاب، وكان سبباً في قضاء كل حوائجك التي طلبتها من ذلك الملك، ألا يدل ذلك على أن هذا الشخص الوسيط لديه مكانة ومنزلة عظيمة عند هذا الملك، وبسبب كونه وجيها عند الملك ومقرباً إليه استطاع أن ينجز لك كل حوائجك ويرفع عنك كل العقوبات؟).

محمد: (نعم صحيح وقد فهمت مغزى كلامك).

فاطمة: (توجد شواهد روائية كثيرة على أن مقام الشفاعة العظمى قد أعطي للنبي الأعظم وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهدف تبيان شأنهم وعظيم قدرهم، منها ما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة «... حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دني ولا فاضل، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم، وشرف محلكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه...»[(١)].

وقد مر علينا قبل قليل رواية الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه وقوله: (لفاطمة عليها

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص٦١٤.

السلام، وقفة على باب جهنم، ... وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعك وليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي فمن قرأت بين عينيه مؤمنا فخذي بيده وأدخليه الجنة»[1] وتوجد شواهد كثيرة لا مجال لاستعراضها بأجمعها).

الشفاعة للمحسن والمسيء أم هي للمسيئين خاصة؟

أسامة: (لدي سؤال يجول بخاطري منذ البارحة، وهو: أتشمل الشفاعة المسيء والمحسن أم انها خاصة بالمسيئين فقط؟).

خالد: (هنالك اختلاف بين علمائنا حول هذه المسألة، فقد ذهب بعضهم إلى أن الشفاعة لا تشمل إلا المسيئين والمذنبين خاصة، أما المحسنون والمطيعون ومن ليس عليه تبعة فلا يحتاجون إليها، لان الشفاعة وبالأصل موضوعة للمذنبين، وهدفها دفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقيه، وقد تمسك أصحاب هذا الرأي بأحاديث مروية[2].

لكن بعض علمائنا الأعلام قد ذهب إلى أن الشفاعة تشمل المسيء

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه ج١ ص١٧٩.

(٢) منها ما رواه الشيخ الصدوق في الخصال ص٣٥٥ في حديث طويل عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيه: (...وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم).

ومنها ما رواه الشيخ الصدوق أيضا في الأمالي ص٥٦ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (...إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل).

ومنها ما رواه الشيخ الصدوق أيضا في فضائل الشيعة مرسلا عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إذا كان يوم القيامة نشفع في المذنبين من شيعتنا فأما المحسنون فقد نجاهم الله).

والمحسن والمذنب والصالح، فأما المذنبون فيُشفع لهم لدفع المضار وإسقاط الحساب، وأما المحسنون فيُشفع لهم لرفع الدرجات واستجلاب المنافع الأخروية[(١)]).

أسامة: (وأنت أي الرأيين ترجح؟).

فكتب خالد: (الذي أميل إليه أن الشفاعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تشمل المطيعين والعاصين على حد سواء، لعدة أدلة أذكر منها ما يلي:

العدل يقضي بأن تكون الشفاعة عامة للعاصين والمطيعين على حد سواء

أولاً: ان من المقطوع به عند كل المسلمين على اختلاف طوائفهم أن الله سبحانه عادل، بل إن الإمامية يعدّون صفة العدل أصلا من أصول الدين، وعدله سبحانه قاض بأن يعطي للمطيعين من النعم مثل ما يعطي العاصين من باب الأولوية، لان المطيع أولى بالإحسان من العاصي، أو من باب العدل، فان لم يعطهم جاز للمطيع أن يعترض على الله بأنك سبحانك فضلت العاصي بالعطاء ومنحته النجاة من النار وتركتني مع إطاعتي ولزومي لأمرك لم تعطني شيئاً إضافياً، وهذا قبيح، والقبيح منفي عن الله سبحانه، وعليه فلابد أن يعطي الله سبحانه للمطيع مثل ما يعطي للعاصي، وإعطاء المطيع لا يكون إلا عن طريق رفع الدرجات واستجلاب المنافع الأخروية. وبه يثبت المطلوب.

---

(١) من القائلين بهذا الرأي نصير الدين الطوسي في تجريد الاعتقاد وقد وافقه العلامة الحلي في شرحه للتجريد (تحقيق الآملي) ص٥٦٦.

معنى الشفاعة ومفهومها يدل على شمولها للعاصي والمطيع

ثانيا: معنى الشفاعة ومفهومها يدل على ذلك أيضا، إذ ان الشفاعة ليست إلا ضم موجود إلى آخر بهدف تقويته وإعانته وإيصاله إلى مستوى كمالي يستحق من خلاله أن تشمله الرحمة الإلهية[1]، وهذا المعنى من الشفاعة حاصل للنبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى في دار الدنيا، لأن الموجودات كلها إنما تكاملت وتدرجت في مراحل الكمال بسبب وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فبانضمامهم إلى هذا الوجود تكامل الوجود وبهم تكامل الإنسان وصار مؤمنا واستحق ان ينال رضا الله سبحانه ويدخل الجنة[2]، ويوم القيامة لو جاء العبد بعمل الثقلين ولم يأتِ

(١) قال الراغب الاصفهاني في المفردات في غريب القرآن ص٢٦٣: (والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة في القيامة).

وقال العيني في عمدة القاري ج٢ ص١٢٧: (الشفاعة مشتقة من الشفع، وهو ضم الشيء إلى مثله، كأن المشفوع له كان فرداً فجعله الشفيع شفعاً بضم نفسه إليه، والشفاعة: الضم إلى آخر معاوناً له، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى).

وقال مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١ ص٢٠٠: (كلمة "الشفاعة" من "الشفع" بمعنى "الزوج" و "ضم الشيء إلى مثله"، يقابلها "الوتر" بمعنى "الفرد" . ثم أطلقت على انضمام الفرد الأقوى والأشرف إلى الفرد الأضعف لمساعدة هذا الضعيف).

(٢) وفي هذا المعنى روايات كثيرة منها ما رواه الكليني في الكافي ج١ ص١٤٤: (... قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده، بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله).

←

بولايتهم دخل النار[(١)]، وهذا كله نوع شفاعة كما لا يخفى، لأنها ضم موجود قوي إلى آخر ضعيف لتقويته وإعانته لبلوغ كماله).

هل الشفاعة تؤدي إلى اتكال الناس عليها وترك الطاعات وارتكاب المعاصي؟

محمد: (أليست الشفاعة تؤدي بالناس إلى الاتكال والاعتماد عليها وترك الطاعات وعمل السيئات والمعاصي؟ فان الناس لو علموا بأن الإنسان الشيعي

→

ومنها ما رواه الصفار في بصائر الدرجات ص٨٣: (عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول نحن جنب الله ونحن صفوته ونحن خيرته ونحن مستودع مواريث الأنبياء ونحن أمناء الله ونحن حجة الله ونحن أركان الإيمان ونحن دعائم الإسلام ونحن من رحمة الله على خلقه ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم ونحن أئمة الهدى ونحن مصابيح الدجى ونحن منار الهدى ونحن السابقون ونحن الآخرون ونحن العلم المرفوع للخلق من تمسك بنا لحق ومن تخلف عنا غرق ونحن قادة الغر المحجلين ونحن خيرة الله ونحن الطريق وصراط الله المستقيم إلى الله ونحن من نعمة الله على خلقه ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة ونحن موضع الرسالة ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة ونحن السراج لمن استضاء بنا ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ونحن الهداة إلى الجنة ونحن عز الإسلام ونحن الجسور القناطر من مضى عليها سبق و من تخلف عنها محق ونحن السنام الأعظم ونحن الذين بنا نزل الرحمة وبنا تسقون الغيث ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا والينا).

(١) قال المولى محمد تقي المجلسي في روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٨: (وروى الصدوق في الصحيح، عن أبي حمزة قال: قال لنا علي بن الحسين صلوات الله عليهما أي البقاع أفضل؟ قلت الله ورسوله وابن رسوله أعلم قال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلا عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثمَّ لقي الله بغير ولايتنا لم ينتفع بذلك شيئا).

الموالي لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم القيامة سواء عمل أو لم يعمل فإنه سيدخل الجنة، وأن أهل البيت والسيدة الزهراء سيشفعون له، مثل هذا الإنسان لابد وان يتهاون بصلاته وعباداته ويتجرأ على المحرمات اتكالاً على شفاعتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

خالد: (ليس الأمر كما تقولون أخي محمد، فالشفاعة ليست بالأمر العشوائي ولا يحظى به أي أحد من دون قيد أو شرط، بل إن للشفاعة حدوداً وضوابط لا تنطبق الا على فئة خاصة من العباد ويستثنى منها فئات أخرى كثيرة، والقرآن الكريم صريح في هذه المسالة، فقد قال سبحانه: «وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى»[1]، ومن هذه الآية يتضح بأن المشفوع له لابد أن يكون مرضياً عند الله سبحانه حتى يشمل بالشفاعة.

والرضا معنى شامل له مصاديق كثيرة، فالمشفوع له لابد أن يكون مرضي الدين إذ لا شفاعة لكافر كما قال سبحانه: «وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ»[2].

ولا شفاعة لمخالف لأهل البيت ولا لمتبع لغير مذهبهم، لما عرفنا سابقاً من اشتراط قبول الاعمال بالولاية، إلا ما استثني في بعض الروايات الشريفة، فهنالك قوم من المخالفون تشملهم الشفاعة، وهم الذين سمتهم تلك الروايات بالضعفاء، وهم المخالفون الذين لا توجد في قلوبهم ذرة من النصب والعداوة والبغض لأهل

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٨.

(٢) سورة المدثر الآية رقم ٤٣ ــ ٤٨.

البيت[١] وقليل ما هم[٢].

ومن الذين لا شفاعة لهم الظالمون كما قال سبحانه: «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»[٣]، والظلم كما لا يخفى باب واسع يدخل فيه خلق كثير، فمن الناس ظالم لنفسه ومنهم ظالم لعائلته زوجته وأطفاله، ومنهم ظالم لشعبه ولأبناء بلده، وغير ذلك الكثير الكثير.

والمشفوع له لابد ان يكون مرضي العمل أيضا، فلا شفاعة لمن قضى عمره باللهو واللعب وغرته الحياة الدنيا كما قال تعالى: «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا... فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»[٤].

---

(١) كما في الخبر المروي في الخصال للشيخ الصدوق ص٤٠٨: (...عن أبي عبد الله، عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو وأقول: رب سلم شيعتي ومحبي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا فإذا النداء من بطنان العرش قد أجيبت دعوتك وشفعت، في شيعتك ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت).

(٢) لان الرواية تصرح بان لهم باباً واحداً من ثمانية أبواب، على الرغم من انهم الأكثرية في العالم، بينما يدخل الشيعة من خمسة أبواب مع أنهم أقلية بالنسبة إليهم.

(٣) سورة غافر الآية رقم ١٨.

(٤) : سورة الأعراف الآية رقم ٥١ ــ ٥٣.

ولا شفاعة أيضا لتارك الصلاة، ولا لمستخف بها، ولا لشارب المسكر كالخمر وغيره وعلى هذا الأمر شواهد قرآنية وروائية كثيرة منها قوله تعالى: «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ... حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ»(1)، ومنها قول الصادق صلوات الله وسلامه عليه: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته ولا يرد على الحوض لا والله لا ينال شفاعتي من شرب المسكر لا يرد على الحوض لا والله»(2).

وكذلك لا تنال شفاعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كل مذنب مصر على ذنبه، لأن الإصرار على الذنب كبيرة، والمصر لا يغفر له، كما في الرواية الحسنة لابن أبي عمير، عن أبي الحسن الكاظم صلوات الله وسلامه عليه انه قال: «لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك. ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تبارك وتعالى: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما».

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل».

قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل

---

(١) سورة المدثر الآية رقم ٤٣ ـ ٤٨.

(٢) كتاب الكافي للشيخ الكليني ج٦ ص٤٠٠.

الكبائر والله تعالى ذكره يقول: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون» ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى.

فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنبا إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كفى بالندم توبة» وقال عليه السلام: «من سرته حسنته وساءته سيئة فهو مؤمن» فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالما، والله تعالى ذكره يقول: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع».

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمنا من لم يندم على ذنب يرتكبه ؟.

فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً والمصر لا يغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمنا بالعقوبة لندم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» وأما قول الله عز وجل: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة».

فالشفاعة كما ترى ليست أمراً اعتباطياً، ولا تمنح من غير حساب، وما ورد في دخول الشيعة والمحبين الجنة مقيد بغيره من الأحاديث الناصة على ان كثيراً من الشيعة والمحبين يعذبون حتى تتمحص ذنوبهم أما في القبر أو بالخوف في

عرصات القيامة أو في النار حتى يصفوا من كدورتهم ويدخلوا الجنة بعد ذلك بشفاعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وولايتهم[(١)]).

توقف الجميع عن الكتابة، فعلم خالد ان الأصدقاء قد تعبوا او لم يبق عندهم شيء يضيفونه، فكتب: (أعندكم شيء تضيفونه أم ننهي الحوار إلى هاهنا؟).

أسامة: (ليس عندي أمر آخر).

محمد: (وأنا أيضا ليس لدي أسئلة أخرى).

خالد: (اذن لننهِ الحوار إلى هاهنا، ولكن أريد إخباركم أمراً مهماً قبل أن تنصرفوا).

فكتب أسامة ومحمد: (تفضل).

خالد: (اليوم هو آخر يوم للحوار).

أسامة: (لا، مستحيل، لعل محمداً هو السبب فقد أخبرته اليوم أن لا يلح في السؤال ولا يضيع علينا الوقت، محمد هو السبب أليس كذلك؟).

خالد: (ليس محمد السبب ولا كثرة أسئلته، وإنما السبب هو أن فاطمة لم يعد لديها وقت إضافي لتكمل رسالتها، فلم يبق لها إلاّ أيام يجب أن تتفرغ فيها

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج٢ ص٧٦ عن الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال لأصحابه: (والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعا لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصيا لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا).

لتنسيق البحث وتدقيقه وتقديمه بأقرب فرصة).

فاطمة: (صحيح ما تفضل به خالي).

خالد: (وعليه فستنتهي جلساتنا من الآن، ولكننا سنلتقي على الانترنت كلما سنحت لنا الفرصة، ونتكلم فيها بما يحلو لكم من مواضيع أو أسئلة، والآن أستودعكم الله جميعاً والى لقاء قريب إن شاء الله).

ودع الأخوة بعضهم بعضا وتمنوا لفاطمة النجاح والتفوق، وذهب كل منهم في شأنه.

الخاتمة

كان بيت أسامة في هذا اليوم يعيش حالة الهيجان فالأقرباء مجتمعون، وأناس يصعدون وآخرون ينزلون، وجماعة منهم مجتمعون في الحديقة يتناقشون أمور الحياة بصوت عال، يصحبها بعض الضحكات تارة، وبعض عبارات السخرية تارة ثانية، وتارة ثالثة يتحزب كل منهم إلى رأيه فيؤيده فريق ويعترض عليه فريق آخر، وكأنهم في حلبة مصارعة.

خرجت أم أسامة من المطبخ ونادت أسامة وهو في غرفته: (هيا يا أسامة استعجل فبيت عروسك في الانتظار وقد تأخرنا، هيا أسرع فالجميع في انتظارك).

نزل أسامة من غرفته فاستقبله الحاضرون، بعضهم بالترحيب، وبعضهم بالأهازيج، والنساء من كل طرف يزغردن[1]، وهنّ يرمينَ فوق رأسه قطع الحلوى، والأطفال بين أرجل الحاضرين يجمعون ما تناثر هنا وهناك من قطع الحلوى.

---

(١) زغردت المراة: رفعت صوتها ورددته بلسانها في فمها محدثة صوتا يشبه الصفير عاليا، وهذا الصوت يطلق في الأعراس ونحوها، ويسمى في اللهجة العامية بالهلهلة وله أسماء أخرى.

اتجه الجميع إلى بيت العروس، وما هي إلا دقائق حتى وصلوا إلى بيت خالد، دخل أسامة إلى بيت خالد، وبعد عدة دقائق خرج ومعه فاطمة، دخلا السيارة وانطلقا بعد ذلك ليكملا مسيرة الحياة.

وعلى الرغم من أن فاطمة كانت تكبره بسنتين، إلا أن السنين مضت عليهما وهما في سعادة وهناء، لأن أساس الاختيار كان مبنيّاً على الإيمان والتقوى، لا على المظهر والشكل والعمر، ولهما في السيدة خديجة أسوة حسنة، فعلى الرغم من انها كانت أكبر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدة سنوات، إلا أنها بقيت أحب زوجاته إليه، وأخلصهن له، وأكثرهن بركة عليه.

مضت عدة سنوات على سعادتهما وقد رزقهما الله سبحانه ولدين وبنتاً، كل ذلك ببركة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها التي كانت السبب في معرفة أسامة بفاطمة.

اما خالد فقد تزوج هو الآخر بعد أسامة بسنة تقريباً، وهو الآن يعيش مع زوجته وابنتيه في النجف الأشرف، حيث ما زال يكمل دراسته الحوزوية ويترقى في سلك العلماء سنة بعد سنة.

أما محمد فقد قرر السفر إلى خارج القطر لإكمال دراسته الأكاديمية، ولم يتبق له الا سنتان على أخذ شهادته العليا، وقد تعرف على بنت مقيمة في تلك الدولة تدرس في الجامعة نفسها، وهي ملتزمة ومحتشمة، فقرر الزواج بها، وبما ان أهلها شرطوا عليه البقاء معها في تلك الدولة لأنها البنت الوحيدة للعائلة قرر البقاء، ولكنه يزور أهله كل سنة مرة أو مرتين.

اما الحارس فقد أقلع عن التدخين بعد أن تزوج هو الآخر من امرأة في

نفس عمره، وذلك بعد أن لم يبق له أحد في المنزل بعدما تزوجت كل بناته، فأم أسامة لم تهدأ ولم ترتح قبل ان قامت بتزويج بناته من شباب مؤمنين من جيرانهم او أقربائهم.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين المعصومين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

المحتويات

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني

١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ - ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي

٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي

٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي

٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام - ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار - جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر

١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	المختصر المسطور لكتاب شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور	علي حسان شويليه
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري